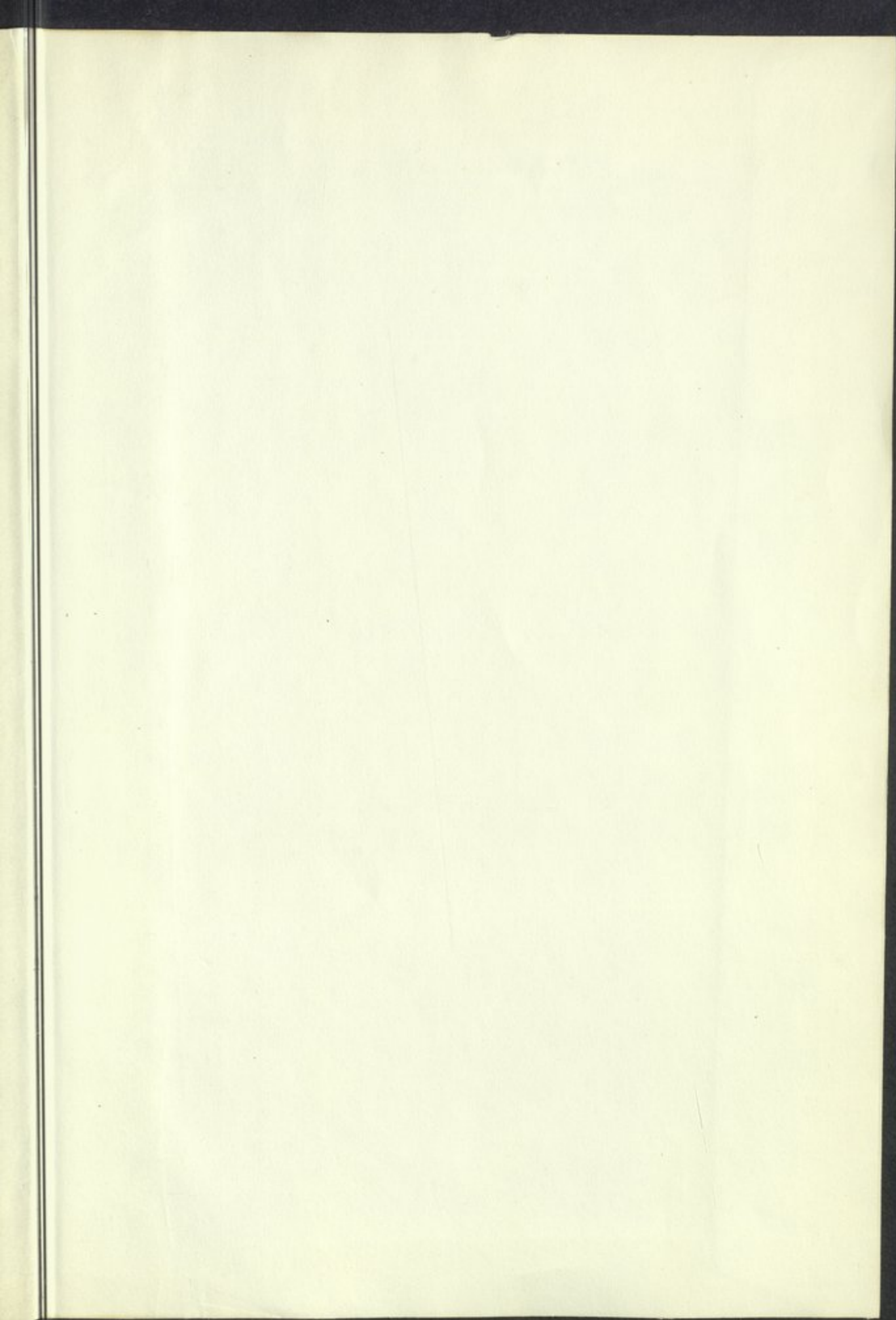


A. U. B. LIBRARY

1841-1842



المجلد الرابع

تتميز في كل عصر ولحظة

ويعتبر من

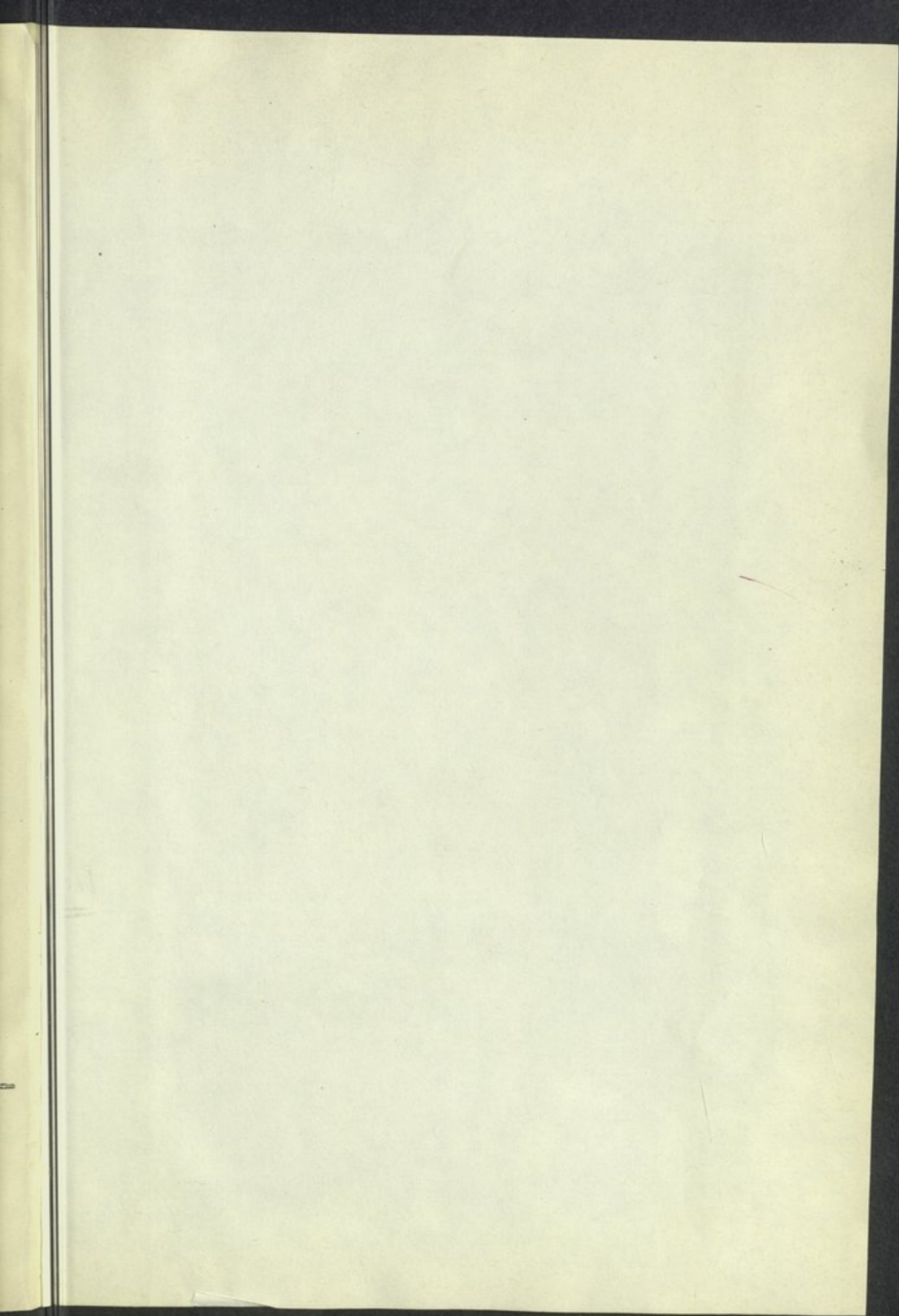
فضائل العلم



١٨٧٤

مكتبة

١٨٧٤





"صفحة العنوان تأتي بعد الفهرس"

فهرس

الجزء التاسع

من

تفسير ابن كثير والبيغوي



ويليه فهرس

فضائل القرآن



38740

مطبعة المنكا ريمضير

١٣٤٧ هـ



—* فهرس المسائل المهمة في الجزء التاسع من تفسير ابن كثير والبغوي *—

صفحة	صفحة
٣٤	﴿تفسير سورة نوح عليه السلام﴾
٣	دعوة نوح قومه إلى عبادة الله تعالى وأعراضهم
٣٦	وصدم
٥	الافلاك وما فيها من الكواكب الثوابت
٣٨	والسيارات
٣٩	الاصنام التي عبدتها العرب وأول من عبدها
٤١	والسبب في ذلك
٤٢	اغراق قوم نوح وادخالهم النار بسبب
	خطيئتهم
٤٥	دعاء نوح على قومه بالهلاك واستجابة الله له
٤٧	﴿تفسير سورة الجن﴾
٤٩	نفي الجن للصاحبة والولد عن الله تعالى وتقدس
١٤	منع الجن من استراق السمع من السماء بالحرس
٥٠	الشديد والشهيب
١٧	كون الاستقامة على الحق سبباً لادرار الرزق
١٨	الامر بافراد الله تعالى وحده بالعبادة والدعاء
٥٢	في المساجد
٥٤	تبرؤ النبي (ص) من كونه يملك الضر أو الرشد
٥٦	اعلام الله من يرتضيه من رسله بعض المغيبات
٥٧	﴿تفسير سورة المزمل عليه السلام﴾
٥٩	قيام الليل وقراءة القرآن فيه وما ورد من
	الاحاديث فيه
٦١	صفة إنزال الوحي على النبي ﷺ ومعنى
	كونه ثقيلًا
٦٢	الاحاديث الواردة في قيام النبي (ص)
٦٤	ووتره
٣٢	أمر الله نبيه بالصبر على قول الكفار وعجزهم
٦٦	عجزاً جميلاً
٣٤	كون آيات القرآن تذكرة لاولي الالباب
	والرخصة في قيام الليل
٣٦	الاحاديث الواردة في مقدار ما يقرأ من القرآن
	في قيام الليل
٣٨	﴿تفسير سورة المدثر﴾
٣٩	الاحاديث الواردة في أول ما نزل من القرآن
٤١	الامر بتطهير الثياب وعجز الاوثان
٤٢	وعيد الكفار بالعذاب الشديد يوم النفخ
	في الصور
٤٥	سماع الوليد بن المغيرة للقرآن واعترافه باعجازه
٤٧	عدد خزنة جهنم وما ورد فيهم
٤٩	عدد جنود الله من الملائكة وكثرتها وانفراد
	الله بعلمها
٥٠	الاحاديث الواردة في كثرة عدد الملائكة
	وأنة لا يحصيهم الا الله
٥٢	ارتهاق النفوس يوم القيامة بأعمالها غير
	أصحاب اليمين
٥٤	الصفات التي توجب لاصحابها الخلود في النار
٥٦	﴿تفسير سورة القيامة﴾
٥٧	النفس اللوامة والمراد بها والاقوال فيها
٥٩	بعض أهوال القيامة وعجائبها وطلب الانسان
	للقرار حين لا فرار
٦١	تعليم الله نبيه أن لا يحرك لسانه بالقرآن عند
	نزول الوحي به
٦٢	اثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة
٦٤	حالة الاحتضار وبلوغ الروح التراقي وما
	ورد في ذلك
٦٦	نعت الكافر المكذب بآيات الله المعرض عنها

(ب) (فهرس المسائل المهمة في الجزء التاسع من تفسير ابن كثير والبقوي)

صفحة	صفحة
١٠٦ دحو الارض ومناه وماورد فيه	٦٨ تقرير ان الله أحكم الحاكمين
١٠٨ انتهاء علم الساعة إلى الله عز وجل وقرب وقوعها	٦٩ ﴿تفسير سورة الانسان﴾
١٠٩ ﴿تفسير سورة عبس﴾	٧٠ خلق الانسان لاجل ابتلائه بالتكاليف الشرعية
١١١ كون آيات الله تذكراً لمن تذكر بها ثم تعظيم منزلتها وشأنها	٧٢ ما أعد للابرار من النعيم المقيم والسعادة الدائمة
١١٣ خلق الانسان من نطفة ثم اماتته ثم احيائه وبعثه .	٧٤ الاحسان الى المسكين واليتيم والاسير
١١٤ الحث على النظر والاعتبار في ابتداء خلق النبات والفواكه	٧٦ أرائك الجنة وأغصانها وكون آيتها من فضة كالقوارير
١١٦ كون الصاخة من أسماء القيامة ، وأهوالها وشدائدها	٧٧ غلمان الجنة وتشبيههم بالؤلؤ المنثور
١١٩ ﴿تفسير سورة التكوير﴾	٨٠ تقرير أن القرآن كلام الله وأنه منزل بوحيه
١٢٠ الاحاديث الواردة في تكوير الشمس	٨٢ ﴿تفسير سورة المرسلات﴾
١٢٤ سؤال الموءودة عن سبب قتلها وما ورد فيها	٨٣ معنى العاصفات عصفاً والناشرات نشرأ واخوانها
١٢٦ بعض آيات القيامة وعلاماتها وأهوالها	٨٥ وعيد الله للمجرمين بأن عاقبتهم الهلاك مثل من قبلهم
١٢٩ ثناء الله على جبريل ووصفه بالكرم والمكانة والأمانة	٨٧ معاناة الكفار ليوم الفصل الذي كذبوا به
١٣١ كون القرآن ليس بشعر ولا كهانة وإنما هو ذكر وموعظة للعالمين	٨٩ ﴿تفسير سورة النبأ﴾
١٣٢ ﴿تفسير سورة الانفطار﴾	٩٠ تعداد الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على قدرة الله على البعث
١٣٣ غرور الانسان بربه الكريم حيث لا يليق الغرور به	٩٢ توقيت يوم القيامة بأجل محدود لا يزيد ولا ينقص
١٣٦ تقرير أن لا برار في نعيم وان الفجار في جحيم	٩٣ ارصاد جهنم وجعلها مآباً للطاعين ولبيتهم فيها أحقاباً
١٣٧ ﴿تفسير سورة المطففين﴾	٩٥ تعذيب الكفار بسبب انكارهم الاجزاء وتكذيبهم بآيات الله
١٣٨ وعيد الله للمطففين والزجر عن التطفيف	٩٧ عظمة الله وجلاله وكونه لا يملك أحد خطابه
١٤١ كون كتاب الفجار ومصيرهم ومأواهم في سجين	٩٩ ﴿تفسير سورة النازعات﴾
١٤٣ الذنوب ترين على القلوب وتغلب عليها حتى تميتها	١٠٠ معنى الناشطات نشطاً والساجحات سبجاً
١٤٤ كتاب الابرار ومصيرهم ومأواهم في عليين	١٠٢ وجيف القلوب وقلقها في يوم البعث
١٤٥ نعيم الابرار ونظرهم على الارائك الى الله تعالى	١٠٤ مناداة الله لموسى وتكليمه بالوادي المقدس طوى

(فهرس المسائل المهمة في الجزء التاسع من تفسيري ابن كثير والبغوي) (ج)

صفحة	صفحة
١٤٧	انكار الله على المجرمين ضحكهم واستهزاءهم
١٤٩	من المؤمنين (تفسير سورة الانشقاق)
١٥٣	أقوال العلماء في معنى الشفق
١٥٥	معنى لتر كبن طبقاً عن طبق
١٥٧	(تفسير سورة البروج)
١٥٨	الاحاديث والآثار في الشاهد والمشهود ومعناها
١٦٠	خبر أصحاب الاخدود وما ورد فيه من الاقوال
١٦٩	ترغيب المؤمنين في الثواب ووعيد الكافرين
١٧٠	بالعقاب
١٧١	شك الكفار وتكذيبهم وإحاطة الله بهم
١٧٢	من ورائهم
١٧٣	اللوح المحفوظ وما ورد فيه
١٧٤	(تفسير سورة الطارق)
١٧٥	كون كل نفس حافظ
١٧٦	خروج الماء الدافق من بين الصلب والترائب
١٧٨	كون القرآن هو القول الفصل ليس بالهزل
١٧٩	ولا بالباطل
١٨٠	(تفسير سورة الأعلى) والدليل على أنها
١٨١	مكية وقراءتها في العيدين والجمعة
١٨٢	أفعال الله العجيبة الدالة على القدرة الباهرة
١٨٣	شمول علم الله تعالى للجهر والسر والامر
١٨٤	بالتذكير لمن يتذكر
١٨٥	كون الزكاة والصلاة سبباً للفلاح
١٨٦	إثبات الخلق للحياة الدنيا الفانية على الآخرة
١٨٧	الباقية
١٨٨	موافقة تعاليم القرآن لما في صحف ابراهيم
١٨٩	وموسى
١٩٠	(تفسير سورة الفاشية)
١٩١	كفار أهل الكتاب وحبوط أعمالهم وكونها
١٩٢	لا تقبل
١٩٣	كل شيء بقدر
١٩٤	قسم الله بمخلوقاته الدالة على صنعته العجيب
١٩٥	إلهام الله للنفوس فجورها وتقواها وكون
١٩٦	الارض والحيال
١٩٧	الوعيد على الاعراض عن الله والكفر به
١٩٨	(تفسير سورة الفجر)
١٩٩	أقوال العلماء في المراد بالشفع والوتر
٢٠٠	إهلاك الله لعاد إرم ذات العماد
٢٠١	تحقيق كون المراد بآرم ذات العماد هي القبيلة
٢٠٢	قبيلة ثمود ونحوها للصخور والحيال
٢٠٣	طغيان فرعون وقومه في البلاد وفسادهم فيها
٢٠٤	إزال الله على فرعون وقومه سوطاً من
٢٠٥	العذاب
٢٠٦	تقرير ان الغنى لا يدل على رضوان الله ولا
٢٠٧	الفقر على مقته
٢٠٨	وعيد الله للفاصلين المعرضين بعذاب جهنم يوم
٢٠٩	تذك الارض
٢١٠	تذكر الانسان عند مشاهدة العذاب ولات
٢١١	حين تذكر
٢١٢	رجوع النفس المطمئنة إلى ربه اراضية مرضية
٢١٣	(تفسير سورة البلد)
٢١٤	خلق الله للانسان في كبد ومعناه
٢١٥	انكار الله على المتمردين الطغاة من خلقه
٢١٦	وبيان عجزهم
٢١٧	فضل إعتاق الارقاء والترغيب فيه والاحاديث فيه
٢١٨	فضل اطعام الطعام يتيماً ذامقربة أو مسكيناً
٢١٩	ذامقربة
٢٢٠	(تفسير سورة الشمس وضحاها)
٢٢١	قسم الله بمخلوقاته الدالة على صنعته العجيب
٢٢٢	إلهام الله للنفوس فجورها وتقواها وكون
٢٢٣	كل شيء بقدر

(د) (فهرس المسائل المهمة في الجزء التاسع من تفسيري ابن كثير والبغوي)

صفحة	صفحة
٢١٦	فلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها أي أحملها
٢١٧	تكذيب نوح بآية الله وعقرهم ناقته
٢١٩	(تفسير سورة الليل)
٢٢٠	اختلاف الناس وتباين أعمالهم وطبائعهم
٢٢١	تقليب الله للأفئدة وتسخيرها للشر أو للخير
٢٢٣	تيسير السعيد لعمل الخير والشقي لعمل الشر
٢٢٤	والاحاديث في ذلك
٢٢٤	كون الهداية من الله وملكه للآخرة والدنيا
٢٢٥	وتصرفه فيها بما يشاء
٢٢٥	بيان أنه لا يدخل النار الا من كذب بآيات
٢٢٦	الله وأعرض عنها
٢٢٦	تصدق أبي بكر في الاسلام وإعتاقه لكثير
٢٢٧	من الارقاء المسلمين
٢٢٧	التكبير في أول سورة الضحى وفيها بعدها
٢٢٨	من السور
٢٢٨	(تفسير سورة الضحى)
٢٢٩	قسم الله بالضحى والليل على أنه لم يترك نبيه
٢٢٩	ولم يبغضه
٢٣٠	إعطاء الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من فضله
٢٣١	حتى يرضى
٢٣١	منة الله على نبيه في إيوائه حال يئمه
٢٣٢	فضل الله على نبيه في ان اغناه بعد العيلة
٢٣٣	الامر بالرفق بطالب العلم والتحدث بنعمة
٢٣٤	الله وشكرها
٢٣٤	شكر نعمة الله تعالى وما ورد فيه
٢٣٥	(تفسير سورة ألم لشرح)
٢٣٦	شرح صدر النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد
٢٣٨	فيه من المعاني والاحاديث
٨٤٠	اقتران العسر باليسر وملازمته له
٢٤١	الامر بالاجتهاد وما ورد فيه
٢٤١	(تفسير سورة التين)
٢٤٢	التعجب ممن يكذب بيوم الدين وبيان ان الله
٢٤٤	أحكم الحاكمين
٢٤٤	(تفسير سورة اقرأ)
٢٤٥	والقول بانها أول القرآن نزولا
٢٤٥	بيان بدء الوحي وما ورد فيه
٢٤٦	نعت الانسان بالاشر والبطر عند الاستغناء
٢٤٨	إنكار الله على من ينهى عن الصلاة والوعيد
٢٥٠	الشديد في ذلك
٢٥٠	(تفسير سورة القدر)
٢٥١	والقول بانها في شهر رمضان
٢٥١	ما قيل في الالف شهر التي فضلت عليها
٢٥٣	ليلة القدر
٢٥٣	الاحاديث في وقت ليلة القدر وفي المراد
٢٥٥	بالالف شهر
٢٥٥	فضل ليلة القدر وفضل قيامها والترغيب فيها
٢٥٦	صفة نزول الملائكة في ليلة القدر وبيان
٢٥٧	المراد بالروح
٢٥٧	القول بأن ليلة القدر من خصائص هذه الامة
٢٥٨	وانها باقية لم ترفع
٢٦١	الاقوال في بيان وقت ليلة القدر
٢٦١	بيان الحكمة في إيهام ليلة القدر وما فيه من
٢٦٢	الفوائد والمزايا
٢٦٢	أثر غريب يتعلق بليلة القدر
٢٦٣	تفسير سورة لم يكن وقراءتها على أبي بن كعب
٢٦٤	الاحاديث الواردة في قراءة لم يكن على أبي
٢٦٦	ابن كعب
٢٦٦	منة الله على الكفار من اليهود والنصارى
٢٦٦	بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم
٢٦٦	تفرق الكفار من اهل الكتاب من بعد ما
٢٦٧	جاءتهم البينة
٢٦٧	شر البرية من اهل الكتاب وبيان خير البرية

صفحة	صفحة
٢٦٨	تفسير سورة الزلزلة وبيان انها جامعة لجميع
٢٦٩	الايام والنواهي
٢٧٠	بيان أن سورة الزلزلة تعدل نصف القرآن
٢٧١	شهادة الارض على العباد بما عملوا فوقها
٢٧٢	رجوع الناس من موقف الحساب أشتاتاً (انواعاً)
٢٧٣	منهم شقي وسعيد
٢٧٤	مجازاة كل امريء بعمله ان خيراً خفير وار
٢٧٥	شرأ فشر
٢٧٦	الاحاديث في مجازاة كل امريء بحسب عمله
٢٧٧	من خير أو شر
٢٧٨	تفسير سورة العاديات وبيان المراد بها
٢٧٩	القول بأن العاديات هي الابل
٢٨٠	القول بأن العاديات هي الابل في الحج
٢٨١	حجة الانسان للعالم وحرصه عليه وبخله به
٢٨٢	تفسير سورة الفارعة
٢٨٣	كون نار الدنيا جزءاً من سبعين جزءاً من
٢٨٤	نار الآخرة
٢٨٥	تفسير سورة التكاثر
٢٨٦	النهى عن اتفاخر والتكاثر بالاموال والاولاد
٢٨٧	بيان ان الفخر والفضل ليس بكثرة الاهد والمال
٢٨٨	سؤال العباد عما كانوا فيه من النعم وعن
٢٨٩	القيام بشكره
٢٩٠	تفسير سورة العصر وبيان فضلها ومزاياها
٢٩١	بيان ان الانسان في خسارة وهلاك الا المؤمنين
٢٩٢	الصالحين
٢٩٣	تفسير سورة الهمزة
٢٩٤	وعبد من أثر حب المال وبخل به والقائه
٢٩٥	في الخطمة
٢٩٦	تفسير سورة الفيل
٢٩٧	خبر أصحاب الفيل وماورد في شأنهم
٢٩٨	نكوص الفيل وامتناعه من دخول مكة
٢٩٩	إرسال الطير الابليل على أصحاب الفيل
٣٠٠	واهل اكهم
٣٠١	صفة الطير الابليل وما قيل في معناه
٣٠٢	بعض القصائد التي أنشدت في خبر أصحاب
٣٠٣	الفيل
٣٠٤	ماورد في حفظ الله لمكة وتحريمها
٣٠٥	تفسير سورة قريش وما ورد في فضلها
٣٠٦	منة الله على قريش باثنتلاثهم في رحلة الشتاء
٣٠٧	والصيف
٣٠٨	فضل الله على قريش بالعامهم لدى الجوع
٣٠٩	وأمنهم لدى الخوف
٣١٠	تفسير سورة الماعون
٣١١	وعيد الله للذين هم ساهون عن صلاحهم
٣١٢	التهني عن الرياء في الصلاة وماورد فيه
٣١٣	إنكار الله على من يمنع الماعون وذمه عليه
٣١٤	تفسير سورة الكوثر
٣١٥	صفة نهر الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ
٣١٦	وما ورد فيه
٣١٧	الامر بالاخلاص في العبادة ونحو المناسك
٣١٨	لله وحده
٣١٩	بيان أن من يبغض نبي ﷺ فهو كافر
٣٢٠	تفسير سورة قل يا أيها الكافرون
٣٢١	والاحاديث في الاوقات التي تقرأ فيها
٣٢٢	التبرؤ مما يعبد الكافرون واخلاص العبادة
٣٢٣	لله وحده
٣٢٤	الاقوال في نفي النبي ﷺ عبادة غير الله
٣٢٥	عن نفسه
٣٢٦	تفسير سورة النصر
٣٢٧	الاحاديث والا نوار في أن سورة النصر آخر
٣٢٨	القرآن زولا
٣٢٩	أقوال الصحابة في تفسير سورة النصر

صفحة	صفحة
٣٢٦ قول ابن عباس بأنها نزلت في نبي رسول الله ٣٤٢ ما ورد في الدعاء بما تضمنته سورة الاخلاص	٣٢٦
٣٢٧ صلى الله عليه وسلم	٣٢٧
٣٢٨ التسبيح والاستغفار في الصلاة والحث عليها ٣٤٣ فضل قراءة الاخلاص مع المعوذتين	٣٢٨
٣٢٩ خروج النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ٣٢٤ معنى الاحد واطلاقه في الاثبات على الله وحده	٣٢٩
٣٣٢ فتح مكة وما ورد فيه ٣٤٥ معنى اسمه تعالى الصمد وما ورد فيه	٣٣٢
٣٣٣ أمر الله نبيه بالتسبيح والاستغفار وما ورد فيه ٣٤٦ نفي الابوة والبنوة والكف والمثل عن الله تعالى	٣٣٣
٣٣٤ ﴿تفسير سورة المسد﴾ وتقدس ٣٤٧ ﴿تفسير المعوذتين﴾	٣٣٤
٣٣٥ وعيد الله لابي لهب بسبب كفره بنبيه محمد (ص) ٣٤٨ الاحاديث في إنبات أن المعوذتين من القرآن	٣٣٥
٣٣٧ امرأة أبي لهب وكفرها بالنبي وعداؤها للاسلام ٣٥١ الاقوال في معنى الفلق والمراد به	٣٣٧
٣٣٨ ﴿تفسير سورة الاخلاص﴾ وما ورد في فضائها وانها تعدل ثلث القرآن ٣٥٢ التعوذ من شر جميع الخلوقات	٣٣٨
٣٣٩ الاحاديث في أن سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن ٣٥٣ التعوذ من شر النفاثات في العقد	٣٣٩
٣٤٠ ثلث القرآن ٣٥٦ ﴿تفسير سورة الناس والتعوذ﴾ بالله من الوسواس	٣٤٠
٣٤١ كون قراءة سورة الاخلاص توجب الجنة ٣٥٧ ما ورد في وسوسة الشيطان للانسان	٣٤١
٣٤٢ وما ورد في ذلك ٣٥٨ الامر بالتعوذ من شياطين الانس والجن	٣٤٢
٣٤٣ ما ورد في تكرار سورة الاخلاص ٣٥٩ حديث النفس وما يقال عنده	٣٤٣

— بيان الخطأ المطبعي الواقع بالجزء التاسع من تفسير ابن كثير والبغوي وصوابه —

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٦	٦	(اقرءوا)	(فاقراءوا)
٦٦	٢٧	قائلوا	قائلوا
٦٧	١٠	يحجي	يحجي
٧٣	٧	اسأت	أسأرت
٨٩	٤	ازوجا	ازواجا
١٣٣	٢١	(مالذي غرك بربك الكريم)	(مالذي غرك بربك الكريم)
٢٦٥	١٧	منهين	منهين
٣٠٢	١٤	عزبز	عزبز

— فهرس فضائل القرآن —

صفحة	صفحة
٢	كيف أنزل الوحي وأول ما أنزل
٣	إنزال القرآن جملة الى سماء الدنيا في ليلة القادر
٢٦	ثم إنزاله بعد ذلك نجوما في عشرين سنة
٢٨	بيان المكي والمدني من القرآن والضابط
٣٠	في ذلك
٣١	بيان المراد من الاحرف السبع
٣٣	المراد بابواب الجنة السبعة
٣٤	أقوال العلماء في معنى السبعة الاحرف
٣٧	﴿فصل﴾
٣٧	تأليف القرآن
٣٨	تأليف سورة وترتيبه
٣٩	مصاحف قراء الصحابة
٤٠	ترتيب سورة توقيف لا اجتihad
٤١	مصحف ابن مسعود
٤٢	﴿فصل في نقط المصحف وشكله﴾
٤٢	معارضة جبريل والتي (ص) للقرآن
٤٣	القراء من أصحاب النبي (ص)
٤٥	بعض من جمعه من الصحابة
٤٨	نزول السكينة والملائكة عند القراءة
٤٩	رؤية أسيد بن حضير للملائكة
٥٠	من قال لم يترك النبي (ص) إلا ما بين الدفتين
٥١	فضل القرآن على سائر الكلام
٥٢	الوصاة بكتاب الله
٥٣	من لم يتغن بالقرآن
٥٥	فصل في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر
٥٦	أحكام التلاوة بالاصوات
٥٦	تحقيق معنى التغي بالقرآن
٥٧	الاحاديث في التغي بالقرآن
٥٨	حظر قراءته بلحون أهل الفسق المبتدعة
٢	٢
٣	٣
٤	٤
٥	٥
٦	٦
٧	٧
٨	٨
٩	٩
١١	١١
١٥	١٥
١٦	١٦
١٧	١٧
١٨	١٨
١٩	١٩
٢٠	٢٠
٢٢	٢٢
٢٣	٢٣
٢٤	٢٤

صفحة	صفحة
٥٩	حظر قراءته بتطريب أهل اللهو
٦١	اغتياب صاحب القرآن
٦٢	أحاديث في القبطة
٦٣	خيركم من تعلم القرآن وعلمه
٦٥	القراءة عن ظهر قلب
٦٦	فوائد تلاوته في المصحف وتلقيه من اللسان
٦٧	استذكار القرآن وتعاونه
٦٩	الوعيد الشديد على نسيانه أو شيء منه
٧٠	القراءة على الدابة وسائر المواضع
٧١	تعلم الصبيان القرآن
٧٢	نسيان القرآن وهل يقول نسييت آية كذا
٧٣	من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا
٧٤	الترتيل في القراءة
٧٥	مد القراءة
٧٦	الترجيع
٧٦	حسن الصوت بالقراءة
٧٧	من أحب أن يسمع القراءة من غيره
٧٧	قول المقرئ للقارئ حسبك
٧٨	في كم يقرأ القرآن؟ وقول الله تعالى (فاقرأوا ما تنسرونه)
٨٠	ختمه في ثلاث
٨١	من قرأه في ليلة أو ركعة أو أقل
٨٣	البكاء عند قراءة القرآن
٨٣	من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو نحر به
٨٤	اقرأوا القرآن ما أثقلت عليه قلوبكم
٨٥	كراهة الخلاف والمرأه فيه
٨٦	(كتاب الجامع) لأحاديث شتى تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله
٨٧	أحاديث شتى في القرآن وتلاوته
٨٩	فضل قراءته وقراءه
٩٠	الدعاء لحفظه وطرده النسيان
٩٢	أحاديث في فضائل قارئ القرآن

﴿ بيان الخطأ المطبعي الواقع في كتاب فضائل القرآن ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٧	١١	إن تقرأ	أن تقرأ	٥١	٢	الذي	الذين
٣٢	٢	هوازن	هوازن	٥٤	٢٤	التصدير	لتصدير
٤٥	٨	ولم يجمع	ولم يجمع (١)	٥٧	١٨	إلا	إلى
٤٦	١٧	الحديث (١)	الحديث	٥٨	١٨	حنظ	حنظلة

﴿ استدراك ﴾ الحاشية نمرة (١) الموضوعه سهوآ في صفحة (٤٦) هي تعليق على حديث أنس المذكور

في صفحة (٤٥) عند ذكر من جمع القرآن على عهد النبي (ص)





الجزء التاسع



من تفسير الحافظ ابن كثير

هو الامام البجلي الحافظ عماد الدين أبو الفراء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن

محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر

في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه

في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف

المصححة على نسخة المؤلف .

ويليه في أدنى الصفائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوي المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو

محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «بمحي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصاييح

والتفسير المسمى معالم التنزيل . . . كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً

بين العلم والعمل ، سالك سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية . ومحي السنة المحمدية

إلى عبد العزيز السعدي

بملك النجاشي تبارك وتعالى

38740

مطبوعة الملك عبد العزيز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلد التاسع من تفسير الحافظ ابن كثير﴾

تفسير سورة نوح عليه السلام وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم (١) قال

يُقوم إني لكم نذير مبين (٢) أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون (٣) يغفر لكم من ذنوبكم

ويؤخركم إلى أجل مُسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون (٤)

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أرسله الى قومه آمراً له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فإن تابوا وأنبأوا دفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين) أي بين النذارة ظاهر الامر واضحة (أن اعبدوا الله واتقوه) أي اتركوا محارمه واجتنبوا ما أمره (وأطيعون) فيما أمركم به وأنهاكم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أي اذا فعلتم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المجلد التاسع من تفسير ناصر السنة البغوي﴾

﴿سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك﴾ أي بأن أنذر قومك ﴿من قبل أن يأتهم عذاب أليم﴾ المعنى إنا أرسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾ أنذرهم وأبين لكم ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم﴾ من صلة أي يغفر لكم ذنوبكم ،

ما أصركم به وصدقتم ما أرسلت به اليكم غفر الله لكم ذنوبكم ، ومن ههنا قيل انها زائدة ولكن القول بزيادتها في الاثبات قليل ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر ، وقيل انها بمعنى عن تقديره بصفحة لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل انها لتبعض أي يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدمكم على ارتكابكم إياها الانتقام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أي يمد في أعماركم ويدبر أعماركم العذاب الذي إن لم تجنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم وقد يستدل بهذه الآية من يقول ان الطاعة والبر وصلة الرحم يزداد بها في العمر حقيقة كما ورد به الحديث « صلة الرحم تزيد في العمر »

وقوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعملون) أي بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة فانه اذا أمر تعالى يكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذي قد قهر كل شيء العزيز الذي دانت له عزته جميع المخلوقات

قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً (٥) فلم يزدكم دعائي الا فراراً (٦) واني كلما

دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً (٧)

ثم اني دعوتهم جهاراً (٨) ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً (٩) فقلت استغفروا ربكم

انه كان غفاراً (١٠) يرسل السماء عليكم مدراراً (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم

جنات ويجعل لكم أنهاراً (١٢) مالكم لا ترجون لله وقاراً (١٣) وقد خالقكم أطواراً

(١٤) ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً (١٥) وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس

سراجاً (١٦) والله أنبتكم من الارض نباتاً (١٧) ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً (١٨) والله جعل

لكم الارض بساطاً (١٩) لتسلكوا منها سبلاً بجاجاً (٢٠)

ينجز تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام انه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة الا خمسين عاماً وما بين قومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشd والسبيل الا قوم فقال (رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً) أي لم أترك دعاءهم في ليل

وقيل يعني ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض ذنوبهم « ويؤخركم الى أجل مسمى » أي يضافكم الى متنى آجالكم فلا يعاقبكم « ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعملون » يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولا يمكنكم الايمان « قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً فلم يزدكم دعائي الا فراراً » نفاراً وإدباراً عن الايمان « واني كلما

٤ مبالغة قوم نوح في الاعراض عن دعوته وأصرارهم واستكبارهم (تفسير ابن كثير والبغوي)

ولا نهار امتثالا لأمرك وابتغاء اطاعتك (فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً) أي كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) أي سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ما أدعوه اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش [وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون] (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم

وقال سعيد بن جبيرة والسدي غطوا رؤسهم لئلا يسمعوا ما يقرء (وأصروا) أي استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم العظيم (واستكبروا استكباراً) أي واستنكفوا عن اتباع الحق والالتقياد له [ثم إني دعوتهم جهاراً] أي جبهة بين الناس (ثم إني أعلنت لهم) أي كلما ظاهراً بصوت عال (وأسررت لهم إسراراً) أي فيما بيني وبينهم فزوع عليهم الدعوة لتكون أنجح فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً) أي ارجعوا اليه وارجعوا عما أنتم فيه ، وتوبوا اليه من قريب فانه من تاب اليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه معها كانت في الكفر والشرك ، ولهذا قال (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً) أي متواصلة الامطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية ، وهكذا روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقي فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات في الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً) ثم قال « لقد طلبت الغيث بمجادح السماء التي يستنزل بها المطر ، وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضاً وقوله تعالى (واعدكم بأموال وبنين وبجمل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) أي اذا تبتم إلى

دعوتهم » إلى الإيمان بك « لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم » لئلا يسمعوا دعوتي « واستغشوا ثيابهم » غطوا بها وجوههم لئلا يروني « وأصروا » على كفرهم « واستكبروا » عن الإيمان بك « استكباراً » ثم إني دعوتهم جهاراً « معلناً بالدعاء » قال ابن عباس بأعلى صوتي « ثم إني أعلنت لهم » أي كررت الدعاء معلناً « وأسهرت لهم إسراراً » قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل أكلمه سرّاً بيّني وبينه أدعوه إلى عبادتك وتوحيدك « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً » وذلك أن قوم نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلك أولادهم وأموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم من الشرك . أي استدعوا المغفرة بالتوحيد (يرسل السماء عليكم مدراراً)

وروى مطرف عن الشعبي أن عمر (رض) خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت ، فقال : طلبت الغيث بمجادح السماء التي يستنزل بها القطر ثم قرأ (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً) (واعدكم بأموال وبنين) قال عطاء :

الله واستغفر نعمه وأطعموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء. وأنبت لكم من بركات الارض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الاموال والاولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وغلها بالانهار الجارية بينها ، هذا مقام الدعوة بالترغيب ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (ما لكم لا ترجون لله وقاراً ؟) أى عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظمته أى لا تخافون من بأسه وتقمته (وقد خلقكم أطواراً) قيل معناه من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقناة ويحيى بن رافع والسدى وابن زيد

وقوله تعالى (ألم ترأ كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ؟) أى واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السم فقط ؟ أو هو من الامور المدركة بالحواس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضها فادناها القمر في السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد في الثانية والزهرة في الثالثة ، والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة ، وأما بقية الكواكب وهي الثوابت ففي فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمقشرون منهم يقولون هو الكرمي ، والفلك التاسع وهو الاطلس والاثير عندهم الذي حركته على خلاف حركة سائر الافلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهي من المغرب إلى المشرق ، وسائر الافلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعاً ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب إلى المشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة والشمس في كل سنة مرة وزحل في كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع في السرعة متناسبة هذا ملخص ما يقولونه في هذا المقام على اختلاف بينهم في مواضع كثيرة لنا بصدد بيانها وانما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس مرجاً) أي قاوت بينهما في الاستنارة فجعل كلا منهما نعمة وذا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها ، وقد رلقمر منازل وبروجا وقاوت نوره فتارة يزداد حتى ينتهي ثم بشرع في النقص حتى يستسر ليدل على مضي الشهور والاعوام كما قال تعالى

يكثر أموالكم وأولادكم ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون لله وقاراً قال ابن عباس ومجاهد لا ترون الله عظمة وقال سعيد بن جبير ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته وقال الكلبي لا تخافون الله حق عظمته ، والرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم ، قال الحسن لا تعرفون الله حقاً ولا تشكرون له نعمة ، قال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم على توقيركم إياه خيراً (وقد خلقكم أطواراً) تارات حالاً بعد حال نطفة ثم علقه ثم مضغة الى تمام الخلق (ألم ترأ كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نورا) قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما يقال أنبت

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون)

وقوله تعالى (والله أنبتكم من الارض نباتاً) هذا اسم مصدر والانيان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أي اذا تمتم (ويخرجكم إخراجاً) أي يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة [والله جعل لكم الارض بساطاً] أي بسطها ومهدا وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشاخحات (لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً) أي خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينهمهم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته في خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والارضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والارض مهاداً وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحده ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عدل له ولا ند ولا كف ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلي الكبير

قال نوح ربّ لهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده الا خساراً (٢١) ومكروا

مكرآ كُباراً (٢٢) وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق

ونسراً (٢٣) وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين الا ضلالاً (٢٤)

يقول تعالى مخبراً عن نوح عليه السلام أنه أنهى اليه وهو العليم الذي لا يعزب عنه شيء انه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى انهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهي في نفس الامر استدراج وانظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً) قريء وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب

بني تميم وانما أتى بعضهم وفلان متوار في دور بني فلان وهو في دار واحدة، وقال عبد الله بن عمر ان الشمس والقمر وجوههما إلى السموات وضوء الشمس ونور القمر فيهن وأقفيتهما إلى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ مصباحاً مضيئاً ﴿والله أنبتكم من الارض نباتاً﴾ أراد مبدأ خلق أبي البشر آدم خلقه من الارض والناس ولده قوله (نباتاً) اسم جعل في موضع المصدر أي إنباتاً قال الخليل مجازة فنبتم نباتاً ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ بعد الموت ﴿ويخرجكم﴾ منها بعد البعث أحياء ﴿إخراجاً﴾ والله جعل لكم الارض بساطاً ﴿فرشها وبسطها لكم﴾ لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴿طرقاً واسعة﴾ قال نوح ربّ إنهم عصوني ﴿يعني لم يجيبوا دعوتي﴾ واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً ﴿يعني اتبع السفلة والفقراء والقادة والرؤساء الذين هم لم يزددهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً

وقوله تعالى (ومكروا مكراً كباراً) قال مجاهد كباراً أي عظيماً ، وقال ابن زيد كباراً أي كبيراً والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ، ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى في قوله تعالى (ومكروا مكراً كباراً) أي باتباعهم في تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة [بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً] ولهذا قال ههنا [ومكروا مكراً كباراً] وقالوا لا نذرنا آلهتكم ولا نذرنا وداً ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسراً] وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله

قال البخاري حدثنا ابراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراذم لبني غطفان بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحير لآل ذي كلاع وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالستهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقنادة وابن اسحاق نحو هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كانت هذه أصنام تعبد في زمن نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس (ويغوث ويعوق ونسراً) قال كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة شيث عليه السلام من طريق اسحاق بن بشر قال أخبرني جويهر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولداً عشرون غلاماً وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقايل وصالح وعبد الرحمن الذي كان سماه عبد الحارث ، وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان أخوته قد سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر

في الدنيا وعقوبة في الآخرة ﴿ ومكروا مكراً كباراً ﴾ أي كبيراً عظيماً ، قال كبير وكبار بالتخفيف وكبار بالتشديد شدد المبالغة وكلها بمعنى واحد كما يقال أمر عجيب وعجاب وعجاب والتشديد أشد في المبالغة واختلفوا في معنى مكروا ، قال ابن عباس قالوا قولاً عظيماً ، قال الضحاك افتروا على الله وكذبوا رسوله وقيل منع الرؤسا اتباعهم عن الايمان بنوح وحرشوم على قتله ﴿ وقالوا ﴾ لهم ﴿ لا نذرنا آلهتكم ﴾ أي عبادتها ﴿ ولا نذرنا وداً ﴾ قرأ أهل المدينة بضم الواو والباقون بفتحها ﴿ ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ هذه أسماء آلهتهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عمر الدوري حدثني اسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرم عن أبي حنيفة عن عروة بن الزبير قال : اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويعقوب ويعقوب وسواع ونسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبي المطهر قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم بصلي يزيد بن المهلب ، قال فلما انقضى من صلاته قال ذكرتم يزيد بن المهلب أما انه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلاً مسلماً وكان محبباً في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة انسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا نعم فصور لهم مثله قل ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه ، فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه ؟ قالوا نعم ، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به ، قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله ود الصنم الذي سموه ود

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيراً) يعني الاصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقاً كثيراً فإنه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه [واجنبي وبني أن نعبد الاصنام رب انهن أضلان كثيراً من الناس]

قال محمد بن كعب هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان لهم أتباع يقتدون بهم ويأخذون بعدهم ما خدعهم في العبادة فجاءهم إبليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان أنشط لكم وأشوق إلى العبادة ففعلوا ، ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم إبليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فابتدأ عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور أولئك القوم من المسلمين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت تعبد في قوم نوح في العرب بعده : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع فكانت لهذيل وأما يعقوب فكانت لمراد ثم لبني غطفان بالجوف ، وأما يعقوب فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحير لآل ذي الكلاع وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالستهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباباً وسموها بأسمائهم ففعلوه فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب أصنام آخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم ونطفان وجثيم

وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه لئلا يرددهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله [ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم] وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

مما خطيئتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا (٢٥) وقال

نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا (٢٦) إنك ان تذرهم يضلوا عبادك

ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا (٢٧) رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا

ولم يؤمنين والمؤمنين ولا تزد الظالمين إلا تبارا (٢٨)

يقول تعالى (مما خطيئتهم) وقرئ خطابا لهم (أغرقوا) أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم واصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فأدخلوا نارا) أي نزلوا من تيار البحار الى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يكن لهم معين ولا معيذ ولا محيّر ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك ديارا واحدا وقال السدي الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فاهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعزل عن أبيه وقال (سأوى الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المفارقة)

وقال ابن أبي حاتم قرأ علي بن يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبا فلما بلغ الماء منكبا وضعت

ومناة لقديد وأساف ونائلة وهبل لاهل مكة (وقد أضلوا كثيرا) أي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس كقوله عز وجل (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) وقال مقاتل أضل كبرائهم كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) هذا دعاء عليهم بعد ما أعلم الله نوحا انهم لا يؤمنون ، وهو قوله إنه ان يؤمن من قومك إلا من قد آمن (مما خطيئتهم) أي من خطيئاتهم وما صلة وقرأ أبو عمرو خطابا وكلاهما جمع خطيئة (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) قال الضحاك هي في حالة واحدة في الدنيا يفرقون من جانب ويحترقون من جانب وقال مقاتل فأدخلوا نارا في الآخرة (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) لم يجدوا أحدا يمنعهم من عذاب الله الواحد القهار (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أحدا يدور في الأرض فيذهب وبجيء من الدوران

ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحداً لرحم هذه المرأة » هذا حديث غريب ورجاله ثقة ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه

وقوله تعالى (إنك ان تذرهم يضلوا عبادك) أي إنك ان ابقيت منهم أحداً أضلوا عبادك أي الذين تخلفهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أي فاجرا في الاعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم قال (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو انه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن

وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التميمي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا نصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي إنما نعرفه من هذا الوجه

وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) دعا لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك بعم الاحياء منهم والاموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والادعية المشهورة المشروعة . وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) قال السدي إلا هلاكاً وقال مجاهد إلا خساراً أي في الدنيا والآخرة

﴿ آخر تفسير سورة نوح عليه السلام والله الحمد ﴾

وقال القتيبي ان أصله من الدار أي نازل داراً ﴿ إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ﴾ قال ابن عباس والكلبي ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول احذر هذا فإنه كذاب وان أبي حذرنه ، فيموت الكبير وينشأ الصغير عليه ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ قال محمد بن كعب ومقاتل والربيع وغيرهم انما قال نوح هذا حين أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعمق أرحام نسائهم وأبيس أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل وتسعين سنة وأخبر الله نوحاً أنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم نوح فأجاب الله دعاءه وأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى قال (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) ولم يوجد التكذيب من الاطفال ﴿ رب اغفر لي ولوالدي ﴾ واسم أبيه ملك بن متوشلخ واسم أمه سمحاء بنت نوش وكانا مؤمنين ﴿ ولمن دخل بيتي ﴾ داري ﴿ مؤمناً ﴾ وقال الضحاك والكلبي مسجدي وقيل سفيني ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ هذا عام في كل من آمن بالله وملائكته وصدق الرسل ﴿ ولا تزد الظالمين إلا تباراً ﴾ هلاكاً ودماراً فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم

تفسير سورة الجن وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا (١) يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا (٢) وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (٣) وأنه كان يقول سفيها على الله شططا (٤) وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا (٥) وأنه كان رجال من الانس يهودون برجال من الجن فزادوهم رهقا (٦) وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (٧)

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه واتقادوا له فقال تعالى (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد) أي إلى السداد والنجاح (فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (واذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) وقد قدمنا الأحاديث الواردة في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (جد ربنا) أي فعله وأمره وقدرته وقال الف حاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروى عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة تعالى جلاله وعظمته وأمره، وقال السدي تعالى أمر ربنا وعن أبي الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) أي تعالى ربنا، فأما ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن سويد الكوفي حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن ابن عباس قال: الجد أب ولو علمت الجن أن في الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا فهذا اسناد جيد ولكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام ولعله قد سقط شيء والله أعلم

﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة استمعوا قراءة النبي ﷺ ذكرنا خبرهم في سورة الاحقاف ﴿فقالوا﴾ لما رجعوا إلى قومهم ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ قال ابن عباس بليغا أي قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته ﴿يهدي إلى الرشد﴾ يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان ﴿فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ وأنه تعالى جد ربنا ﴿قرأ أهل

وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) أي تعالى عن اتخاذ صاحبة والاولاد ، أي قالت الجن تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ صاحبة والولد ثم قالوا (وأنه كان يقول سفيهاً على الله شططاً) قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي (سفيهاً) يعنون إبليس [شططاً] قال السدي عن أبي مالك [شططاً] أي جوراً . وقال ابن زيد أي ظملاً كبيراً
 وبمحمل أن يكون المراد بقولهم سفيهاً اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً ولهذا قالوا (وأنه كان يقول سفيهاً) أي قبل إسلامه [على الله شططاً] أي باطلاً وزوراً ولهذا قالوا [وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذباً] أي ما حسبنا أن الانس والجن يمالئون على الكذب على الله تعالى في نسبة الصاحبة والولد اليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلك

وقوله تعالى [وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً] أي كنا نرى أن لنا فضلاً على الانس لانهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكاناً موحشاً من البراري

الشام والكوفة غير أبي بكر عن عاصم وأنه تعالى بفتح الهمزة وكذلك ما بعده إلى قوله (وأنا منا المسلمون) وقرأ الآخرون بكسر هـ ، وفتح أبو جعفر منها وأنه وهو ما كان مردوداً على الوحي وكسر ما كان حكاية عن الجن ، والاختيار كسر الكل لانه من قول الجن قومهم فهو معطوف على قوله فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً) وقالوا (وأنه تعالى) ومن فتح رد على قوله (فأما به) وآمنا بكل ذلك ففتح أن لوقوع الايمان عليه (جد ربنا) جلال ربنا وعظمته ، قاله مجاهد وعكرمة وقتادة يقال جد الرجل أي عظم ، ومنه قول أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أي عظم قدره وقال السدي (جد ربنا) أي أمر ربنا ، وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل للحظ جد ورجل مجذود ، قال ابن عباس قدرة ربنا ، وقال الضحاك فعله ، وقال القرطبي آلاؤه ونعائمه على خلقه ، وقال الاخفش علامك ربنا ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ﴾ قيل تعالى جلاله وعظمته عن أن يتخذ صاحبة وولداً ﴿ وأنه كان يقول سفيهاً ﴾ جاهلنا وقال مجاهد وقتادة هو إبليس ﴿ على الله شططاً ﴾ كذباً وعدواناً وهو وصفه بالشريك والولد ﴿ وأن ظننا ﴾ حسبنا ﴿ أن لن تقول الانس والجن ﴾ قرأ يعقوب تقول بفتح الواو وتشديد يدها ﴿ على الله كذباً ﴾ أي كنا نظنهم صادقين في قولهم ان الله صاحبة وولداً حتى سمعنا القرآن

قال الله ﴿ وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴾ وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا سافر قامسى في أرض قهر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف ابن أحمد بن مالك ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن اسحاق المروزي ثنا موسى بن سعيد بن النعمان

وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم بشيء يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أي خوفا وإرهابا وذعرأ حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أي إنما ازدادت الجن عليهم بذلك جرأة ، وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (فزادوهم رهقا) أي ازدادت الجن عليهم جرأة

وقال السدي : كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلهما فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادي من الجن أن أضرب أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي ، قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير بن حريث عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الانس كما يفرق الانس منهم أو أشد فكان الانس إذا نزلوا وأدبا هرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد اهل هذا الوادي فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الانس فأصابوهم بالحبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي إنما . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أي خوفا . وقال العوفي عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أي إنما وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المغراء الكندي حدثنا القاسم بن مالك - يعني المزني - عن عبد الرحمن بن اسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فأنا والمبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك ، فنادي مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله . فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة ، وأنزل الله على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ثم قال وروي عن عبيد بن

ابن بطرسوس ثنا فروة بن أبي المغراء الكندي ثنا القاسم بن مالك عن عبد الرحمن بن اسحاق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الانصاري قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فأنا والمبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال يا عامر الوادي جارك فنادي مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ بمكة (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) (فزادوهم) يعني زاد الانس والجن باستعاذتهم بقادتهم (رهقا) قال ابن عباس إنما وقال مجاهد طغيانا وقال مقاتل غيا ، قال الحسن شرا قال إبراهيم عظمة وذلك أنهم

عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحبل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الانسي ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهيئه ويخرجه عن دينه والله أعلم وقوله تعالى (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) أي لن يبعث الله بعد هذه المدرة سولا . قاله الكلبي وابن جرير

وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (٨) وأنا كنا نقعد منها مقعدا

للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (٩) وأنا لا ندرى أشرا أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا (١٠)

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على السنة الكهنة فيلبس الامر ويختلط ولا يدري من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا رصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحرقه وبهلكه (وأنا لا ندرى أشرا أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) أي ما ندرى هذا الامر الذي قد حدث في السماء لا ندرى أشرا أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث استندوا الشر الى غير فاعل والخير أضافوه الى الله عز وجل . وقد ورد في الصحيح « والشر ليس اليك » وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الاحيان بعد الاحيان كما في حديث العباس بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » فقلنا كنا نقول يولد عظيم يموت عظيم فقال « ليس كذلك » ولكن الله اذا قضى الامر في السماء . وذكر تمام الحديث وقد أوردناه في سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا بضربون مشارق الارض ومغاربها فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ بأصحابه في الصلاة

كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا يقولون سدننا الجن والانس ، والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم (وأنهم ظنوا) يقول الله تعالى ان الجن ظنوا (كما ظننتم) يا مغشرك الكفار من الانس (أن لن يبعث الله أحداً) بعد موته (وأنا) تقول الجن (لمسنا السماء) قال الكلبي السماء الدنيا (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) من الملائكة (وشهبا) من النجوم (وأنا كنا نقعد منها) من

فعرفوا أن هذا هو الذي حفظت من أجله السماء، فآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقي كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الاحقاف [وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن] الآية . ولا شك أنه لما حدث هذا الامر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك الانس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الارض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبيا رسولا رجوا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا هلاك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم وبسييون مواشيهم فقال لهم عبد يابل بن عمرو بن عمير : ويحكم بامعشر أهل الطائف أمسكوا عن مالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً ﷺ وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فأروها فكنهوا عن أموالهم وفضعت الشياطين في تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذي كان من أمرهم فقال اتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأنوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلالهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من (كتاب السيرة) المطولة والله أعلم والله الحمد والمنة

وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا (١١) وأناظننا أن لن نعجز الله

في الارض ولن نعجزه هرباً (١٢) وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف

بخصا ولا رهقاً (١٣) وأنا منا المسلمون ومنا القسسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً (١٤)

وأما القسطن فكانوا لجنهم خطباء (١٥) وأن لو استقموا على الطريقة لأسقينهم ماء غدقا

(١٦) لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً (١٧)

السماء (مقاعد للسمع) أي كنا نستمع (فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) أرصد له ليرمى به قال ابن قتية إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة الحراسة وكانوا يستترقون في بعض الاحوال فلما بعث النبي ﷺ منعوا من ذلك أصلاً ثم قالوا (وأنا لاندري أشر أريد من في الارض) برمي الشهب (أم أراد بهم ربهم رشداً) وأنا منا

يقول تعالى مخبراً عن الجن انهم قالوا مخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي غير ذلك) كنا طرائق قدداً أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قدداً) أي منا المؤمن ومنا الكافر

وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحشل حدثنا علي بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول تروح الينسا جني فقلت له ما أحب الطعام اليكم ؟ فقال الارز قال فأتيناكم به فجعلت أرى القمم ترفع ولا أرى أحداً فقلت فيكم من هذه الالهواء التي فينا ؟ قال نعم ، فقلت فما الرافضة فيكم ؟ قال شرنا . عرضت هذا الاسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني فقال هذا اسناد صحيح إلى الأعمش . وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد :

قلوب براها الحب حتى تعلقت مذهبها في كل غرب وشارق

نهم بحب الله والله ربها معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هرباً) أي نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لانعجزه في الارض ولو أمعنا في الحرب فانه علينا قادر لا يعجزه أحد منا (وأنا لما سمعنا الهدى آمناً به) يفنخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فنؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظالماً ولا هاتماً) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فانه العادل (فنأسلم فأولئك تحروا رشداً) أي طلبوا لأنفسهم النجاة وأما القاسطون فكانوا الجنة خطايا أي وقوداً تسعيرهم

الصالحون ومنا دون ذلك) دون الصالحين (كنا طرائق قدداً) أي جماعات متفرقين واصنافاً مختلفة والقدة القطعة من الشيء . يقال صار القوم قدداً إذا اختلفت حالانهم وأصلها من القد وهو القطع ، قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل أهواء مختلفة ، وقال الحسن والسدي الجن أمثالكم فمنهم قديرة ومرجئة ورافضة ، وقال ابن كيسان شيعة وفرقا لكل فرقة هوى كأهواء الناس ، وقال سعيد بن جبير ألوانا شتى ، وقال أبو عبيدة أصنافاً (وأنا ظننا) علمنا وأيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) أي لن نفوته ان أراد بنا أمراً (ولن نعجزه هرباً) ان طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن وما أتى به محمد (آمناً به فنؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً) ظالماً وقيل مكروهاً يقشاه (وأنا منا المسلمون) وهم الذين آمنوا بمحمد ﷺ (ومنا القاسطون) الجائرون العادلون عن الحق ، قال ابن عباس الذين جعلوا الله نداً يقال أقسط الرجل إذا عدل فهو مقسط وقسط إذا جار فهو قاسط (فنأسلم فأولئك تحروا رشداً) أي قصدوا طريق الحق وتوخوه (وأما القاسطون)

وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه) اختلف المفسرون في معنى هذا على قواين (أحدهما) وأن لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا اليها واستمروا عليها (لأسقيناهم ماء غدقا) أي كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وكقوله تعالى [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض] وعلى هذا يكون معنى قوله [لنفتنهم فيه] أي لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبقيهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الضلالة؟ ذكر من قال بهذا القول، قال العوفي عن ابن عباس [وأن لو استقاموا على الطريقة] يعني بالاستقامة الطاعة، وقال مجاهد [وأن لو استقاموا على الطريقة] قال الاسلام وكذا قال سعيد بن جبير وسعيد ابن المسيب وعطاء والسدي ومحمد بن كعب القرظي، وقال قتادة [وأن لو استقاموا على الطريقة] يقول لو آمنوا كلهم لا وسعنا عليهم من الدنيا. وقال مجاهد [وأن لو استقاموا على الطريقة] أي طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء، أو أكثرهم قالوا في قوله [لنفتنهم فيه] أي لنبتليهم به.

وقال مقاتل زلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين، والقول الثاني [وأن لو استقاموا على الطريقة] الضلال [لأسقيناهم ماء غدقا] أي لا وسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى [فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبسورون] وكقوله (يحسبون أننا نمدحهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون؟) وهذا قول أبي مجلز لاحق بن حميد فانه قال في قوله تعالى [وأن لو استقاموا على الطريقة] أي طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وحكاه البغوي عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان وله أنجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه

الذين كفروا ﴿ فكانوا لهم حطبا ﴾ كانوا وقود النار يوم القيامة ثم رجع إلى كفار مكة فقال ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة ﴾ اختلفوا في تأويلها فقال قوم لو استقاموا على طريقة الحق والابمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين ﴿ لأسقيناهم ماء غدقا ﴾ كثيرا قال مقاتل وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين وقالوا معناه لو آمنوا لو وسعنا عليهم في الدنيا وأعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا، وضرب الماء الفلق مثلا لان الخير والرزق كله في المطر كما قال [ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم] الآية، وقال [ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء] الآية

وقوله تعالى ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ أي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا؟ وهذا قول سعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقاتل والحسن، وقال آخرون معناها وأن لو استقاموا على

١٨٧ الامر بأفراد الله تعالى وحده بالعبادة والدعاء في المساجد (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

وقوله [ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا] أي عذابا مشقيا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد [عذابا صعدا] أي مشقة لراحة معها ، وعن ابن عباس جبل في جهنم وعن سعيد بن جبير بئر فيها

وأن المسجِد لله فلا تدعوا مع الله أحدا (١٨) وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا (١٩) قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قل إني لا أملك لكم ضرًّا ولا رَشَدًا (٢١) قل إني لن يَجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا (٢٢) إلا بلغامن الله ورسَلته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خُلِدَ فيها أبدا (٢٣) حتى إذا رَأَوْا مايو عدون فسِيَهُ لَمَوْنٍ مِنْ أَضْغَفٍ نَاصِرًا وَاقِلًا عِدَدًا (٢٤)

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه في محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله [وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا] قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويعيهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده

وقال ابن أبي حاتم ذكر علي بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدي أخبرنا رجل مماء عن السدي عن أبي مالك أو أبي صالح عن ابن عباس في قوله [وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض معسدا إلا المسجد الحرام ومسجد أبيي بيت المقدس وقال الأعمش قالت الجن يا رسول الله أئذن لنا فذهب معك الصلوات في مسجدك فأبزل الله تعالى [وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] يقول صلوا لا تخالطوا الناس

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن محمود

طريقة الكفر والضلالة لا عطيتناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا حتى يفتنوا بها فنعذبهم وهذا قول الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبي وابن كيسان كما قال الله [فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء الآية] ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه﴾ قرأ أهل الكوفة ويعقوب يسلكه بالياء وقال الآخرون بالنون أي ندخله ﴿عذابا صعدا﴾ قال ابن عباس شاقا والمعنى ذا صعد أي ذا مشقة ، قال قتادة لا راحة فيه ، وقال مقاتل لا فرح فيه ، قال الحسن لا يزداد إلا شدة والاصل فيه أن الصعود يشق على الإنسان ﴿وأن المساجد لله﴾ يعني المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ قال قتادة كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم ويعيهم أشركوا بالله فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد وأراد بها

عن سعيد بن جبیر [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا] قال قالت الجن للنبي الله ﷺ كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون؟ أي بعيدون عنك وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت [وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا]

وقال سفيان عن خضيف عن عكرمة نزلت في المساجد كلها، وقال سعيد بن جبیر نزلت في أعضائه السجود أي هي الله فلا تسجدوا بها لغيره، وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله ابن طارص عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة - أشار بيده إلى أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين»

وقوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال العوفي عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبي ﷺ يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه (قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن) يستمعون القرآن هذا قول وهو مروي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه

وقال ابن جرير حدثني محمد بن معمر حدثنا أبو هشام عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: قال الجن لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال لما رأوه يصلي وأصحابه يركعون يركعونه ويسجدون يسجدونه قال عجبوا من طواعة أصحابه له

المساجد كلها، وقال الحسن أراد بها البقاع كلها لأن الأرض جعلت كلها مسجدا للنبي ﷺ وقال سعيد بن جبیر قالت الجن للنبي ﷺ كيف لنا أن نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون فنزلت [وأن المساجد لله] وروى عن سعيد بن جبیر أيضا أن المراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها الإنسان وهي سبعة الجبهة واليدين والركبتان والقدمان يقول هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا علي بن الحسن الهلالي والسري بن خزيمة قالنا ثنا يعلى بن أسد ثنا وهيب عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء الجبهة - وأشار بيده إليها - واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا أكف الثوب ولا الشعر» فإن جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدة مسجدة بكسر الجيم وإن جعلتها الأعضاء فواحدة مسجدة بفتح الجيم (وأنه) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الهمزة وقرأ الباقون بفتحها (لما قام عبد الله) يعني النبي ﷺ (يدعوه) يعني يعبد ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلي بطن نخله ويقرأ القرآن (كادوا) يعني الجن (يكونون عليه لبدا) أي يركب بعضهم بعضا ويزدحمون حرصا على استماع القرآن هذا قول الضحاك ورواية عطية عن ابن عباس وقال سعيد بن جبیر عنه هذا من قول النفر

قال فقالوا لقومهم (لما قام عبدالله يدعوهم كادوا يكونون عليه لبدا) وهذا قول ثان وهو مروي عن سعيد بن جبير أيضا

وقال الحسن لما قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة في قوله (وأنه لما قام عبد الله يدعوهم كادوا يكونون عليه لبدا) قال تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفنوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه وهذا قول ثالث وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله بعده (قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا) أي قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبتلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته (إنما أدعو ربي) أي إنما أعبد ربي وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه (ولا أشرك به أحدا)

وقوله تعالى قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (أي إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي وعبد من عباد الله ليس إلي من الأمر شيء في هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع في ذلك كله إلى الله عز وجل ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجبره من الله أحد أي لو عصيته فإنه لا يقدر أحد على إقاضتي من عذابه (ولن أجد من دونه ملتحدا) قال مجاهد وقتادة والسدي لا ملجأ وقال قتادة أيضا قل إني لن يجبرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) أي لا نصير ولا ملجأ وفي رواية لا ولي ولا موئل وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله ورسالاته) قال بعضهم هو مستثنى من قوله [قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا] ويحتمل أن يكون استثناء من قوله [لن يجبرني من الله أحد] أي

الذين رجعوا إلى قومهم من الجن أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي ﷺ واقتدائهم به في الصلاة وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبتلوا الحق الذي جاءهم به ويطفنوا نور الله فأبى الله إلا أن يتم نوره ويتم هذا الأمر وينصره على من ناوأه، وقرأ هشام عن ابن عامر لبدا بضم اللام وأصل اللبد الجماعات بعضها فوق بعض ومنه سمي اللبد الذي يفرش لتراتكه وتلبد الشعر إذا تراكم ﴿قل إنما أدعو ربي﴾ قرأ أبو جعفر وعاصم وحزة قل على الأمر وقرأ الآخرون قال يعني رسول الله ﷺ ﴿إنما أدعو ربي﴾ قال مقاتل وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ لقد جئت بأمر عظيم فارجع عنه فنحن نجبرك فقال لهم إنما أدعوا ربي ﴿ولا أشرك به أحدا﴾ قل إني لا أملك لكم ضرا ﴿لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا﴾ ولا رشدا ﴿أي لا أسوق لكم أو اليكم رشدا أي خيرا يعني أن الله يملكه﴾ قل إني لن يجبرني من الله أحد ﴿لن يمنعني منه أحد أن عصيته﴾ (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملجأ أميل إليه ومعنى التلحد أي مال، قال السدي حرزا وقال الكلبي مدخلا في الأرض مثل السرب ﴿إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ ففيه الجوار والامن والنجاة قاله الحسن قال مقاتل ذلك الذي يجبرني من عذاب الله يعني التبليغ وقال قتادة

لا يجبرني منه ويخلصني الا ابلاغني الرسالة التي أوجب أداها علي كما قال تعالى [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس] وقوله تعالى [ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا] أي أنا ابلاغكم رسالة الله فن يعص الله ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبدا أي لا يحيد لهم عنها ولا خروج لهم منها وقوله تعالى [حتى إذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا؟] أي حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والانس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؟ أي بل المشركون لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل

قل ان أدري أقریب ماتوعدون؟ أم يجعل له ربي أمدا؟ (٢٥) علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (٢٧) ليعلم أن قد أبلغوا رسالت ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨)

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ أن يقول للناس انه لا علم له بوقت الساعة ولا يدري أقریب وقتها أم بعيد [قل ان ادري أقریب ماتوعدون أم يجعل له ربي أمدا؟] أي مدة طويلة وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله كثير من الجاهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الارض كذب لا أصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان ﷺ يستل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدي له جبريل في صورة اعرابي كان فيما سأله أن قال يا محمد فاخبرني عن الساعة؟ قال « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » ولما ناداه ذلك الاعرابي بصوت جهوري فقال يا محمد متى الساعة؟ قال « ويحك إنها كائنة فما اعددت لها؟ » قال أما اني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولكني أحب الله ورسوله قال « فانت مع من أحببت » قال أنس فما فرح المسلمون بشي فرحهم بهذا الحديث وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مرزوم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « يا بني آدم ان كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لا ت »

إلا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه وقيل [لا املك لكم ضرا ولا رشدا] اكن ابلاغ بلاغا من الله فاتما انا مرسل به لا املك الا ما ملكت « ومن يعص الله ورسوله » ولم يؤمن « فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا * حتى إذا رآوا ما يوعدون » يعني العذاب يوم القيامة « فسيعلمون » عند نزول العذاب « من أضعف ناصرا وأقل عددا » أهم أم المؤمنون؟ « قل ان ادري » أي ما ادري

وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن ابراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن ابي ثعلبة الحشني قال قال رسول الله ﷺ « ان تعجز الله هذه الامة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا ابو المغيرة حدثني صفوان عن شرح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال « إني لارجو أن لا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد ولم نصف يوم ؟ قال خمسمائة عام انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطلع أحدا من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعلم الرسول الملوك والبشري ثم قال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي يخصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقون على مامعه من وحي الله ولهذا قال (يعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا)

وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله (يعلم) إلى من يعود ؟ فقيل انه عائد الى النبي ﷺ . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل (يعلم) محمد ﷺ (أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) دروه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به . وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب

﴿ اقرب ما وعدون ؟ ﴾ من العذاب وقيل يوم القيامة ﴿ ام يجعل له ربي أمدا ؟ ﴾ اجلا وغاية تطول مدتها يعني أن علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله ﴿ عالم الغيب ﴾ رفع على نعمت قوله ربي وقيل هو عالم الغيب ﴿ فلا يظهر ﴾ لا يطلع ﴿ على غيبه أحدا ﴾ إلا من ارتضى من رسول ﴿ إلا من يصطفيه لرسالته فيظهره على ما يشاء من الغيب لانه يستدل على نبوته بالآية المعجزة بأن يخبر عن الغيب ﴾ فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴿ ذكر بعض الجهات دلالة على جميعها رصدا أي يجعل بين يديه وخلفه حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين أن يسترخوا السمع ومن الجن أن يستمعوا الوحي فيلقوا إلى الكهنة ، قال مقاتل وغيره كان الله إذا بعث رسولا أنه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويتردون الشياطين ، فإذا جاء شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فاحذره وإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك ﴿ يعلم ﴾ قرأ يعقوب

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة [ليعلم أن قد بلغوا رسالات ربهم] قال لي علم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (الا من ارتضى من رسول فانه بسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل اليهم وذلك حين يقول لي علم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال لي علم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم وفي هذا نظر

وقال البغوي قرأ يعقوب (ليعلم) بالضم أي لي علم الناس أن الرسل قد بلغوا ، ويحتمل أن يكون الضمير عائدا إلى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ، ويكون المعنى في ذلك انه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالته ويحفظ ما ينزله اليهم من الوحي لي علم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى [وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه] وكقوله تعالى [وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين] إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعاً لا محالة ، ولهذا قال بعد هذا [وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا]

﴿ آخر تفسير سورة الجن والله الحمد والمنة ﴾

ليعلم بضم الياء أي لي علم الناس ﴿ أن ﴾ الرسل ﴿ قد أبلغوا ﴾ وقرأ الآخرون بفتح الياء أي لي علم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا ﴿ رسالات ربهم وأحاط بما لديهم ﴾ أي علم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء . ﴿ وأحصى كل شيء عددا ﴾ قال ابن عباس أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق فلم يفته علم شيء . حتى مثاقيل الدر والحردل ونصب عددا على الحال وان شئت على المصدر أي عد عدداً



تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : اجتمعت قریش في دار الندوة فقالوا سمووا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأقاه جبريل عليه السلام فقال (يا أيها المزمل - يا أيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يا أيها المزمل (١) قم الليل إلا قليلا (٢) نصفه أو انقص منه قليلا (٣) أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا (٤) إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا (٥) إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم كيلا (٦) إزلك في النهار سبحا طويلا (٧) وإذ ذكر اسم ربك وتبتل إليه بتتيلا (٨) رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا (٩)

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وممارزقناهم ينفقون) وكذلك كان ﷺ ممثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا) قال ابن عباس والضحاك والسدي (يا أيها المزمل) يعني يا أيها

سورة المزمل مكية وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها المزمل﴾ أى المتلطف بثوبه وأصله المتزمل أدغمت التاء في الزاي ومثله المدثر المتدثر أدغم التاء في الدال يقال تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى به وقال السدي أراد يا أيها النائم قم فصل قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي ﷺ في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول ﴿قم

النائم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه ، وقال إبراهيم النخعي : نزلت وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يا أيها المزمل) قال يا محمد زممت القرآن وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا أو زد عليه) أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أي اقرأه على عمل فانه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره ، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه : قالت عائشة رضي الله عنها كان يقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها

وفي صحيح البخاري عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بمد بسم الله ومد الرحمن ومد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن

الليل (أي لفظة) (لا قليلا) وكان قيام الليل فريضة في الابتداء ثم بين قدره فقال (نصفه أو انقص منه قليلا) إلى الثالث (أو زد عليه) على النصف إلى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي ﷺ وأصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى النصف ومتى الثلثان فكان يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله [قافروا ما تيسر من القرآن * علم أن سيكون منكم مرضى] الآية فكان بين أول السورة وآخرها سنة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا يحيى بن بشر ثنا سعيد يعني ابن أبي عروبة ثنا قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال انطلقت إلى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أأست تقرأ القرآن ؟ قلت بلى قالت فان خلق نبي الله ﷺ كان القرآن قلت فقيام رسول الله ﷺ يا أم المؤمنين ؟ قالت أأست تقرأ يا أيها المزمل ؟ قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً في السماء ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة ، قال مقاتل وابن كيسان كان هذا بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (ورتل القرآن ترتيلا) قال ابن عباس بينه وبيننا ، قال الحسن اقرأه قراءة

النبي ﷺ قال « يقال لقاري القرآن اقرأ وأرق وتزل كما كنت تزل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سفيان الثوري به وقال الترمذي حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم - وليس منا من لم يثخن بالقرآن - ولقد أوتي هذا هذا زمراً من زمير آل داود » يعني أبا موسى ، فقال أبو موسى لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قرائتي لخبرته لك نجبراً ، وعن ابن مسعود أنه قال لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحرخوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » رواه البغوي

وقال البخاري حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفضل الليلة في ركعة ، فقال هذا كهد الشعر لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من المفضل سورتين في ركعة

بينة ، قال مجاهد ترسل فيه ترسلاً ، قال قتادة ثبت فيه ثبتاً وعن ابن عباس أيضاً اقرأ على هيئتك ثلاث آيات أو أربعاً أو خمساً

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمرو بن عاصم ثنا هشام عن قتادة قال : سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ ؟ فقال كانت مداً ، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بمد بسم الله ومد الرحمن ومد الرحيم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا شعبة ثنا عمرو بن مرة قال سمعت أبا وائل قال جاء رجل إلى ابن مسعود قال قرأت المفضل الليلة في ركعة فقال هذا كهد الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من المفضل كل سورتين في ركعة

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد مثوبة أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتبه إلي أنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن حميد الواسطي ثنا زيد بن أجيروم ثنا محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد عن أبي حمزة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله يعني ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل^(١) ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحرخوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

(١) في ابن كثير :
الرمل .

أخبرنا أبو جعفر أحمد بن أبي أحمد مثوبة أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد بن علي الحسيني الحراني فيما كتب إلي أنا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري أنا أبو بكر محمد بن يحيى بن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزي ثنا ابن المبارك الحنبل أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود

وقوله تعالى [انا سنلقي عليك قولا ثقيلا] قال الحسن وقتادة اي العمل به ، وقيل ثقیل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذه على فخذي فكادت ترض فخذي

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن ابني حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال : سألت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله هل نحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصلا ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي الا ظننت ان نفسي تقبض » تفرد به احمد

وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي ؟ فقال « أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي ﷺ في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه لينفصد عرقا . هذا لفظه

وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن داود اخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجراحتها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه ان النبي ﷺ كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرائها فما تستطيع ان تحرك حتى يسرى

انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن مومني بن عبيدة عن عبد الله بن عبيدة وهو أخوه عن سهل بن سعد الساعدي قال بينا نحن نقرأ اذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاختيار الاحمر والاسود والابيض اقرءوا القرآن قبل ان يأتي اقوام يقرءونه يقيمون حروفه كما يقام السهم لا يجاوز اوراقهم يتعجلون اجراءه ولا يتأجلونه »

اخبرنا ابو عثمان الضبي أنا ابو محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا ابو بكر محمد بن نافع البصري ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن اسماعيل بن مسلم العبدى عن أبي المتوكل الناجي عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة ، ورواه أبوذر قال قام النبي ﷺ حتى اصبح بآية والآية [إن تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم] انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس رضي الله عنها شديدا قال الحسن إن الرجل ليهذ السورة ولكن العمل بها ثقیل قال قتادة ثقیل هو والله فرائضه وحدوده قال مقاتل ثقیل لما فيه من الامر والنهي والحدود قال ابو العالية ثقیل بالوعد والوعيد والحلال والحرام وقال محمد ابن كعب ثقیل على المنافقين ، قال الحسين بن الفضل قولا خفيا على اللسان ثقیلا في الميزان ،

عنه وهذا مرسل، الجر ان هو باطن العنق ، واختار ابن جرير انه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين

وقوله تعالى (ان ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قبلاً) قال أبو اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نشأ قام بالحشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال تشأ اذا قام من الليل ، وفي رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هي ساعته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآتات ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطاة بين القلب واللسان وأجمع على

قال الفراء ثقيل ليس بالخفيف السفساف لانه كلام ربنا قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ ان الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال رسول الله ﷺ « أحبانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهذا أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الثاني الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً قوله عز وجل « ان ناشئة الليل » أي ساعته كلها وكل ساعة منه ناشئة سميت بذلك لانها تنشأ أي تبدو ومنه نشأت السحابة اذا بدت وكل ما حدث بالليل وبدا فقد نشأ فهو ناشئ والجمع ناشئة وقال ابن أبي مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة ، وقال سعيد بن جبير وابن زيد أي ساعة قام من الليل فقد نشأ وهو بلسان الحبش القيام يقال نشأ فلان أي قام وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم ، وقال ابن كيسان هي القيام من آخر الليل ، وقال عكرمة هي القيام من أول الليل ، يروى عن علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقال الحسن كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة من الليل ، وقال الأزهري ناشئة الليل قيام الليل مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو « هي اشد وطأً » قرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بكسر الواو ممدوداً بمعنى المواطاة والموافقة يقال وطأت فلاناً مواطأة ووطاء اذا وافقته وذلك ان مواطأة القلب والسمع والبصر واللسان بالليل تكون أكثر مما يكون بالنهار، وقرأ الآخرون بفتح الواو وسكون الطاء أي اشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار لان الليل للنوم والراحة ، ومنه قوله ﷺ « اللهم اشد وطأتك على مضر . » وقال ابن عباس كانت صلاتهم أول الليل هي اشد وطأً يقول هي أجدر أن تحصى ما فرض الله عليكم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لم يدر متى يستيقظ وقال قتادة أثبت في الخير وأحفظ للقراءة وقال الفراء أثبت قياماً أي اوطأ للقيام واسهل للمصلي من ساعات النهار لان

التلاوة ولهذا قال تعالى (هي أشد وطأً وأقوم قبلاً) أي أجمع للأخطار في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لانه وقت انتشار الناس ولفظ الاصوات وأوقات المعاش

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا الاعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأصوب قبلاً) فقال له رجل إنما تقرأها وأقوم قبلاً، فقال له إن أصوب وأقوم وأهياً وأشبه هذا واحد، ولهذا قال تعالى (إن لك في النهار سبعا طويلاً) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم الفراغ والنوم، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري فراغاً طويلاً، وقال قتادة فراغاً وبغية ومتقبلاً، وقال السدي (سبعا طويلاً) تطوعاً كثيراً

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (إن لك في النهار سبعا طويلاً) قال لحواتجك فافرج لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فربضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده تخففها ووضعها وقرأ (قم الليل الا قليلاً) إلى آخر الآية ثم قال [إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه - حتى بلغ - فاقروا ما تيسر منه] وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) وهذا الذي قاله كما قاله

والدليل عليه ما رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله في الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقي رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال «أليس لكم في أسوة حسنة؟» فتهام عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوزر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ قال نعم قال أنت عائشة فسألها ثم أرجع إلي فأخبرني بردها عليك قال فأنيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال ما أنا بقاربها إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيهما إلا مضياً، فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا معك؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام؟ قال ابن عامر قال فترحم عليه وقالت نعم المرء كان عامراً قلت يا أم المؤمنين أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت أأست تقرأ القرآن؟ قلت بلى قالت فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ قلت يا أم المؤمنين أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ قالت أأست تقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل) قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفضت أقدامهم وامسك الله

النهار خلق لتصرف العباد والليل للخلوة بالعبادة فيه أسهل وقيل أشد نشاطاً وقال ابن زيد أفرغ له قلباً من النهار لانه لا تعرض له حوائج وقال الحسن أشد وطأً في الخير وأمنع من الشيطان (و أقوم

خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً ثم انزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة. فهمت أن أقوم ثم بدالي وتر رسول الله ﷺ فقلت يا أم المؤمنين انبئني عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثمان ركعات لا يجالس فيهن إلا عند الثامنة، فيجالس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم، ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعو ثم يسلم تسليماً بسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك إحدى عشرة ركعة بابني فلما أسن رسول الله ﷺ وأخذ الأعم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم فتلك تسع بابني، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثلثي عشرة ركعة ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لآتيها حتى تشافني مشافهة هكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بن نحو

(طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى) قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قال جميعاً واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيراً يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرجوا كالغضب وكان بهم رجلاً فحشي أن يكتب عليهم قيام الليل فقال «أيها الناس اكفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يعمل من الثواب حتى تموا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه» ونزل القرآن (يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فكشوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما ينتفون من رضوانه فرحمهم فردمهم إلى الفريضة وترك قيام الليل. ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قد يوم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هي مكية وقوله في هذا السياق أن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفي سمعت ابن عباس يقول: أول ما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة. وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به، وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدي كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة، وروى ابن جرير

قيلاً وأصوب قراءة وأصح قولاً لهداة الناس وسكون الاصوات وقال الكلبي إيبين قولاً بالقرآن وفي الجملة عبادة الليل اشد نشاطاً وانتم أخلاصاً وأكثر بركة والبلغ في الثواب (إن لك في النهار سبعاً طويلاً)

عن أبي كريب عن وكيم عن اسرائيل عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس مثله
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن
قال لما نزلت (يا أيها المزمل) قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقروا ما تيسر
منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام حدثنا
ابني عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال فقلت يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله
ﷺ قالت ألسنت تقرأ (يا أيها المزمل) ؟ قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله ﷺ وأصحابه حتى
انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل
إلا قليلا) قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما

أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ (يا أيها المزمل) قال مكث النبي ﷺ على هذه الحال عشر سنين يقوم
الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك
يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك - إلى قوله تعالى - وأقيموا
الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، روى ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن
يعقوب القمي به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه
أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن
سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله تعالى -
فاقروا ما تيسر منه) فوسم الله تعالى وله الحمد ولم يضيق

وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أي أكثر من ذكره واتقطع إليه وتفرغ
 لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب)
أي إذا فرغت من أشغالك فانصب في طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب

أي تصرفا وتقلبا وأقبالا وأدبارا في حوائجك وأشغالك ، وأصل السبح سرعة الذهاب ومنه السباحة
في الماء وقيل سبحا طويلا أي فراغا وسعة لتوملك وتصرفك في حوائجك فصل من الليل ، وقرأ بجيبي
ابن يعمر سبخا بالخاء المعجمة أي استراحة وتخفيفا للبدن ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد دعت
على سارق (لا تسبخني عنه بدعائك عليه) أي لا تخفني (واذكر اسم ربك) بالتوحيد والتعظيم (وتبتل
إليه تبتيلا) قال ابن عباس وغيره أخلص إليه إخلاصا ، قال الحسن اجتهد ، وقال ابن زيد تفرغ لعبادته
وقال سفيان توكل عليه توكلنا وقيل انقطع إليه في العبادة انقطاعا وهو الأصل في الباب يقال تبنت
الشيء أي قطعته وصدقه قولهم أنت بنة بنة أي مقطوعة عن صاحبها لا سبيل له عليها والتبتيل تفعل

٣٣٢ أمر الله نبيه بالصبر على قول الكفار وهجرهم هجراً جميلاً (تفسير ابن كثير والبغوي)

منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدي (وتبتل إليه تبتيلاً) أي أخلص له العبادة ، وقال الحسن اجتهد وأبتل إليه نفسك

وقال ابن جرير يقال للعباد متبتل ومنه الحديث المروي نهي عن التبتل يعني الانقطاع إلى العبادة وترك الزوج

وقوله تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) أي هو المالك المتصرف في المشرق والمغرب الذي لا إله إلا هو وكما أفردته بالعبادة فأفرد به بالتوكل فاتخذه وكيلاً كما قال تعالى في الآية الأخرى (فاعبدوه وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة في هذا المعنى فيها الأمر بفراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً (١٠) وذري والمكذبين أولي النعمة ومهلهم

قليلاً (١١) إن لدينا أنكلاً وجحماً (١٢) وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً (١٣) يوم ترجف الأرض

والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً (١٤) أنا أرسلنا اليكم رسولاً شهدا لَكُمْ كما أرسلنا إلى

فرعون رسولاً (١٥) فعصى فرعون الرسول فأخذنه أخذاً ويبلاً (١٦) فكيف تتقون إن كفرتم

يوم يجعل الولدان شيباً ؟ (١٧) السماء منفطر به كان وعده مفعولاً (١٨)

يقول تعالى أمر أرسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من صفاء قومه وأن يهجرهم هجراً جميلاً وهو الذي لا عتاب معه ثم قال له متهدداً لكفار قومه ومتوعداً وهو العظيم الذي لا يقوم لغضبه شيء . (وذري والمكذبين أولي النعمة) أي دعني والمكذبين المترفين أصحاب الأموال قائمهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم بطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم [ومهلهم قليلاً] أي رويداً كما قال تعالى [نعمهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ] ولهذا قال هبتنا [إن لدينا أنكلاً] وهي القيود قاله

منه يقال بتلته فتبتل ، المعنى بتل إليه نفسك ولذلك قال تبتيلاً ، قال ابن زيد التبتل رفض الدنيا وما فيها والناس ما عند الله تعالى (رب المشرق والمغرب) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحفص رب برفع الباء على الابتداء . وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب في قوله (واذكر اسم ربك) (لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً) قياً بأمورك ففوضها إليه (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً) نسختها آية القتال (وذري والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً) نزلت في صناديد قريش المستهزئين ، وقال مقاتل بن حيان نزلت في المطعمين يريدون فلم يكن إلا بسيراحتي قتلوا يريد (إن لدينا) عندنا في الآخرة (أنكلاً) قيوداً عظيماً لا تفك أبداً واحداً منكم ، قال الكلبي أغللاً من

ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجوني وأبو معجل والضحاك وحامد بن أبي سليمان وقتادة والسدي وابن المبارك والثوري وغير واحد (وجعياً) وهي السعير المضطربة [وطعاماً ذا غصة] قال ابن عباس ينشب في الخلق فلا يدخل ولا يخرج [وعذاباً أليماً] يوم ترجف الأرض والجبال [أي تزلزل] وكانت الجبال كثيباً مهيلاً (أي تصير ككشبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم أنها تنسف تنسفاً فلا يبقى منها شيء إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعاً مفضفاً لا ترى فيها عوجاً أي وادياً ولا أمناً أي رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطباً للكفار قريش والمراد سائر الناس [إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم] أي بأعمالكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعضى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والثوري [أخذاً ويلاً] أي شديداً أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولاكم لأن رسولاكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران وبررى عن ابن عباس ومجاهد

وقوله تعالى [فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً] يحتمل أن يكون يوماً معمولاً لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به؟ ويحتمل أن يكون معمولاً لكفرتم فعلى الاول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم، وعلى الثاني كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه، وكلاهما معنى حسن ولكن الاول أولى والله أعلم، ومعنى قوله (يوماً يجعل الولدان شيباً) أي من شدة أهواله وزلازله وبلاؤه وذلك حين يقول الله تعالى لا دم ابث بعث النار فيقول من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة

قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا

حديث (وجعياً وطعاماً ذا غصة) غير سائفة يأخذ بالخلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع (وعذاباً أليماً) يوم ترجف الأرض والجبال (أي تزلزل وتتحرك) وكانت الجبال كثيباً مهيلاً (أي تصير ككشبان الرمل بعد ما بعده يقال أهلت الرمل أهيله هيلاً إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه) (إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم) كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعضى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويلاً (أي شديداً ثقيلاً يعني عاقبناه عقوبة غليظة، يخوف كفار مكة) (فكيف تتقون إن كفرتم) أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة إذ كفرتم في الدنيا يعني لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتهم يوم القيامة وقبل معناه كيف تتقون العذاب يوم القيامة؟ وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم؟ وكيف تنجون منه إذا كفرتم (يوماً يجعل الولدان شيباً) شيطان هولاء وشدته

٣٤ كون آيات القرآن تذكرة لأولي الالباب . والرخصة في قيام الليل (تفسير ابن كثير والبغوي)

عُمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجمل ولدان شيئا) قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لا آدم قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار ، قال من كم يارب ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم « إن بني آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وأنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفي أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث .

وقوله تعالى (الساء منفطر به) قال الحسن وقتادة أي بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى ، وروي عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوي لأنه لم يجر له ذكر هنا ، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أي كان وعد هذا اليوم مفعولا أي واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (١٩) إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن ، علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقراءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢٠)

يقول تعالى (إن هذه) أي السورة (تذكرة) أي يتذكر بها أولو الالباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي فمن شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الأخرى [وما نشأون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكما] ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أي تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم

وذلك حين يقال لا آدم : قم فابعث بعث النار من ذريتك . ثم وصف هول ذلك اليوم فقال (الساء منفطر به) متشقق لنزول الملائكة به أي بذلك المكان وقيل الهاء ترجع إلى الرب أي بأمره وهيبته (كان وعده مفعولا) كائنا (إن هذه) أي آيات القرآن (تذكرة) تذكير وموعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) بالإيمان والطاعة (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) قرأ أهل مكة والكوفة نصفه وثلثه بنصب الغاء والثاء واشباع الهاءين ضما أي وتقوم نصفه

ولكن لا تقدر على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أي تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن تحصوه) أي الغرض الذي أوجبه عليكم (فاقروه ما تيسر من القرآن) من غير تحديد بوقت أي ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما قال في سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدل أصحاب الامام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهي قوله (فاقروا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة في الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزاء واعتضدوا بحديث المسي صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو في الصحيحين أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج فهي خداج غير تمام » وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تجزي صلاة من لم يقرأ بأم القرآن »

وثله وقرأ الآخرون بحرف الفاء والهاء واشباع الهاء من كسراً عطفاً على ثلثي « وطائفة من الذين معك » يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه (والله يقدر الليل والنهار) قال عطاء يريد لا يفوته علم ما تفعلون أي أنه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي يقومون من الليل (علم أن لن تحصوه) قال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فمزل (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوه

وقال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال (علم أن لن تحصوه) لن تطيقوا معرفة ذلك « فتاب عليكم » فعاد عليكم بالعفو والتخفيف (فاقروا ما تيسر من القرآن) يعني في الصلاة قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء.

قال قيس بن حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركم فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال إن الله عز وجل يقول (فاقروا ما تيسر منه)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة حدثني حميد بن مخراق عن أنس بن مالك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ، ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر »

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا إبراهيم بن محمد ثنا مسلم بن الحجاج حدثني القاسم بن زكريا بن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن محمد بن عبد الرحمن

وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) أي علم أن سيكون من هذه الامة ذوو أعذار في ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المسالك والمناجر وآخربن مشغولين بما هو الاعم في حقهم من الغزو في سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهي من أكبر دلائل النبوة لانه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (اقرؤا ما تيسر منه) أي قوموا بما تيسر عليكم منه

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن ابي رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به انما يصلي المكتوبة ؟ قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك قال الله تعالى للعبد الصالح [وانه لذو علم لما علمناه - وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم] قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري انه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن ان يقوموا ولو بشيء منه في الليل ولهذا جاء في الحديث ان رسول الله ﷺ سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان في أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل . وفي السنن « أنوروا يا أهل القرآن » وفي الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن ابي بكر بن عبد العزيز من الخنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فآله أعلم

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدي حدثنا عبد الرحمن بن طاوس ولد طاوس عن محمد بن عبد الله عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي ﷺ (فاقروا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جداً لم أره إلا في معجم الطبراني رحمه الله تعالى

مولى بني زهرة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ القرآن في كل شهر - قال قلت إني أجد قوة قال - فاقراه في عشرين ليلة قال قلت إني أجد قوة قال فاقراه في سبع ولا تزد على ذلك »

قوله عز وجل (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) يعني المسافرين للتجارة يطلبون من رزق الله (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) لا يطبقون قيام الليل روى ابراهيم عن ابن مسعود قال أعمارجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله) (فاقروا ما تيسر منه) أي ما تيسر عليكم من القرآن

وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذي كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا في المدة التي بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لذلك الرجل « خمس صلوات في اليوم واليلة » قال هل علي غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع »

وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعني من الصدقات فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) ؟ وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير نجوده عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أي جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتوه لأنفسكم في الدنيا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث ابن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثة ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعملوا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال « انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ورواه البخاري من حديث حفص ابن غياث والنسائي من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به

ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أي أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره

﴿ آخر تفسير سورة المزمل والله الحمد والمنة ﴾

قال أهل التفسير كان هذا في صدر الاسلام ثم نسخ بالصلوات الخمس وذلك قوله ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خير نجوده عند الله هو خيرا ﴾ تجدوا ثوابه في الآخرة أفضل مما أعطيتكم ﴿ وأعظم أجرا ﴾ من الذي أخرتم ولم تقدموه ، ونصب خيرا وأعظم على المفعول الثاني فإن الوجود إذا كان بمعنى الرؤية يتعدى إلى مفعولين ، وهو فصل في قول البصر بين وعماد في قول الكوفيين لا محل له ، من الأعراب أخبرنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا أبو نصر أحمد بن محمد البخاري بالكوفة أنا أبو القاسم نصر بن أحمد الفقيه بالموصل ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا أبو خيثمة ثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن الحارث بن سويد قال قال عبد الله قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعملوا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال « ما نعلمكم رجلا إلا ماله أحب إليه من ماله » قالوا كيف يا رسول الله قال « انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ﴿ واستغفروا الله ﴾ لتوبكم ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾

تفسير سورة المدثر وهي مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها المدثر (١) قم فأندِر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥)
ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فاذا نُصِر في النافور (٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩)
على الكافرين غير يسير (١٠)

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق (كما سيأتي ذلك هنالك ان شاء الله تعالى

﴿سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال (يا أيها المدثر) قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابر ابن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت فقال لي جابر لا أحدنك إلا بما حدثنا رسول الله ﷺ قال «جاورت بحرا، شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت أمامي فلم أر شيئا ونظرت عن خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأنت خديجة فقلت دُرُونِي وصَبُوا عَلَيَّ ماء باردا - قال - فدَثَرُونِي وصَبُوا عَلَيَّ ماء باردا - قال - فنزلت (يا أيها المدثر قم فأندِر وربك فكبر)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الألبان عن عقيل قال ابن شهاب سمعت أبا سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي قال «فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحرا، قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجئت منه رجبا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأندِر - إلى قوله - فاهجر) - قال أبو سلمة والرجز الاوثان - ثم هي الوحي بعد وتابع»

قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول منازل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقالت له مثل ما قلت لي فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاؤوت بحراء فلما قضيت جوارحي هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء بارداً - قال - فدثروني وصبوا علي ماء بارداً فترأت (يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر) « هكذا ساقه من هذا الوجه

وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه « فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فنجثت منه حتى هويت إلى الأرض فنجثت إلى أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل [يا أيها المدثر * قم فأنذر - إلى - فاهجر] - قال أبو سلمة والرجز الاوثان - ثم حمي الوحي وتتابع « هذا لفظ البخاري ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذي كان بحراء » وهو جبريل حين أنابه بقوله [اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم] ثم أنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم فتر الوحي عني فترة فبينما أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فنجثت منه فراقحتي

قوله عز وجل « يا أيها المدثر قم فأنذر » أي انذر كفار مكة « وربك فكبر » أي عظمه عما يقول له عبدة الاوثان « وثيابك فطهر » قال قتادة ومجاهد نفسك فطهر من الذنوب فكنتي عن النفس بالثوب وهو قول ابراهيم والضحاك والشعبي والزهري ، وقال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله (وثيابك فطهر) فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدر ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدره أتقنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء أنه طاهر الثياب وتقول لمن غدر أنه لدنس الثياب وقال أبي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على إثم البسها وأنت بر طاهر ، وروى ابو رائق عن الضحاك معناه وعملك فاصح قال السدي يقال للرجل إذا كان صالحاً أنه لطاهر الثياب وإذا كان فاجراً أنه لحيث الثياب ، وقال سعيد بن جبير وقلبك ونييتك فطهر

هويت الى الارض فحث اهلي فقلت لهم زملوني زملوني فأنزل الله تعالى [يا أيها المدثر قم فأندر وربك فسكب وثيابك فطهر والرجز فاهجر] ثم حمي الوحي وتابعه خراجاه من حديث الزهري به، وقال الطبراني حدثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلي حدثنا المعافي بن عمران عن ابراهيم بن يزيد سمعت ابن ابي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على انه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرن وقنع رأسه وتدنر فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فأندر * وربك فسكب * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا ممن تستكبر * ولربك فاصبر)

وقوله تعالى (قم فأندر) اي شمر عن ساق العزم وأندر الناس بهذا حصل الارسال كما حصل بالاول النبوة (وربك فسكب) اي عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الاجلح الكندي عن عكرمة عن ابن عباس انه أتاه رجل فسأله عن هذه الآية (وثيابك فطهر) قال لا تلبسها على معصية ولا على غدره ثم قال اما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

فاني بحمد الله لا قوب فاجر لبست ولا من غدره أتتبع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال في كلام العرب تقي الثياب وفي رواية بهذا الاسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال ابراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الأثم ، وكذا قال ابراهيم النخعي وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفي رواية عنه (وثيابك فطهر) أي علك فأصلح ، وكذا قال ابو رزين وقال في رواية أخرى (وثيابك فطهر) اي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أي طهرها من المعاصي وكانت العرب تسمي الرجل اذا نكث ولم يف بعهد الله انه لدنس الثياب واذا وفي وأصلح انه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لا تلبسها على معصية . وقال الشاعر :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعني لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائل ويقال لا تلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أي اغسلها بالماء ، وقال ابن

وقال الحسن والقرظي وخلقتك فحسن ، وقال ابن سيرين وابن زيد أمر بتطهير الثياب من النجاسات التي لا تجوز الصلاة معها وذلك ان المشر كين كانوا لا يتطهرون ولا يطهرون ثيابهم ، وقال طاووس وثيابك

زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفأطم مهلاً بعض هذا الدليل وإن كنت قد أزمعت هجري فأجلي

وان فك قد ساءت منك خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبيرة (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري وخلقك فحسن

وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الاصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد إنها الاوثان ، وقال ابراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشي من ذلك كقوله تعالى [يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين - وقال موسى لاختيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تقم سبيل المفسدين]

وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لا تعط العطية تلمس أكثر منها ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وابو الاحوص وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وروي عن ابن مسعود انه قرأ (ولا تمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصري لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خصيف عن مجاهد في قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف ان تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف ، وقال

فقصر لان تقصير الثياب طهارة لها (والرجز فاهجر) قرأ أبو جعفر وحفص عن عاصم ويعقوب والرجز بضم الراء ، وقرأ الآخرون بكسرهما وهما لغتان ومعناها واحد ، قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهري وابن زيد وأبو سلمة المراد بالرجز الاوثان قال فاهجرها ولا تقربها ، وقيل الزاي فيه منقلبة عن السين والعرب تعاقب بين السين والزاي لقرب مخرجهما . ودليل هذا التأويل قوله (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) وروي عن ابن عباس أن معناه اترك المآثم ، وقال أبو العالية والربيع والرجز بضم الراء الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية ، قال الضحاك يعني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب ومجاز الآية اهجر ما أوجب لك العذاب من الاعمال (ولا تمنن تستكثر) أي لا تعط مالك مصانعة لتعطى أكثر منه وهذا قول أكثر المفسرين

قال الضحاك ومجاهد كان هذا للنبي ﷺ خاصة ، قال الضحاك هما ربا آن حلال وحرام فأما الحلال فالهدايا وأما الحرام فالزنا ، قال قتادة لا تعط شيئاً طمعاً لمجازاة الدنيا يعني اعط لربك وأرد به الله وقال الحسن معناه لا تمنن على الله بملكك فتستكثره ، قال الربيع لا يكثرن عملك في عينك فانه

ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا فهذه أربعة أقوال والظاهر القول الاول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أى اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد ، وقال ابراهيم النخعي اصبر عطيتك لله عز وجل وقوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والريعم بن أنس والسدي وابن زيد (الناقور) الصور ، قال مجاهد وهو كهيئة القرن

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا اسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفي عن ابن عباس (فاذا نقر في الناقور) فقال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنعم وصاحب القرن قد النعم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ » فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الامام احمد عن اسباط به ورواه ابن جرير عن ابي كريب عن ابن فضيل واسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به

وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أى شديد (على الكافرين غير يسير) أى غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول الكافرون هذا يوم عسر) وقد روينا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل الى قوله تعالى (فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير * على الكافرين غير يسير) شق شققة ثم خرميتا رحمه الله تعالى

ذري ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣)

فما أنعم الله عليك وأعطاك قليل ، وروى خفيف عن مجاهد ولا تضعف أن تستكثر من الخير من قولهم جبل متين إذا كان ضعيفا ، دليله قراءة ابن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر من الخير) وقال ابن زيد معناه لا تمنن بالنبوة على الناس فتأخذ عليها أجراً أو عوضاً من الدنيا ﴿ ولربك فاصبر ﴾ قيل فاصبر على طاعته وأوامره ونواهيه لاجل ثواب الله ، وقال مجاهد فاصبر لله على ما أوديت فيه ، وقال ابن زيد معناه حملت أمراً عظيماً فيه محاربة العرب والعجم فاصبر عليه الله عز وجل ، وقيل فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله ﴿ فاذا نقر في الناقور ﴾ أى نفخ في الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه امرأ قبل يعني النفخة الثانية ﴿ فذلك ﴾ أى النفخ في الصور ﴿ يومئذ ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ يوم عسير ﴾ شديد ﴿ على الكافرين ﴾ يعسر فيه الامر عليهم ﴿ غير يسير ﴾ غير هين قوله عز وجل ﴿ ذري ومن خلقت وحيداً ﴾ أى خلقته في بطن أمه وحيداً فريداً لا مال له ولا

ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥) كلا إنه كان لا يتنا عنيدا (١٦) سار هقه
صعودا (١٧) إنه فكر وقدر (١٨) فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف قدر (٢٠) ثم
نظر (٢١) ثم عبس وبسر (٢٢) ثم أدبر واستكبر (٢٣) فقال ان هذا إلا سحر يؤثر (٢٤)
إن هذا إلا قول البشر (٢٥) سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما سقر (٢٧) لا تبقي ولا
تذر (٢٨) لو آحاة للبشر (٢٩) عليها تسعة عشر (٣٠)

يقول تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا
وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال
تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا) أي خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى
(مالا ممدودا) أي واسعا كثيرا قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير
ذلك وجعل له (بنين شهودا) قال مجاهد لا يغيبون أي حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم
وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم، ويتملى بهم وكانوا فيما ذكره السدي
وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا بلغ في
النعمة وهو أقاتهم عنده (ومهدت له تميدا) أي مكنته من صنوف المال والآثاث وغير ذلك (ثم
يطمع أن أزيد) كلا إنه كان لا يتنا عنيدا (أي معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم قال الله
تعالى (سار هقه صعودا)

ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كان يسمى الوحيد في قومه (وجعلت له مالا ممدودا) أي
كثيرا قيل هو ما يمد بالنماء كالزروع والضرع والتجارة واختلفوا في مبالغه ، قال مجاهد وسعيد بن جبير
مائة ألف دينار ، وقال قتادة أربعة آلاف دينار وقال سفيان الثوري ألف ألف وقال ابن عباس تسعة
آلاف مثقال فضة ، وقال مقاتل كان له بيتان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفاً ، وقال عطاء عن
ابن عباس كان له بين مكة والطائف إبل وخيل ونعم وكان له غير كثيرة وعبيد وجوار وقيل مالا
ممدودا غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا بمكة لا يغيبون عنه وكانوا عشرة قاله مجاهد وقتادة
وقال مقاتل كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمار وهشام وعاصم وقيس وعبد شمس أسلم
منهم ثلاثة خالد وهشام وعمار (ومهدت له تمهيدا) أي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا
وقال الكلبي يعني المال بعضه على بعض كما يمد الفرش (ثم يطمع) يرجو (أن أزيد) أي أزيد
مالا وولدا وتمهيدا (كلا) لا أفعل ولا أزيد وقالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان

٤٤ وعيد الله لمن أنعم عليه بنعم الدنيا فكفر بآئمه وقابلها بالجمود (تفسير ابن كثير والبغوي)

قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره ، والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه أبدا » وقد رواه الترمذي عن عبيد ابن حميد عن الحسن بن موسى الاشيب به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لميعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن المعروف بملان المقرئ قال حدثنا منجباب أخبرنا شريك عن عمار الدهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ (سأرقه صعوداً) قال « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت ، وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدي صعودا صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد (سأرقه صعوداً) أي مشقة من العذاب وقال قتادة عذاباً لراحة فيه واختاره ابن جرير

وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أي إنما أرقهنا صعوداً أي قربناه من العذاب الشاق لبعده عن

من ماله وولده حتى هلك « انه كان لا يأتنا عنيداً » معانداً (سأرقه صعوداً) سأكلفه مشقة من العذاب لراحة له فيها ، وروينا عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي »

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل أنا منجباب بن الحارث أنا شريك عن عمار الدهني عن عطية عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله (سأرقه صعوداً) قال « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت فإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » وقال الكلبي الصعود صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها لا يترك أن يتنفس في صعوده ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في أربعين عاماً فإذا بلغ ذروتها أهدر إلى أسفلها ثم يكلف أن يصعدها ويجذب من أمامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه أبداً « انه فكر وقدر » الآيات وذلك ان الله تعالى لما أنزل على النبي ﷺ (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم - الى قوله - المصير) قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه بسمع قراءته فلما فطن النبي ﷺ لاستعائه لقراءته أعاد قراءة الآية ، فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: والله لقد سمعت من محمد آتفا كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه اطلاوة وإن أعلاه

الايان لانه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يخلق من المقال (وقدر) أى تروى (فقتل كيف قدر) ثم قتل كيف قدر (دعاء عليه) ثم نظر [أى أعاد النظرة والتروى] ثم عبس [أى قبض بين عينيه وقطب] وبسر [أى كبح وكره ومنه قول توبة بن جبير وقد راى منها صدور رأته] واعراضها عن حاجتي وبسورها

وقوله [ثم ادبر واستكبر] أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبراً عن الانقياد للقرآن [فقال ان هذا الا سحر يؤثر] أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله وبحكمه عنهم ولهذا قال [ان هذا الا قول البشر] أى ليس بكلام الله، وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة الحزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فساله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون وان قوله لمن كلام الله فلما

لشعر وإن أسفله لمصدق وإنه يعلو وما يعلو ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم، وكان يقال للوليد ربحانة قريش فقال لهم أ بوجهل أنا أ كفيكموه فانطلق فقعده إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتتال من فضل طعامهم، ففضض الوليد فقال ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالا وولدا وهل شيع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخفق قط؟ قالوا اللهم لا، قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن؟ قالوا اللهم لا، قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط؟ قالوا اللهم لا، قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيء من الكذب؟ قالوا لا، وكان رسول الله ﷺ يسمى الامين قبل النبوة من صدقه، فقالت قريش للوليد فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر، فذلك قوله عز وجل إنه فكر في محمد والقرآن وقدر في نفسه ما ذا يمكنه أن يقول في محمد والقرآن (فقتل) لعن وقال الزهري عذب (كيف قدر) على طريق التعجب والانكار والتوبيخ (ثم قتل كيف قدر) كرهه لنا كيد وقيل معناه لعن على أي حال قدر من الكلام كما يقال لا ضربته كيف صنع أي على أي حال صنع (ثم نظر) في طلب ما يدفع من القرآن ويرده (ثم عبس وبسر) كبح وقطب وجهه فنظر بكرهية شديدة كلمتهم المتفكر في شيء (ثم ادبر) عن الايمان (واستكبر) تكبر حين دعي اليه (فقال ان هذا) ما هذا الذي يقرأه محمد (الا سحر يؤثر) يروى ويحكى عن السحرة (ان هذا الا قول البشر) يعني بسارا وجبرا فهو يآثره عنهما وقيل برويه عن مسيلة صاحب الجمامة

سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله ابن صبا الوليد انصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل ابن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال الوليد ألم تر الى قومك قد جمعوا لك الصدقة فقال أأستأكثرهم مالا وولدا؟ فقال له أبو جهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقدر تحدث به عشيرتي فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله الا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم [ذرني ومن خلقت وحيدا - الى قوله - لا تبقي ولا تذر]

وقال قتادة : زعموا انه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وان له خللاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض ما بين عينيه وكبح

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك أبا جهل ابن هشام فأنه فقال أي عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال لم؟ قال يعطونك فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أي أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك انك منكرو لما قال وأنتك كاره له ، قال فاذا أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجل أعلم بالاشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله ان لقولا الذي يقوله خللاوة ، وانه ليحطم ما تحته وانه ليعلو وما يعلى ، قال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعني حتى أتفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا الا سحر يؤثر عن غيره فزالت (ذرني ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن اسحاق وغير واحد نحوه من هذا

وقد زعم السدي انهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى [انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا] كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر فقال إن هذا الا سحر يؤثر ان هذا إلا قول البشر قال الله تعالى (سألنيهم سقر) أي سأغمره فيها من جميع جهاته

ثم قال تعالى (وما أدراك ما سقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لا تبقي ولا تذر) أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وعم في ذلك لا يموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريده وأبو سنان وغيرهما

قال الله تعالى (سألنيهم سقر) سادخله (سقر) وسقر اسم من أسماء جهنم (وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر) أي لا تبقي ولا تذر فيها شيئا الا أكلته وأهلكته وقال مجاهد لا نبت ولا تحيي

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أي للجلد . وقال ابو رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة [لواحة للبشر] أي حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى [عليها تسعة عشر] أي من مقدمى الزبانية عظيم خلقتهم غليظ خلقتهم

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حارث عن عامر عن البراء في قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال ان رهطا من اليهود سألو ا رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي ﷺ فأنزل الله تعالى عليه ساعته (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال ؟ ادعهم أما اني سألتهم عن نوبة الجنة ان أتوني أما انها كأنها دور مكة بيضاء ؟ فجأؤه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام في الثانية ثم قال « أخبروني عن نوبة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله ﷺ « أما ان الخبز انما يكون من الدرملك » هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء ، والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا منده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان وبخري بن حكيم حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله [رض] قال جا . رجل الى النبي ﷺ فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال « بأي شيء ؟ » قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار قالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ قال رسول الله ﷺ « افغلب قوم يستلون عمالا يعلمون فقالوا لا نعلم ؟ علي بأعداء الله لكنهم قد سألو نبيهم أن يريهم الله جبهة » فأرسل اليهم فدعاهم قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق

يعني لا تبقي من فيها حيا ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا ، وقال السدي لا تبقي لهم لحا ولا تذر لهم عظام ، وقال الضحاك إذا أخذت فيهم لم تبق منهم شيئا وإذا أعيدوا لم تذرهم حتى تنفيهم ولكل شيء ملالة وفترة إلا جهنم (لواحة للبشر) مغيرة للجلد حتى تجعله أسود يقال لاحه السقم والحزن إذا غيره ، قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه أشد سوادا من الليل ، وقال ابن عباس وزيد بن أسلم محروقة للجلد ، وقال الحسن وابن كيسان تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا نظيره قوله [وبرزت الجحيم للاغوين] ولواحة رفع على نمت سقر في قوله [وما أدراك ما سقر] والبشر جمع بشرة وجمع البشر أبشار (عليها تسعة عشر) أي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مائة ومعه ثمانية عشر وجاء في الاثر أعينهم كالبرق الخاطف وأنبياهم كالصياحي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزع من منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين الفا فيريهم حيث أراد من جهنم ، قال عمرو ابن دينار إن واحدا منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر قال ابن عباس وقاتدة والضحاك لما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع

٤٨ كون خزنة جهنم من الملائكة وكون عدتهم فتنة للكافرين (تفسير ابن كثير والبقوي)

كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « ان سئلتهم عن ثوبة الجنة فهي الدرمة » فلما سألوهم فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « ما ثوبة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يأبى القاسم فقال « الخبز من الدرمة » وهكذا رواه الترمذي عنده هذه الآية عن ابن أبي عمر عن شيبان به وقال هو والبزار لا يعرف إلا من حديث مجالد وقد رواه الإمام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بنقصه الدرمة فقط

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكفرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ كذلك يُضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ، وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر (٣١) كلا والقمر (٣٢) والليل إذا أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيراً للبشر (٣٦) لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر (٣٧)

يقول تعالى [وما جعلنا أصحاب النار] أي خزائنها [إلا ملائكة] أي زبانية غلاظا شدادا وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لو احد منهم فتغلبونهم ؟ فقال الله تعالى [وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة] أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يعالون ، وقد قيل إن أبا الأشد بن واسمه كلداء بن أسيد بن خاف قال يامعشر قريش ا كفوني منهم اثنين وانا ا كفيتكم منهم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزعزع عنه قال السهيلي وهو الذي دعا رسول الله ﷺ الى مصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي ﷺ صارا فلم يؤمن ، قال وقد نسب ابن اسحاق خبر المصارعة الى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب قلت ولا منافاة بين ما ذكرناه والله أعلم

ابن أبي كبشة يخبر ان خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الازهم أي الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم ، قال أبو الأشد بن كلداء بن خلف الجمحي انا اكفيتكم منهم سبعة عشر على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني أنتم اثنين ، وروي انه قال انا امشي بين أيديكم على الصراط فأرفع عشرة بمنكبي الايمن وتدعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله عز وجل [وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة] لا رجلا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة ؟

وقوله تعالى [وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا] أى انما ذكرنا عدتهم انهم تسعة عشر اختبارا منا للناس [ليستيقن الذين أوتوا الكتاب] أى يهلون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء قبله

وقوله تعالى [وبزداد الذين آمنوا إيمانا] أى الى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد ﷺ [ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض] أى من المنافقين [والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا] أى يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا

قال الله تعالى [كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء] أى من مثل هذا واشباهه يتأكد الايمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة

وقوله تعالى [وما يعلم جنود ربك إلا هو] أى ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى لثلاثتهم متوهم انهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت في حديث الامراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة «فاذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه آخر ما عليهم»

وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا امرئيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ «إني أرى ملائكة وأسمع ملائكة تسمعون أطت السماء وحق لها أن تظن ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا لتذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى» فقال أبو ذر والله لوددت

﴿ وما جعلنا عدتهم ﴾ أى عددهم في القلة ﴿ إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أى ضلالة لهم حتى قالوا ما قالوا ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ لانه مكتوب في التوراة والانجيل انهم تسعة عشر ﴿ وبزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ يعني من آمن من اهل الكتاب بزدادون تصديقا بمحمد ﷺ إذا وجدوا ما قاله موافقا لما في كتبهم ﴿ ولا يرتاب ﴾ لا يشك ﴿ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ في عددهم ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ شك ونفاق ﴿ والكافرون ﴾ مشركو مكة ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي شيء أراد بهذا الحديث وأراد بالمثل الحديث نفسه ﴿ كذلك ﴾ أي كما أضل الله من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق كذلك ﴿ يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ قال مقاتل

اني شجرة تعصده، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئاً »

وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيط السماء وما نلام أن تنط، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاذ حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النخعي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة أنها قالت قال رسول الله ﷺ « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم) وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون) وهذا مرفوع غريب جداً ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائما ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية عن بني عمرو بن عوف حدثني سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن زيد بن مسعود عن بني الحلبى حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع عن بني سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء عن بني ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوماً لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما نسمع يا رسول الله ؟ قال « أطت السماء وحق لها أن تيط أنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » وهذا اسناد غريب جداً

ثم قال حدثنا اسحاق بن محمد بن اسماعيل الفروي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن

هذا جواب أبي جهل حين قال أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر . قال عطاء وما يعلم جنود ربك إلا هو يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم الا الله، والمعنى ان تسعة عشر هم خزنة

ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جهش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى أبو جهش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشاً فيصر عني ثم يدرس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودست وجهه في التراب فأبى عثمان بن عفان فجزني عنه فخرج صريراً مضطرباً حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فقال « ما رباك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « ان رضى عمر رحمه الله على ذلك لوددت انك جئتني برأس الخبيث » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك بشئ الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جهش ان الله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رفعوا رءوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن الله في السماء الثانية ملائكة سجدوا لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال « أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذي العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت ، فقلها يا عمر في صلاتك ، فقال عمر يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي ؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذي أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضائك من سخطك ، وأعوذ بك منك جل وجهك » هذا حديث غريب جداً بل منكر نكرة شديدة واسحاق الفروي روى عنه البخاري ، وذكره ابن حبان في الثقة وضعفه أبو داود والنسائي والعقبلي والدارقطني . وقال أبو حاتم الرازي كان صدوقاً إلا انه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي تكلم فيه أيضاً ، والعجب من الامام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير انه رواه من وجه آخر عن شهيد بن جبير مرسلاً بنحوه ، ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلاً قريباً منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قزاذ أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عيسى ابن ارقطاه وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى ملائكة ترعد فرائضهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دموع من عينه إلا وقعت على ملك يصلي وان منهم ملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وان منهم ملائكة ركوعاً لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والارض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة فإذا رفعوا رءوسهم نظاروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا اسناد لا بأس به

النار ولهم من الاعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمهم إلا الله عز وجل . ثم رجع إلى ذكر سقر فقال

وقوله تعالى (وما هي إلا ذكرى للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هي) أي النار التي وصفت (إلا ذكرى للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر) والليل إذا أدبر (أي ولي) والصبح إذا أسفر (أي أشرق) أنها لاحدى الكبر (أي العظام يعني النار) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدي للحق أو يتأخر عنها ويولي ويردها

كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) إلا أصحاب اليمين (٣٩) في جنت يتساءلون (٤٠)

عن الجرمين (٤١) ما سلككم في سقر؟ (٤٢) قالوا لم نك من المصاين (٤٣) ولم نك نطعم

المسكين (٤٤) وكنا نخوض مع الخائضين (٤٥) وكنا نكذب بيوم الدين (٤٦) حتى أتتنا

اليقين (٤٧) فما تنفعهم شفعة الشفعين (٤٨) فما لهم عن التذكرة معرضين؟ (٤٩) كأنهم حمر

مستنفرة (٥٠) فرّت من قسورة (٥١) بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة (٥٢)

كلا بل لا يخافون الآخرة (٥٣) كلا إنه تذكرة (٥٤) فمن شاء ذكره (٥٥) وما يذكرون إلا

(وما هي) يعني النار (إلا ذكرى للبشر) إلا تذكرة وموعظة للناس (كلا والقمر) هذا قسم يقول حقاً (والليل إذا أدبر) قرأ نافع وحزمة وحفص وبعقوب إذ بغير ألف أدبر بالالف وقرأ الآخرون إذا بالالف دبر بلا ألف لأنه أشد موافقة لما يليه وهو قوله (والصبح إذا أسفر) ولأنه ليس في القرآن قسم يجيبه إذواً بما يجيب الأقسام إذا وكلاهما لغة يقال دبر أليل وأدبر إذا ولى ذاهباً قال أبو عمرو دبر لغة قريش وقال قطرب دبر أي أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي قاليل يأتي خاف النهار (والصبح إذا أسفر) أضاء وتبين (أنها لاحدى الكبر) يعني أن سقر لاحدى الأمور العظام وواحد الكبر كبرى قال مقاتل والكلبي أراد بالكبر دركات جهنم وهي سبعة: جهنم وأظى والمطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية (نذيراً للبشر) يعني النار نذير للبشر قال الحسن والله ما أنذر الله شيء أدهى منها وهو نصب على القطع من قوله لاحدى الكبر لأنها معرفة ونذيراً نكرة قال الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك وصف به المؤمن وقيل هو من صفة الله سبحانه وتعالى مجازة وما جعلنا أصعاب النار إلا ملائكة نذيراً للبشر أي انذاراً لهم قال أبو رزين يقول أنا لكم منها نذير فاقوها وقيل هو صفة لمحمد ﷺ معناه يأبىها المذنب ثم نذيراً للبشر فانذر وهذا معنى قول ابن زيد (لمن شاء) بدل من قوله للبشر (منكم أن يتقدم) في الخير والطاعة (أو يتأخر) عنها في الشر والمعصية والمعنى أن الانذار قد حصل لكل واحد من آمن أو كفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهنة في النار

أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة (٥٦)

يقول تعالى مخبراً أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فأنهم (في جنات يتساءلون عن المجرمين) أي يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدرجات قائلين لهم (مأسلكم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) أي ما عبدنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أي نتكلم فيما لا نعلم وقال قتادة : كلما غوى غاو غوبنا معه [وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين] يعني الموت كقوله تعالى [واعبد ربك حتى يأتيك اليقين] وقال رسول الله ﷺ « أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى [فما تنفعهم شفاعة الشافعين] أي من كان متصفاً بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجم إذا كان المحل قابلاً فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه لا محالة خالداً فيها

بكسبها مأخوذة بعملها ﴿ إلا أصحاب اليمين ﴾ فأنهم لا يرتفعون بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم قال قتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين، واختلفوا فيهم روي عن علي رضي الله عنه أنهم أطفال المسلمين، وروي أبو ظبيان عن ابن عباس هم الملائكة وقال مقاتل هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وعنه أيضاً هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم، وعنه أيضاً هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم وقال الحسن هم المسلمون المحضون، وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من اعتمد على الفضل وكل من اعتمد على السكسب فهو رهين به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به ﴿ في جنات يتساءلون عن المجرمين ﴾ المشركين ﴿ مأسلكم في سقر ؟ ﴾ فاجابوا ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ الله ﴿ ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض ﴾ في الباطل ﴿ مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ وهو الموت قال الله عز وجل ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ قال ابن مسعود يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا (قالوا لم نك من المصلين - إلى قوله - يوم الدين) قال عمران بن الحصين الشفاعة نافعة لكل واحد دون هؤلاء الذين تسمعون

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أحمد بن الحسين الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطومى ثنا محمد بن حماد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « بصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان قال فيقول ما تريد ؟ فيقول أما تذكر رجلاً سفاكاً شراباً ماء يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لا أنت هو ؟ فيقول نعم

ثم قال تعالى [فألهم عن التذكرة معرضين؟] أي فما هؤلاء الكفرة الذين قبلوا عما تدعوهم إليه وتذكروهم به معرضين [كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة] أي كأنهم في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن، وأورام وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهان عن ابن عباس الأسد بالعربية ويقال له الحبشية قسورة وبالفارسية شبر وبالنبطية أوبا

وقوله تعالى [بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة] أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى [واذا جاءهم آية قالوا إن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله، الله أعلم حيث يجعل رسالته] وفي رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى [كلا بل لا يخافون الآخرة] أي إنما أقدم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها

فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ما تريد فيقول أما تذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا؟ فيقول انك لانت هو؟ فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه ﴿فألهم عن التذكرة معرضين﴾ عن مواعظ القرآن معرضين نصب على الحال وقيل صاروا معرضين ﴿كانهم حمر﴾ جمع حمار ﴿مستنفرة﴾ قرأ أهل المدينة والشام بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها فمن قرأ بالفتح فعنها منفرة مذعورة، ومن قرأ بالكسر فعنها نافرة يقال نفر واستنفر بمعنى واحد كما يقال عجب واستعجب ﴿فرت من قسورة﴾ قال مجاهد وقاتدة والضحاك القسورة جماعة الرماة لا واحد لها من لفظها وهي رواية عطاء عن ابن عباس

وقال سعيد بن جبير القناص وهي رواية عطية عن ابن عباس، وقال زيد بن أسلم من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسور وقسورة، وعن أبي المتوكل قل هي لفظ القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هي حبال الصيادين، وقال أبو هريرة هي الأسد وهو قول عطاء والسكبي وذلك أن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت كذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ يقرأ القرآن هربوا منه قال عكرمة هي ظلمة الليل ويقال لسواد أول الليل قسورة ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لرسول الله ﷺ ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك لرسوله تؤمر فيه باتباعك قال السكبي إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح مكتوبة عند رأسه ذنبه وكفارته فانتنا بمثل ذلك، والصحف الكتب وهي جمع الصحيفة ومنشرة منشورة فقال الله تعالى ﴿كلا﴾ لا يؤتون الصحف وقيل حقا وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أي لا يخافون عذاب

ثم قال تعالى (كلا انه تذكرة) أى حقا ان القرآن تذكرة [فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا ان يشاء الله] كقوله [وما يشاؤون الا ان يشاء الله]
وقوله تعالى [هو أهل التقوى وأهل المغفرة] أى هو أهل ان يخاف منه وهو أهل ان يغفر ذنب من تاب اليه وأتاب . قاله قتادة

وقال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب اخبرني سهيل اخو حمزة حدثنا ثابت البناني عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية [هو أهل التقوى وأهل المغفرة] وقال « قال ربكم انا أهل ان أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى ان يجعل معي إلهما كان أهلا ان اغفر له » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث المعافي بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعي به ، وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوي ورواه ابن أبي حاتم عن ابيه عن هذبة بن خالد عن سهيل به ، وهكذا رواه ابو يعلى والزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطعي به

(آخر تفسير سورة المدثر والله الحمد والمنة)

الآخرة ، والمعنى أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة (كلا) حقا (انه) يعني القرآن (تذكرة) موعظة (فمن شاء ذكره) اتعظ به (وما يذكرون) قرأ نافع ويعقوب تذكرون بالتاء والآخرون بالياء (إلا أن يشاء الله) قال مقاتل إلا أن يشاء الله لهم الهدى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي أهل ان تتقى محارمه وأهل ان يغفر لمن اتقاه

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا هذبة بن خالد ثنا سهيل بن أبي حزم عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) قال « قال ربكم عز وجل انا أهل ان أتقى ولا يشرك بي غيري وأنا أهل لمن اتقى ان يشرك بي ان اغفر له » وسهيل هو ابن عبد الرحمن القطعي أخو حزم القطعي

تفسير سورة القيامة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بيوم القيامة (١) ولا أقسم بالنفس الواهمة (٢) أي حسب الإنسان أن ينجم عظامه (٣) إلى قدرين على أن نسوي بنانه (٤) بل يريد الإنسان ليفجر أممه (٥) يسئل أيان يوم القيمة (٦) فإذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجُمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر؟ (١٠) كلا لاو زر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣) بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان متنفيا جاز الاثبات بلا قبل القسم لتأكيد النفي، والمقسم عليه هنا هو اثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجبهة من العباد، من عدم بعث الاجساد، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس الواهمة) قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس الواهمة، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا، هكذا حكاه ابن أبي حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرآ (لا أقسم بيوم القيامة) وهذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس الواهمة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعا معا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير، فأما يوم القيامة فعرف وأما النفس الواهمة فقال قره بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية أن المؤمن والله ما نراه

﴿ سورة القيامة مكية وهي أربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ قرأ القواس عن ابن كثير لا أقسم الحرف الاول بلا ألف قبل الهزة ﴿ ولا أقسم بالنفس الواهمة ﴾ بالالف وكذلك قرأ عبد الرحمن الأعرج على معنى أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس الواهمة، والصحيح أنه أقسم بهما جميعا ولا صلة فيهما أي أقسم بيوم القيامة وبالنفس الواهمة وقال ابو بكر بن عياش هو تأكيد للقسم كقولك لا والله، وقال الفراء لارد لكلام المشركين المنكرين ثم ابتداء فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس الواهمة وقال المغيرة بن شعبه يقولون القيامة وقيامه أحدهم مرته، وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال أما هذا فقد قامت قيامته [ولا أقسم بالنفس

إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي، ما أردت بأكتي، ما أردت بحديث نفسي. وإن الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح عن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عن عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللوامة، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد تندم على ما فات وتلوم عليه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اللوامة المذمومة، وقال قتادة (اللوامة) الفاجرة، قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أبحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه ؟) أي يوم القيامة أظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن

اللوامة [قال سعيد بن جبير وعكرمة تلوم على الخير والشر ولا تصير على السراء والضراء قال قتادة اللوامة الفاجرة قال مجاهد تندم على ما فات وتقول لو فعلت ولو لم أفعل، قال الفراء ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها أن كانت عملت خيرا قالت هلا ازددت وإن عملت شرا قالت ليتني لم أفعل، قال الحسن هي النفس المؤمنة، قال ابن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي، ما أردت بأكتي، وإن الفاجر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها، قال مقاتل هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا (أبحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه) نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الأخنس بن شريق الثقفي وكان النبي ﷺ يقول « اللهم اكفني جاري السوء » يعني عديا والأخنس وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي ﷺ فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون وكيف حالها، وأمرها؟ فأخبره النبي ﷺ فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن بك أو يجمع الله العظام فأزل الله عز وجل [أبحسب الإنسان] يعني الكافر [أن أن نجتمع عظامه] بعد التفرق والى فتحبيه قبل ذكر العظام وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها، وقيل هو خارج عن قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله [قال من يحبي العظام وهي رميم] (بلى قادرين) أي تقدر استقبال صرف إلى الحال قال الفراء قادرين نصب على الخروج

ابن عباس ان نجعله خفا أو حافراً ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا ، والظاهر من الآية ان قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجعل) أي أبطل الانسان انا لانجمع عظامه بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتبية والزجاج

وقوله (بل يريد الان ان ليفجر أمامه) قال سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدما ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الامل يقول الانسان أعمل ثم أنوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة

وقال مجاهد (ليفجر أمامه) لم يمضي أمامه راكبا رأسه ، وقال الحسن لا يلبي ابن آدم الا تنزع نفسه إلى معصية الله قدما قدما إلا من عصمه الله تعالى ، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يجعل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الاظهر من المراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى يكون يوم القيامة وانما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى [ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون]

من نجعل كما تقول في الكلام أن لا نقدر عليك بلى قادرين على أقوى منك يريد بلى نقوى قادرين على أكثر من ذا ، مجاز الآية بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك وهو (على أن نسوي بنانه) أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحداً كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفع بها بالقبض والبسط والاعمال الطيفة كالكتابة والحياطة وغيرها هذا قول أكثر المفسرين

وقال الزجاج وابن قتبية معناه ظن الكافر انا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على ان نعبد السلاميات على صفرها فنؤاغب بينها حتى نسوي البنان ، فمن قدر على جمع صفار العظام فهو على جمع كبارها اقدر (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) يقول لا يجمل ابن آدم ان ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد ان يفجر أمامه أن يمضي قدما في معاصي الله ماعاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وقال سعيد بن جبير ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله ، وقال الضحاك هو الامل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت ، وقال ابن عباس وابن زيد يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل ، وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق (يسأل أيان يوم القيامة) أي متى يكون ذلك ؟ تكذيبا

وقال تعالى ههنا (فاذا برق البصر) قرأ ابو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى [لا يرتد اليهم طرفهم] أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الاول . والمقصود أن الابصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتجار وتذل من شدة الاهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الامور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية [اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت] وروى عن ابن مسعود انه قرأ [وجمع بين الشمس والقمر]

وقوله تعالى (يقول الانسان يومئذ أين المفر) أي اذا عاين ابن آدم هذه الاهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ او موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لانجاة وهذه الآية كقوله تعالى [ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير] أي ليس لكم مكان تتذكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والمصير

ثم قال تعالى (ينأى الانسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديما وحديثا ، أولا وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى [ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا] وهكذا قال

قال الله تعالى (فاذا برق البصر) قرأ أهل المدينة برق بفتح الراء . وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان قال قتادة ومقاتل شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا ، قبل ذلك عند الموت وقال الكلبي عند رؤية جهنم تهرق أبصار الكفار وقال الغراء والحليل برق بالكسر أي فزع ونهبر لما يرى من العجائب وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البرق وهو التلألؤ (وخسف القمر) أظلم وذهب نوره وضوؤه (وجمع الشمس والقمر) أي صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عفيران ، وقبل يجمع بينهما في ذهاب الضياء وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر وهذا من آيات الله الكبرى وقبل يجمعان ثم يقذفان في النار وقبل يجمعان فيطلعان من المغرب (يقول الانسان) أي الكافر المكذب (يومئذ أين المفر) أي المهرب وهو موضع الفرار وقبل هو مصدر أي أين الفرار

قال الله تعالى (كلا لا وز) لاحصن ولا حرز ولا ملجأ وقال السدي لا جيل وكانوا اذا فزعوا لجأوا إلى الجبل فتحصنوا به وقال تعالى لا جيل يومئذ يمنعهم (إلى ربك يومئذ المستقر) أي مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود المصير والمرجع نظيره قوله تعالى [إلى ربك الرجعى - وإلى الله المصير] وقال السدي المنتهى نظيره [وان إلى ربك المنتهى] (ينأى الانسان يومئذ بما قدم وأخر) قال ابن

ههنا (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) اي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى [اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا]

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الانسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره وبديه ورجليه وجوارحه ، وقال قتادة شاهد على نفسه ، وفي رواية قال اذا شئت والله رأيت بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه . وكان يقال إن في الانجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره

وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولوجادل عنها فهو بصيرة عليها ، وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه ، وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجته ، وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير ، وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه ، وقال الضحاك (ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر المعذار ، والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى [ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين] وكقوله تعالى [يوم يبعثهم الله جميعا فيخلفون له كما يخلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون] وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع انه قال [لا ينفع الظالمين معذرتهم - وقال - وألقوا إلى الله يومئذ السلم ما كنا نعمل من سوء - والله ربنا ما كنا مشركين]

مسعود وابن عباس بما قدم قبل الموت من عمل صالح وسيء وما أخر بعده من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها ، وقال عطية عن ابن عباس بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال عطاء بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره وقال زيد بن اسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة (بل الانسان على نفسه بصيرة) قال عكرمة ومقاتل والكلبي معناه بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه ودخل الماء في البصيرة لان المراد بالانسان ههنا جوارحه ويحتمل ان يكون معناه بل الانسان على نفسه بصيرة يعني لجوارحه فحذف حرف الجر كقوله [وان أردتم ان تستر ضعوا أولادكم] أي لا أولادكم

ويجوز ان يكون معنا لاسم مؤنث أي بل الانسان على نفسه عين بصيرة وقال ابو العالية وعطاء بل الانسان على نفسه شاهد وهي رواية العوفي عن ابن عباس والماء في بصيرة المبالغة دليل هذا التأويل قوله عز وجل [كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا] (ولو ألقى معاذيره) يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه كما قال [يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم] وهذا قول مجاهد وقاتل وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء قال الفراء ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ومعنى الالتقاء القول كما قال [فأتقوا اليوم القول انكم للكاذبون] وقال الضحاك والسدي (ولو ألقى معاذيره)

لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) ان علينا جمعه وقرآنه (١٧) فاذا قرأته فاتبع قرآنه (١٨)

ثم ان علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة

(٢٢) الى ربها ناظرة (٢٣) وجوه يومئذ باسرة (٢٤) تظن ان يُعملَ بها فاقرة (٢٥)

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر الى اخذه وبسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل اذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ولا تكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه اليه وأن يبينه له ويفسره وبوضحه، فالحالة الاولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي ان تقرأه (فاذا قرأناه) أي اذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأ كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ بهالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه فانزل الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وانصت (ثم إن علينا بيانه) فكان بعد ذلك اذا انطلق جبريل قراءه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه

يعني ولو أرخى الستور وأغلق الابواب وأهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير ومعناه على هذا القول وان اسبل الستر ليخفي ما كان يعمل فان نفسه شاهدة عليه

قوله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل [لا تحرك به لسانك لتعجل به] قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التي لا أقسم بيوم القيامة (لا تحرك به لسانك لتعجل به) (ان علينا جمعه وقرآنه) قال علينا أن نجمله في صدرك قرآنه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) فاذا أنزلناه فاستمع (ثم ان علينا بيانه) علينا أن نبينه بلسانك قال وكان اذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قراءه كما وعد الله

عن موسى بن أبي عائشة به، ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كوعده الله عز وجل
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان
إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفقيه يتلقى أوله ويحرك به شفقيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ
من آخره فانزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري
وقنادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان
لا يتر من القراءة مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن
نجمه لك (وقرآنه) أن نقرئك فلا تنسى، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه)
تبيين جلاله وحرامه وكذا قال قنادة

وقوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة
ومخالفة ما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم أنهم إنما همتهم إلى
الدار الدنيا العاجلة وهم لا همون مشاغولون عن الآخرة

ثم قال تعالى [وجوه يومئذ ناضرة] من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة [إلى ربها
ناظرة] أي ترى عيانا كما روى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه «إنكم سترون ربكم عيانا»
وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة
عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا
قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما
سحاب؟» قالوا لا قال «فأنكم ترون ربكم كذلك»

عز وجل، ورواه محمد بن اسماعيل عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة
بهذا الإسناد وقال كان يحرك شفقيه إذا نزل عليه يخشى أن ينفلت منه فقبل له لا تحرك به لسانك إن
علينا جمعه أن نجمه في صدرك وقرآنه أن قرأه «كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة» قرأ
أهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالثناء فيها وقرأ الآخرون بالياء أي يختارون الدنيا على العقبى
ويعملون لها يعني كفار مكة، ومن قرأ بالثاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد بل تحبون وتذرون

«وجوه يومئذ» يوم القيامة «ناصرة» قال ابن عباس حسنة وقال مجاهد مسرورة وقال ابن
زيد ناعمة وقال مقاتل يبيض يعملوها النور، وقال السدي مضئشة، وقال يمان مسفرة، وقال الفراء
مشرقة بالنعيم يقال نصر الله وجهه ينصر نصره ونضر وجهه ينضر نضرته ونضارة
قال الله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) (إلى ربها ناظرة) قال ابن عباس وأكثر

وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله ﷺ الى القمر ليلة البدر فقال « انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا »
وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ « جنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا الى الله عز وجل الارداء الكبرى ، على وجهه في جنة عدن »
وفي أفراد مسلم عن صبيب عن النبي ﷺ قال « اذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية [الذين احسنوا الحسنى وزيادة]

وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه « إن الله يتجلى للمؤمنين بضحك » يعني في عرصات القيامة ففي هذه الاحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات
وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبيجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ان أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه التي سنة يرى أقصاه كما يرى أذناه ، ينظر الى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن نوبير قال سمعت ابن عمر فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبيجر عن نوبير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن نوبير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا الاحاديث بطرقها وأفاضلها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين أئمة الاسلام ، وهداة الانام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بالى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب اليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجار الا وقد علم أن الابواب برونه عز وجل ، ثم قد تواترت الاخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى (الى ربها ناظرة)

الناس تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب ، قال الحسن تنظر الى الخالق وحق لها أن تنصروا وهي تنظر الى الخالق
أخبرنا أبو بكر ابن أبي الهيثم الترمذي أنا عبد الله بن أحمد الحوي أنا إبراهيم بن خزيمة الشامي أنا عبد الله بن حميد ثنا شبابة عن إسرائيل عن نوبير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه ومروره مسيرة الف سنة

قال ابن جرير حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن [وجوه يومئذ ناضرة] قال حسنة (الى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق رحق لها أن تنضروا وهي تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة كلحة . وقال السدي تنير ألوانها وقال ابن زيد باسرة أي عابسة [تظن] أي تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدي تستيقن أمهاها مكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار وهذا المقام كقوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * صاخصة مستبشرة * ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلي نارا حامية - الى قوله - وجوه يومئذ ناعمة لسهبها راضية * في جنة عالية) في أشباه ذلك من الآيات والسيقات

كلا إذا بلغت التراقي (٢٦) وقيل من راق ؟ (٢٧) وظن أنه الفراق (٢٨) والتفت الساق بالساق (٢٩) الى ربك يومئذ المساق (٣٠) فلا صدق ولا صلى (٣١) ولكن كذب وتولى (٣٢) ثم ذهب الى أهله يتمطى (٣٣) أولى لك فأولى (٣٤) ثم أولى لك فأولى (٣٥) أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ (٣٦) ألم يك نطفة من مني يميني ؟ (٣٧) ثم كان علقة متخلق فسوي (٣٨) فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (٣٩) اليس ذلك بقدر على ان يحيي الموتى ؟ (٤٠)

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الاهوال ثبتنا الله هنالك بانقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت التراقي) إن جعلنا كلا رادعة فعناها لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا ، وإن جعلناها بمعنى حقا فظاهر اي حقا إذا بلغت التراقي أي انترعت ، وروحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والتراقي جمع رقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون

وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (وجوه يومئذ باسرة) عابسة كلحة مغبرة مسودة (تظن أن يفعل بها فاقرة) تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد يكسر فقار الظهر

قال سعيد بن المسيب قاصمة الظهر قال ابن زيد هي دخول النار ، وقال السكبي هي أن يحتجب عن رؤية الرب عز وجل (كلا إذا بلغت) يعني النفس كناية عن غير مذكور (التراقي) فخرج بها عند الموت والتراقي جمع الترقوة وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي

فلولا ان كنتم غير مدينين * ترجعونها ان كنتم صادقين (وهكذا قال ههنا) كلا إذا بلغت التراقي
ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس والتراقي جمع رقوة وهي قريبة من الخلقوم
(وقيل من راق ؟) قال عكرمة عن ابن عباس أي من راق يرقى وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق)
أي من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نصر بن علي حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء السكبي
حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس [وقيل من راق] قيل من يرقى بروحه ملائكة
الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة ، وبهذا الاسناد عن ابن عباس في
قوله [والتفت الساق بالساق] قال التفت عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس [والتفت الساق بالساق] يقول آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة
بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة [والتفت الساق بالساق] الأمر العظيم بالأمر العظيم ، وقال مجاهد
بلاء بلاء . وقال الحسن البصري في قوله تعالى [والتفت الساق بالساق] هما ساقاك إذا التفتا ، وفي رواية عنه
ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدي عن أبي مالك وفي رواية عن الحسن :
هو لفهما في الكفن ، وقال الضحاك [والتفت الساق بالساق] اجتمع عليه أسران : الناس يجهزون
جسده ، والملائكة يجهزون روحه

وقوله تعالى [إلى ربك يومئذ المساق] أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات
فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى
كما ورد في حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى [وهو أتممهم فوق عبادته ويرسل إليكم حفظة حتى إذا جاء
أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون] ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

عن الاشفاء على الموت ﴿ وقيل من راق ؟ ﴾ أي قال من حضره الموت هل من طبيب يرقى ويداويه
فيشفيه برقيقته أو درائه وقال قتادة التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيئا

وقال سليمان التيمي ومقاتل بن سليمان هذا من قول الملائكة يقول بعضهم لبعض من يرقى
بروحه فيصعد بها ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ؟ ﴿ وظن ﴾ أي يقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿ أنه
الفراق ﴾ من الدنيا ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ قال قتادة الشدة بالشدة قال عطاء شدة للموت بشدة
الآخرة قال سعيد بن جبير تنابعت عليه الشدائد قال السدي لا يخرج من كرب الاجاءه أشد منه
قال ابن عباس أمر الدنيا بأمر الآخرة فكان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وقال
مجاهد اجتمع فيه الحياة والموت

وقال الضحاك الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه ، وقال الحسن هما ساقاه إذا التفتا
في الكفن وقال الشعبي هما ساقاه إذا التفتا عند الموت ﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أي مرجع العباد
﴿ تفسيره ابن كثير والبغوي ﴾ (٩)

وقوله جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا اخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا لا حق بقلبه متوليا عن العمل بقلبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى [فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى] أي جذلانا أشمرا بطرا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال الله تعالى [واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكبين] وقال تعالى (انه كان في أهله مسرورا * انه ظن أن لن يحور - أي يرجع - بلى إن ربه كان به بصيرا)

قال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب الى أهله يتمطى) أي يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى (أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى) وهذا تهديد ووعد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى (ذق انك أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وكقوله جل جلاله [اعملوا ما شئتم] الى غير ذلك

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن امراة عن موسى بن أبي عائشة قال سألت سعيد بن جبيرة قلت (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) قال قاله النبي ﷺ لابي جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود يحيى بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس [أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى] فقال قاله رسول الله ﷺ لابي جهل ثم انزل الله عز وجل قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن اسمعق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) فقال

إلى الله يساقون اليه (فلا صدق ولا صلى) يعني أبا جهل لم يصدق بالقرآن ولا صلى لله (ولكن كذب وتولى) عن الايمان (ثم ذهب الى أهله) رجع اليهم (يتمطى) يتبختر ويختال في مشيه قيل أصله يتمطط أي يتمدد والمط هو المد (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) هذا وعيد على وعيد من الله عز وجل لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد

وقال بعض العلماء معناه انك أجدر بهذا العذاب وأحق وأولى به يقال للرجل حيث يصيبه مكروه يستوجبه وقيل هي كلمة تقولها العرب لمن قاربته المكروه وأصلها من الولي وهو القرب قال الله تعالى (قائلوا الذين يلونكم من الكفار) وقال قتادة ذكر لنا ان النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية أخذ بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وقال له (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) فقال أبو جهل أنوعدني

عدو الله أب جهل أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإني لأعز من مشي بين جليليها وقوله تعالى (أبحسب الانسان أن يترك سدى؟) قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني، لا يؤمر ولا ينهى والظاهر أن الآية نعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهلا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا اثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيف والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداة فقال تعالى (ألم يك نطفة من مني يعني) أي أما كان الانسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يعني يراق من الاصلاب في الارحام (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الاعضاء ذكرأ أو انثى باذن الله وتقديره ولهذا قال تعالى [فجعل منه الزوجين الذكر والانثى]

ثم قال تعالى [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟] أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه؟ وتنازل القدرة للاعادة إما بطريق الاولى بالنسبة إلى البداوة وأما مساوية على القواين في قوله تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] والاول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقديره والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شيبان عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر انه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فاذا قرأ [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟] قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك

وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيتيه فكان اذا قرأ [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟] قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا بضر ذلك

وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثني اسماعيل بن أمية

يا محمد والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئا وإني لأعز من مشي بين جليليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوأ قتلة وكان النبي ﷺ يقول « ان لكل أمة فرعوننا وان فرعون هذه الامة أبو جهل » (أبحسب الانسان أن يترك سدى) مهلا لا يؤمر ولا ينهى قال السدي معناه المهمل، أبل سدى اذا كانت ترمى حيث شاءت بلا راع (ألم يك نطفة من مني يعني؟) تصب في الرحم قرأ حفص عن عاصم يعني بالياء، وهي قراءة الحسن، وقرأ الآخرون بالتاء لأجل النطفة (ثم كان علقة فخلق فسوى) فجعل فيه الروح وسوى خلقه (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى) خلق من مائه أولاداً ذكرراً وإناثاً (أليس ذلك) الذي فعل هذا (بقادر على أن يحيي الموتى؟)

سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم باليتين والزيتون فانتفى إلى آخرها » [أليس الله بأحكم الحاكمين ؟] فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ [لا أقسم بيوم القيامة] فانتفى إلى قوله [أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟] فليقل بلى ، ومن قرأ [والمرسلات] فبلغ [فبأي حديث بعده يؤمنون ؟] فليقل آمنا بالله ، ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن اسماعيل بن أمية قال قلت له من حدثك ؟ قال رجل صدق عن أبي هريرة

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال « سبحانك ويلي » ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) قال سبحانك فبلى

﴿ آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد والمنة ﴾

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبدالعزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد ابن أحمد بن عمر اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان حدثني اسماعيل بن أمية قال سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم (اليتين والزيتون فانتفى) إلى آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين ؟) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فانتفى إلى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) فليقل بلى ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) فليقل آمنا بالله »

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز أنا أبو القاسم بن جعفر أنا أبو علي اللؤلؤي أنا أبو داود ثنا محمد بن المثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم



تفسير سورة الانسان وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (ألم تنزيل) السجدة (هل أتى على الانسان ؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة [هل أتى على الانسان حين من الدهر ؟] وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله ﷺ « أخرج نفس صاحبكم - او قال أخبكم - الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً (١) انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً (٢) انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفوراً (٣)
يقول تعالى مخبراً عن الانسان انه أوجده بعد ان لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) اي اخلاط والمشج والمشيح الشيء المختلط ببعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعني ماء الرجل وماء المرأة اذا اجتماعا واختلطاً ثم ينتقل بعد

سورة الانسان

قال عطاء هي مكية وقال مجاهد وقتادة مدنية ، وقال الحسن وعكرمة هي مدنية الآية وهي قوله (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) وهي إحدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هل أتى ﴾ قد أتى ﴿ على الانسان ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ حين من الدهر ﴾ أربعون سنة وهو من طين ملقى بين مكة والطائف قبل أن ينفخ فيه الروح ﴿ لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾ لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به يريد كان شيئاً ولم يكن مذكوراً وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح ، روي أن عمر سمع رجلاً يقرأ هذه الآية (لم يكن شيئاً مذكوراً) فقال عمر ليتها تمت بربد ليتها بقي على ما كان . قال ابن عباس ثم خلقه بعد عشرين ومائة سنة ﴿ انا خلقنا الانسان ﴾ يعني ولد آدم ﴿ من نطفة ﴾ يعني مني الرجل ومني المرأة ﴿ أمشاج ﴾ اخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين

من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس المشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة

وقوله تعالى (نبتليه) أي نختبره كقوله جل جلاله [ليلوكم أيكم أحسن عملا] فجعلناه سميعا بصيرا أي جعلناه سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية

وقوله جل وعلا (انا هديناه السبيل) أي بيناه له ووضعناه وبصرناه به كقوله جل وعلا [وأما نمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى] وكقوله جل وعلا [وهديناه النجدين] أي بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروي عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدي أنهم قالوا في قوله تعالى (انا هديناه السبيل) يعني خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الاول

وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الماء في قوله (انا هديناه السبيل) تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « كل الناس يقدون فبائع نفسه فوبقها أو معتقها »

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة « أعاذك الله من امارة السفهاء » قال وما امارة السفهاء ؟ قال « أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهدائي ، ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم يكذبهم وأعانهم على ظلمهم فاولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ، ومن لم يصدقهم يكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وأنا منهم وسيردون على حوضي ، ياكعب بن عجرة الصوم

قال ابن عباس والحسن ومجاهد والربيع يعني ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم فهو من نطفة الرجل ، وما كان من لحم ودم وشعر فن ماء المرأة

وقال الضحاك أراد بالمشاج اختلاف ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضا ، وحمر ، ونطفة المرأة خضراء ، وحمر ، وصفراء ، وهي رواية للوالبي عن ابن عباس وكذلك قال الكلبي قال المشاج البياض في الحمرة والصفرة ، وقال يمان كل لونين اختلطا فهو مشاج ، وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة وقال الحسن نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فإذا حبلت ارتفع الحيض ، وقال قتادة هي أطوار الخلق نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظام ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر (نبتليه) نختبره بالامر والنهي (فجعلناه سميعا بصيرا) قال بعض أهل العربية فيه تقديم وتأخير مجازة فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة (انا هديناه السبيل) أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر (إما شاكرا وإما كفورا) اما مؤمنا سعيدا واما

جنة ، والصدقة نطفيء الخطيئة ، والصلاة قربات - أو قال برهان - يا كعب بن عجرة انه لا يدخل الجنة
لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا كعب الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها »
ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله
[فطرة الله التي فطر الناس عليها] من رواية جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول
الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه اسانه إما شاكراً وإما كفوراً »

وقال الامام أحمد حدثنا ابو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبري عن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مامن خارج يخرج إلا بياحه رايتان : راية بيد ملك
وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته
وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته »

إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً (٤) إن الأبرار يشربون من كأس كان

مزاجها كافوراً (٥) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (٦) يوفون بالنذر ويخافون

يوماً كان شره مستطيراً (٧) ويضعون الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيراً (٨) إنا أنطمعكم

لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (٩) إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً (١٠)

فوقهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً (١١) وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً (١٢)

يخبر تعالى عما أرسده للكافرين من خلقه به من السلاسل والاعلال والسعير وهو القهب والحريق
في نار جهنم كما قال تعالى [إذ الاعلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون]
ولما ذكر ما أعد لهؤلاء الاشقياء من السعير قال بعده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها

كافراً شقياء وقيل معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق ان شكر او كفر ثم بين ما للفرقيين فقال
﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسل ﴾ يعني في جهنم قرأ اهل المدينة والكسائي وابو بكر عن عاصم سلاسل
وقوارير قوارير بالالف في الوقف وبالتنوين في الوصل فيهن جميعاً ، وقرأ حمزة وبعقوب بلا ألف
في الوقف ولا تنوين في الوصل فيهن ، وقرأ ابن كثير قوارير الاولى بالالف في الوقف وبالتنوين في
الوصل وسلاسل وقوارير الثانية بلا الف ولا تنوين ، وقرأ ابو عمر وابن عامر وحفص سلاسل
وقوارير الاولى بالالف في الوقف وعلى الخط وبغير تنوين في الوصل وقوارير الثانية بغير الف ولا
تنوين قوله ﴿ واغلالا ﴾ يعني في أيديهم نفل في أعناقهم ﴿ وسعيراً ﴾ وقوداً شديداً ﴿ إن الأبرار ﴾
يعني المؤمنين الصادقين في إيمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار مثل شاهد واشهاد وناصر وانصار وبار

كافوراً) وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذابة في الجنة قال الحسن برد الكافور في طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييراً) أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروي حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب في طيبه كالكافور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوباً يشرب ، حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير

وقوله تعالى (يفجرونها تفجييراً) أي يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانبعاث كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) وقال [وفجرنا خلالها نهاراً]

قال مجاهد (يفجرونها تفجييراً) يقودونها حيث شاؤوا وكذا قال عكرمة وقتادة . وقال الثوري بصرفونها حيث شاؤوا

وقوله تعالى (يوفون بالنذر) يخافون يوماً كان شره مستطيراً) أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر

أيضاً مثل نهر وانهار (يشربون) في الآخرة (من كأس) فيه شراب (كان مزاجها كافوراً) قال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك قال عكرمة مزاجها طعمها ، وقال أهل المعاني أراد كالكافور في بياضه وطيب ريحه ويرده لأن الكافور لا يشرب وهو كقوله (حتى إذا جعله ناراً) أي كنار وهذا معنى قول مقاتل ومجاهد يمازجه ريح الكافور

وقال ابن كيسان طيب بالكافور والمسك والزنجبيل قال عطاء والكلبي الكافور اسم لعين ماء في الجنة (عينا) نصب تبعاً للكافور وقيل نصب على المدح وقيل أعني عينا ، وقال الزجاج الأجود أن يكون المعنى من عين (يشرب بها) قيل يشربها والباء صلة وقيل بها أي منها (عباد الله) قال ابن عباس أولياء الله (يفجرونها تفجييراً) أي يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم كما يكون له نهر يفجره ههنا وههنا إلى حيث يريد (يوفون بالنذر) هذا من صفاتهم في الدنيا أي كانوا في الدنيا كذلك قال قتادة أراد يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها من الواجبات ، ومعنى النذر الإيجاب وقال مجاهد وعكرمة اذ نذروا في طاعة الله وفوا به أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن محمد عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » (ويخافون يوماً كان شره مستطيراً) فاشياً ممتداً يقال استطار الصبح إذا امتد وانتشر ، قال مقاتل كان شره فاشياً في السموات

قال الامام مالك عن طلحة بن عبد الملك الابلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « من نذر أن يطعم الله فليطعمه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » رواه البخاري من حديث مالك . ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس فاشيا ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والارض ، قال ابن جرير : ومنه قول الاعشى استطار الصدع في الزجاجة واستطال ، ومنه قول الاعشى

فبات وقد أسأت في الفؤاد صدعا على نأيها مستطيرا

يعني ممندا فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائداً الى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والظاهر ان الضمير عائداً على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون]

(١) وروى البيهقي من طريق الاعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتبه عبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعني امرأته فاشتريت عنقوداً بدرهم فأنعم الرسول سائل فلما دخل با قال السائل : السائل قبل ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشتريت عنقوداً فأنعم الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفية الى السائل فقالت والله إن عدت لانصيب منه خير أبداً ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به

وفي الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وانت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أي في حال محبتك لخال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال [ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا] أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانها وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبيرة والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كن أمراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن

فاشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ، وفي الارض قسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء [ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا] أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانها وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبيرة والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كن أمراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن

(١) هذا الحديث ليس بموجود في النسخة المكية

رسول الله ﷺ أسر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الفداء وقال عكرمة ثم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرک ، وهكذا قال سعيد بن جبیر وعطاء والحسن وقتادة

وقد وصى رسول الله ﷺ بالاحسان الى الارقاء في غير ما حدث حتى انه كان آخر ما وصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (انما نطعمكم لوجه الله) أي رجاء ثواب الله ورضاه [لا نريد منكم جزاء ولا شكورا] أي لا نطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها ولا أن نشكر وننا عند الناس قال مجاهد وسعيد بن جبیر أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثى عليهم به ليرغب في ذلك راغب [إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قطريرا] أي انما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطير

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (عبوسا) ضيقا [قطريرا] طويلا ، وقل عكرمة وغيره عنه في قوله (يوما عبوسا قطريرا) قال يعبس الكافر يوما حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قطريرا) قال يقبض الوجه بالسور ، وقال سعيد بن جبیر وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قطريرا تقلص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها ، قول ابن عباس رضي الله عنه

قال ابن جرير والقمطير هو الشديد يقال هو يوم قطرير ويوم قاطر ويوم عصيب وعصيب وقد اقطر اليوم يقطر اقطاراً وذلك أشد الايام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم :
بني عمنا هل تذكرن بلاءنا ؟ عليكم اذا ما كان يوم قاطر

بشيء من شعير فقبض الشعير فطحن ثابته فجعلوا منه شيئا ليأكلوه فلما تم انضاجه أتى مسكين فسأل فأخرجوا اليه الطعام ، ثم عمل الثلث الثاني فلما تم انضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي فلما تم انضاجه أتى اسير من المشرکين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك . وهذا قول الحسن وقتادة إن الاسير كان من اهل الشرك ، وفيه دليل على أن اطعام الاسارى وان كانوا من اهل الشرك حسن يرجى ثوابه (انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) والشكور مصدر كالفعود والدخول والخروج قال مجاهد وسعيد بن جبیر انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فأثى عليهم (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا) تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته ونسب العبوس إلى اليوم كما يقال يوم صائم وليل نام وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة (قطريرا) قال قتادة ومجاهد ومقاتل القمطير الذي يقبض الوجوه والجباه بالتعيس وقال الكلبي العبوس الذي لا انبساط

قال الله تعالى (فوقام الله شر ذلك اليوم ولقام نضرة وسروراً) وهذا من باب التحانس البليغ (فوقام الله شر ذلك اليوم) أي آمنهم مما خافوا منه (ولقام نضرة) أي في وجوههم (وسروراً) أي في قلوبهم . قاله الحسن البصري وقناة وابو العالاية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى [وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة] وذلك أن القلب اذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ اذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلفه قر ، وقالت عائشة رضي الله عنها دخل علي رسول الله ﷺ سروراً تبرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزام بما صبروا) أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم (جنة وحريراً) أي منزلاً رحباً وعيشاً رغداً ولباساً حسناً

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال قري . على ابي سليمان الداراني سورة [هل أتى على الانسان ؟] فلما بلغ القاري . إلى قوله تعالى (وجزام بما صبروا جنة وحريراً) قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :
كم قتيل شهوة وأسير أف من مشتهي خلاف الجليل
شهوات الانسان تورثه الدل وتلقيه في البلاء الطويل

متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زَمْهريراً (١٣) ودانية عليهم ظلالها
وذلك قطوفها تذليلاً (١٤) ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً (١٥)
قوارير من فضة قدروها تقديراً (١٦) ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً (١٧) عينا فيها
تسمى سلسبيلاً (١٨) ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً (١٩) وإذا
رأيتهم رأيت نعماً ومُلْكاً كبيراً (٢٠) عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحملوا أساور
من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً (٢١) إلهذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً (٢٢)

فيه والقمطرير الشديد ، قال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء ، يقال يوم قطرير وقاطر اذا كان شديداً كريهاً واقطر اليوم فهو مقطر به (فوقام الله شر ذلك اليوم) الذي يخافون (ولقام نضرة) حسناً في وجوههم (وسروراً) في قلوبهم (وجزام بما صبروا) على طاعة الله واجتناب معصيته ، وقال الضحاك على الفقر وقال عطاء على الجوع (جنة وحريراً) قال الحسن ادخلهم الله الجنة وألبسهم الحرير (متكئين) نصب على الحال (فيها) في الجنة (على الارائك)

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الانسكا. هل هو الاضطجاع أو الترفق أو التربع أو التمكن في الجلوس وان الأرائك هي السرر تحت الحجال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً) أي ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمد لا يغيثون عنها حولاً (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة اليهم أغصانها (وذلت قطوفها تذليلاً) أي متى نعاطاه دنا القطف اليه وتدل من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى [وجنى الجنة دان] وقال جل وعلا [قطوفها دانية] وقال مجاهد (وذلت قطوفها تذليلاً) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذلت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلاً) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وافنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والتمر بين ذلك فمن أكل منها قائماً لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعداً لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه .

وقوله جلت عظمتهم (وبطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالاول منصوب بخبر كان أي كانت قوارير ، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييزاً لأنه بيته بقوله جل وعلا [قوارير من فضة] قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد يباح الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافه يرى مافي باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس في الجنة شيء إلا قد أعطينم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبي حاتم

السرر في الحجال ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعوا (لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً) أي صيفاً ولا شتاء ، قال مقاتل يعني شمساً يؤذيهم حرها ولا زمهرياً يؤذيهم برده لانهما يؤذيان في الدنيا والزمهري البرد الشديد (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة منهم ظلال اشجارها ، ونصب دانية بالعطف على قوله [متكئين] وقيل على موضع قوله [لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً] ويرون دانية وقيل على المدح (وذلت) سخرت وقربت (قطوفها) ثمارها (تذليلاً) يأكلون من ثمارها قياماً وقعوداً ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤوا على أي حال كانوا (وبطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير * قوارير من فضة) قال المفسرون أراد يباح الفضة في صفاء القوارير . فهي من فضة في صفاء الزجاج يرى مافي داخلها من خارجها ، قال الكلبي ان الله جعل قوارير كل قوم من تراب أرضهم وان أرض

وقوله تعالى (قدروها تقديراً) أى على قدر ربه لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ربي صاحبها هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقتادة وابن أبزى وعبد الله بن عبيد الله بن عمير وقتادة والشعبي وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبليغ في الاعتناء والشرف والكرامة ، وقل العوفي عن ابن عباس (قدروها تقديراً) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن انس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافي القول الاول فانها مقدرة في القدر والري

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) أى ويسقون يعني الابرار أيضاً في هذه الاكواب (كأساً) أى خمراً (كان مزاجها زنجبيلاً) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الامر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقرَّبون فانهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد

وقد تقدم قوله [عينا يشرب بها عباد الله] وقال ههنا [عينا فيها تسمى سلسبيلاً] أى الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلاً قال عكرمة اسم عين في الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة سلسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة عين فيها تسمى سلسبيلاً عين سلسة مستقيده ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الخلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال

وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) إذا رأيتهم حسببتهم أولوا مشورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها

الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها (قدروها تقديراً) قدروا الكأس على قدر ربه لا يزيد ولا ينقص أى قدرها لهم السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها ثم يسقون (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) بشوق وبطرب والزنجبيل مما كانت العرب تستطيه جداً فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بالزنجبيل الجنة ، قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا قال ابن عباس كل ما ذكر الله في القرآن مما في الجنة ومما ليس له في الدنيا مثل ، وقيل هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل ، قال قتادة يشربها المقرَّبون صرفاً وبمزج لسائر أهل الجنة (عينا فيها تسمى سلسبيلاً) قال قتادة سلسة منقادة لهم بصرفونها حيث شاؤوا قال مجاهد حديدة الجريفة ، قال ابو العالية ومقاتل بن حيان سميت سلسبيلاً لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان وشراب الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك ، قال الزجاج سميت سلسبيلاً لأنها في غاية السلاسة تتسلسل في الخلق ، ومعنى قوله تسمى أى توصف لأن أكثر العلماء على أن سلسبيلاً صفة لا اسم (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) إذا رأيتهم حسببتهم أولوا مشورا) قال عطاء يريد في بياض الأولو وحسنه الأولو إذا نثر من الخيط على البساط كان أحسن

لا يتغيرون عنها لا تزيد اعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون في آذانهم الا قرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير

وقوله تعالى (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى اذا رأيتهم في انتشارهم في قضا حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحين ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو مامن أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه

وقوله جل وعلا (واذا رأيتهم ثم) أى واذا رأيتهم يا محمد (ثم) أى هناك يعني في الجنة ونعيمها وسعتها وارتفاعها وما فيها من الخبرة والسرور (رأيتهم نعيما وملكا كبيرا) أى مملكة الله هناك عظيمة وسلطانا باهرا . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لا آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا اليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها

وقد قدمنا في الحديث المروي من طريق ثوبان بن أبي فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة التي سنة ينظر الى أقصاه كما ينظر الى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لادنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة واحظى عنده تعالى وقد روى الطبراني ههنا حديثا غريبا جداً فقال حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عتبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة الى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « سل واستفهم » فقال يارسول الله فضلتهم علينا بالصور والالوان والنبوة أفرأيت ان آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به اني لكائن معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه يرى بياض الاسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لانتقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الانسان حين من الدهر — الى قوله — ملكا كبيرا) فقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عينك في الجنة

منه منظوما ، وقال أهل المعاني انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم (واذا رأيته ثم) أى اذا رأيته يبصرك ونظرت به ثم يعني في الجنة (رأيته نعيما) لا بوصف (وملكا كبيرا) وهو أن أدناهم منزلة ينظر إلى ملكه في مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه قال مقاتل والسكبي هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وقيل ملكا لازواله

(سورة الانسان ٧٦ جز ٢٩٠) ثياب أهل الجنة من سندس خضر واستبرق وحليتهم أساور من فضة ٨٩

قال « نعم » فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يذليه في حفرة بيده وقوله جل جلاله (عليهم ثياب سندس خضر واستبرق) أي لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رقيم الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم والاستبرق منه مافيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير)

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والاذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال : اذا انتهى أهل الجنة الى باب الجنة وجدوا هناك عينين فكأما ألموا ذلك فشربوا من أحدهما فأذهب الله مافي بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فاخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن

وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاءً . وكان سعيكم مشكورا) أي يقال لهم ذلك تكريما لهم واحسانا اليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلکم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أي جزاءكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ عليهم ثياب سندس ﴾ قرأ أهل المدينة حمزة وعليهم ساكنة الياء مكسورة الهاء فيكون في موضع رفع بالابتداء وخبره ثياب سندس، وقرأ الآخرون بنصب الياء وضم الهاء على الصفة أي فوقهم وهو نصب على الظرف ثياب سندس ﴿ خضر واستبرق ﴾ قرأ نافع وحفص خضر واستبرق مرفوعان عطفا على الثياب وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين، وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر جر واستبرق رفع وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام على ضده فالرفع على نعمت الثياب والجر على نعمت السندس ﴿ وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ قيل طاهرا من الافذار والافذاء لم تدنسه الايدي والارجل كخمر الدنيا، وقال أبو قلابة وإبراهيم انه لا يصير بولا نجسا ولكنه يصير رشحا في أبدانهم كريح المسك وذلك انهم يؤنون بالطعام فيأكلون فاذا كان آخر ذلك أنوا بالشراب الطهور فيشربون فتطهر بطونهم ويصير ما أكلوا رشحا يخرج من جلودهم أطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة من شرب منها نزع الله ما في قلبه من غل وغش ونجس وحسد ﴿ ان هذا كان لكم جزاء . وكان سعيكم مشكورا ﴾ أي ما رصف من نعم الجنة كان لكم جزاء بامعالكم وكان سعيكم عملكم في الدنيا بطاعة الله مشكورا ، قال عطاء شكرتم عليه وأثبتكم أفضل الثواب

إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا (٢٣) فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما
أو كفورا (٢٤) واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا (٢٥) ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا
طويلا (٢٦) إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢٧) نحن خلقناهم وشددنا
أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثلهم تبديلا (٢٨) ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا (٢٩)
وما تشاءون الا أن يشاء الله ان الله كان عليا حكيما (٣٠) يدخل من يشاء في رحمته
والظالمين أعد لهم عذابا أليما (٣١)

يقول تعالى ممثنا على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا [فاصبر لحكم ربك]
أي كما أكرمك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيد برك بحسن تدبيره [ولا تطع
منهم آثما أو كفورا] أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل اليك بل بلغ ما أنزل
اليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس ، فلا تم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو
الكافر قلبه [واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا] أي أول النهار وآخره [ومن الليل فاسجد له وسبحه
ليلا طويلا] كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وكقوله
تعالى (يا أيها المزمحل قم الليل الا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)
ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والقبال عليها والانصباب اليها وترك الدار
الآخرة ورا. ظهورهم [ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا] يعني يوم القيامة

قوله عز وجل ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم
ينزل جملة واحدة ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم ﴾ يعني من مشركي مكة ﴿ آثما أو كفورا ﴾
يعني وكفورا والالف صلة . قال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة
على النبي ﷺ نهاه ابو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه ، وقال مقاتل أراد بالآثم
عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة ، قال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأن عنقه ، وقال مقاتل أراد بالآثم
والمال فارجع عن هذا الامر ، قال عتبة فأننا نزوجك ابنتي وأسوقها اليك بغير مهر ر قال الوليد أنا
أعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فأنزل الله هذه الآية

قوله عز وجل ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ ومن الليل فاسجد له ﴾ يعني صلاة المغرب
والعشاء. ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ يعني التطوع بعد المكتوبة ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يحبون
العاجلة ﴾ أي الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ يعني أممهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ شديدا وهو

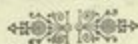
ثم قال تعالى [نحن خلقناهم وشددنا أسرهم] قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني خلقهم [وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا] أي وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا ، وهذا استدلال بالبداة على الرجعة

وقال ابن زيد وابن جرير [وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا] أي وإذا شئنا أنينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى [إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا] وكقوله تعالى [إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز]

ثم قال تعالى (ان هذه تذكرة) يعني هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أي طريقا ومسلكا أي من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر ؟) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاؤون الا أن يشاء الله) أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في إيمان ولا يخرج لنفسه نفعا (إلا أن يشاء الله ان الله كان عليا حكيم) أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقبض له أسبابها ومن يستحق العواية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى (ان الله كان عليا حكيم) ثم قال (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له

﴿ آخر تفسير سورة الانسان والله الحمد والمنة ﴾

يوم القيامة أي يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿ نحن خلقناهم وشددنا قلوبنا وأحكمنا ﴾ أسرهم قال مجاهد وقتادة ومقاتل أسرهم أي خلقهم يقال رجل حسن الامر أي الخلق وقال الحسن يعني اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والعصب ، وروى عن مجاهد في تفسير الامر قال الفرغ يعني موضع مصرفي البول والغائط اذا خرج الاذى انقبضا ﴿ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ﴾ أي اذا شئنا أهلكناهم وأنينا بأشباهم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ ان هذه ﴾ يعني هذه السورة ﴿ تذكرة ﴾ تذكرة وعظة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ وسيلة للطاعة ﴿ وما تشاؤون ﴾ قرأ ابن كثير وابن عاصم وابو عمرو يشاؤون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ﴿ الا أن يشاء الله ﴾ أي لستم تشاؤون الا بمشيئة الله عز وجل لان الامر اليه ﴿ ان الله كان عليا حكيم ﴾ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أي المشركين ﴿ أعد لهم عذابا أليما ﴾



تفسير سورة المرسلات وهي مكية

قال البخاري ثنا أحمد بن عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فانه ليتلوها واني لا تلقاها من فيه وان فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ « اقتلوها » فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ « وقبت شركم كما وقبت شرها » وأخرجه مسلم أيضاً من طريق الأعمش

وقال الامام أحمد ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه انها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس ان أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفاً) فقالت يا بني أذكرني بقراءتك هذه السورة انها لا آخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجه في الصحيحين من طريق مالك به

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

والمرسلات عرفاً (١) فالهصفت عصفاً (٢) والذشرت نشرأ (٣) فالفرقت فرقا (٤) فالملقيت ذكراً (٥) عذرا أو نذرا (٦) إيمانوعدون لواقع (٧) فاذا النجوم طُمست (٨) وإذا السماء فرجت (٩) وإذا الجبال نسفت (١٠) وإذا الرسل أقتت (١١) لأيّ يوم أجأت (١٢) ليوم الفصل (١٣) وما أدراك ما يوم الفصل (١٤) ويل يومئذ للمكذبين (١٥)

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل المروزي ثنا علي بن الحسن بن شقيب أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة (والمرسلات عرفاً) قال الملائكة ، قال وروى عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدي والربيع بن انس مثل ذلك ، وروى عن أبي صالح انه قال هي الرسل وفي رواية عنه انها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات انها الملائكة

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والمرسلات عرفاً ﴾ يعني الرياح أرسلت متتابعة كهرق الفرس وقبل عرفاً أي كثيراً تقول

وقال النوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفاً قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفاً والناشرات نشرأ) وأنها الريح ، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (المرسلات عرفاً) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كهرف الفرس يتبع بعضهم بعضاً أو هي الرياح إذا هبت شيئاً فتشيتاً وقطع بأن العاصفات عصفاً الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، وعن قال ذلك في العاصفات عصفاً أيضاً علي بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرأ هل هي الملائكة أو الريح كأنقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشرأ هي المطر

والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى [وأرسلنا الرياح لواقح] وقال تعالى [وهو الذي يرسل الرياح نشرأ بين يدي رحمته] وهكذا العاصفات هي الرياح كما يقال عصفت الرياح إذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل وقوله تعالى (فالفرقات فرقا فالملقيات ذكرأ * عذراً أو نذراً) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فأنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام ، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه ائذار إلى الخلق وانذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره

وقوله تعالى (إنما توعدون لواقع) هذا هو المقسم عليه بهذه الاقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والفتخ في الصور وبعث الاجساد ، وجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد ومنجاة كل عامل بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة

العرب الناس إلى فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثرهوا هذا معنى قول مجاهد وقتادة قال مقاتل يعني الملائكة أتى أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه وهي رواية مسروق عن ابن مسعود (فالعاصفات عصفاً) يعني الرياح الشديدة الهبوب (والناشرات نشرأ) يعني الرياح اللينة ، وقال الحسن هي الرياح التي يرسلها الله بشرا بين يدي رحمته وقيل هي الرياح التي تنشر السحاب وتأتي بالمطر وقال مقاتل هم الملائكة ينشرون الكتب (فالفرقات فرقا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني الملائكة تأتي بما يفرق بين الحق والباطل

وقال قتادة والحسن هي أي القرآن تفرق بين الحلال والحرام ، وروي عن مجاهد قال هي الرياح تفرق السحاب وتبدده (فالملقيات ذكرأ) يعني الملائكة تلقي الذكر الى الانبياء . نظيرها (بلقي الروح من أمره) (عذراً أو نذراً) أي الاعذار والانذار قرأ الحسن عذراً بضم الذال ، واختلف فيه عن أبي بكر عن عاصم ، وقرأة العامة بسكونها وقرأ اوعمر وحمة والكسائي وحفص نذراً ساكنة الذال وقرأ الباقر بضمها ومن سكن قال لانهما في موضع مصدرين بمعنى الانذار والاعذار وليسوا بجمع فينقلان ، إلى ههنا أقسام ذكرها على قوله (إنما توعدون) من أمر الساعة والبعث (لواقع)

ثم قال تعالى (فاذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى [واذا النجوم انكدرت] وكقوله تعالى [واذا الكواكب انثرت * واذا السماء فرجت] أي انفطرت وانشتت وتبدلت أرجاؤها واهوت أطرافها (واذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا] الآية، وقال تعالى [ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشراً] فمناهم أحد [وقوله تعالى (واذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت ، وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى [يوم يجمع الله الرسل] وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى [وأشرققت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون]

ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجي أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى [فلا تحسبن الله يخاف وعده] إن الله عزيز ذو انتقام * يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار [وهو يوم الفصل كما قال تعالى [ليوم الفصل]

ثم قال تعالى معظماً لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله غداً وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

ألم نهلك الأولين (١٦) ثم أتبعهم الآخرين؟ (١٧) كذلك نفعل بالمجرمين (١٨) ويل يومئذ

للمكذبين (١٩) ألم نخلقكم من ماء مهين؟ (٢٠) فجعلناه في قرار مكين (٢١) إلى قدر معلوم (٢٢)

فقد رنا فنعم القدرون (٢٣) ويل يومئذ للمكذبين (٢٤) ألم نجعل الأرض كفاتاً (٢٥) أحياء

وأمواتاً (٢٦) وجعلنا فيها رواسي شمخت وأسقينكم ماء فراثاً (٢٧) ويل يومئذ للمكذبين (٢٨)

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسول المخالفين لما جاؤهم به (ثم أتبعهم

لكائن ثم ذكر متى يقع فقال ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ محي نورها ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ شقت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ قلعت من أركانها ﴿ واذا الرسل أقتت ﴾ قرأ أهل البصرة وقتت بالواو وقرأ أبو جعفر بالواو وتخفيف القاف ، وقرأ الآخرون بالالف وتشديد القاف وهما لغتان والعرب تعاقب بين الواو والهمزة كقولهم وكدت وأرخت وورخت وأرخت ومعناها جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الأمم ﴿ لأي يوم أجلت ﴾ أي أخرت وضرب الاجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم ثم بين فقال ﴿ ليوم الفصل ﴾ قال ابن عباس يوم فصل الرحمن بين الخلائق ﴿ وما أدراك ما يوم الفصل ؟ ويل يومئذ للمكذبين * ألم نهلك الأولين ﴾ يعني الأمم الماضية

الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير، ثم قال تعالى ممننا على خلقه ومحتجا على الاعادة بالبداة (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة الباري عز وجل كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جعاش «ابن آدم أتى تعجزي وقد خلقتك من مثل هذه» (فجعلناه في قرار مكين) يعني جعلناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء.

وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعني إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقدرونا نعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين)

ثم قال تعالى (ألم نجعل الأرض كفافا * أحياء * وأمواتا) قال ابن عباس كفافا كنا، وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شيء، وقال الشعبي بطنها لأموالكم وظهرها لأحيائكم، وكذا قال مجاهد وقنادة (وجعلنا فيها روافي شامخات) يعني الجبال رمى بها الأرض اثلاثا تبتد ونضطرب (وأسقينكم ماء فرانا) أي عذابا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره.

انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني

من الهم (٣١) إنها رمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جعلت مصفر (٣٣) ويل يومئذ للمكذبين (٣٤)

هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم

الفصل جمعكم والاولين (٣٨) فان كان لكم كيد فكيذوب (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين (٤٠)

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة

بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلاهم (ثم تتبعهم الآخرون) السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب يعني كفار مكة بتكذيبهم محمدا ﷺ (كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نخلقكم من ماء مهين) يعني النطفة (فجعلناه في قرار مكين) يعني الرحم (إلى قدر معلوم) وهو وقت الولادة (فقدرونا) قرأ أهل المدينة والكسائي فقدرونا بالتشديد من التقدير، وقرأ الآخرون بالتخفيف من القدرة لقوله (فنعلم القادرون) وقيل معناها واحد. وقوله (فنعلم القادرون) أي المقدرين (ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفافا) وعاء ومعنى السكفت الضم والجمع يقال كفت الشيء إذا ضمه وجمعه، وقال الفراء يريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها أي تحوزهم وهو قوله (أحياء وأمواتا وجعلنا فيها روافي) جبالا (شامخات) عاليا (وأسقينكم ماء فرانا) عذابا (ويل يومئذ للمكذبين) قال مقاتل وهذا كله أعجب من البعث الذي تكذبون به ثم أخبر أنه يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا

(انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) يعني لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يعني من اللهب) أي ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يعني من اللهب يعني ولا يقبهم حر اللهب وقوله تعالى (إنها ترمي بشرر كالقصر) أي بتطايير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعني أصول الشجر (كأنه جملة صفر) أي كالابل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جملة صفر) يعني حبال السفن ، وعنه أئني ابن عباس جملة صفر قطع نحاس وقال البخاري ثنا عمرو بن علي ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عايش قال سمعت ابن عباس رضي الله عنها (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال كنا نعمد إلى الخشب ثلاثة أذرع وفوق ذلك فبرفعه لبناء فسميه القصر (كأنه جملة صفر) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال [ويل يومئذ للمكذبين] ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أي لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون)

إلى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) يعني دخان جهنم إذا ارتفع انشعب واقترق ثلاث فرق ، وقيل يخرج عنق من النار فينشعب ثلاث شعب نور ودخان ولهب فاما النور فيقف على رؤوس المؤمنين ، والدخان يقف على رؤوس المنافقين واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين ثم وصف ذلك الظل فقال (لا ظليل) يظل من الحر (ولا يعني من اللهب) قال الكلبي لا برد لهب جهنم عنكم ، والمعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب (إنها) يعني جهنم (ترمي بشرر) وهو ما تطاير من النار واحدها شررة (كالقصر) وهو البناء العظيم قال ابن مسعود يعني الحصون وقال عبد الرحمن بن عايش سألت ابن عباس عن قوله (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال هي الخشب العظيم المقطعة وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه نذخرها للشتاء^(١)

(١) في ابن كثير للبناء

فكنا نسميها القصر ، وقال سعيد بن جبير والضحاك هي أصول النخل والشجر العظيم واحدها قصرة مثل نمرة وتمر وجمرة وجمر ، وقرأ علي وابن عباس كالقصر بفتح الصاد أي أعناق النخل والقصرة العنق وجمعها قصر وقصرات (كأنه) رذ الكناية إلى اللفظ (جملة) قوا حمزة والكسائي وحفص جملة على جمع الجمل مثل حجر وحجارة وقرأ يعقوب بضم الجيم بلا ألف أراد الأشياء العظيم المجموعة وقرأ الآخرون جمالات بالالف وكسر الجيم على جمع الجمال . وقال ابن عباس رضي الله عنها وسعيد بن جبير هي حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى يكون كأوساط الرجال (صفر) جمع الاصفر يعني لون النار وقيل الصفر معناها السود لانه جاء في الحديث إن شرر نار جهنم أسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفراً لانه يشوب سوادها شيء من صفرة كما يقال لبيض الظباء آدم لان بياضها يعلوه كدرة (ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون) أي في القيامة لان فيها مواقف في بعضها يختصمون

أي لا يقدرّون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، وعرضات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأحوال والزلازل يومئذ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام [ويل يومئذ للمكذبين] وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين * فان كان لكم كيد فكيّدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين) يعني انه جمعهم بقدرته في صعيد واحد بسمعهم الداعي وينفذهم البصر

وقوله تعالى (فان كان لكم كيد فكيّدون) تهديد شديد ووعيد أكيد ، أي إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكي فافعلوا فانكم لا تقدرّون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفي الحديث « يا عبادي انكم لن تبلفوا نفعي فتنفعوني ، ولن تبلفوا ضري فتضروني »

وقد قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن المنذر الطريفي الاودي ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان بن أبي المحارق عن أبي عبد الله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الاحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين * فان كان لكم كيد فكيّدون) اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مرید ، فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ انها تخرج عنق من النار فتنتطق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادى : أيها الناس إني بعثت الى ثلاثة أنا أعرف بهم من الاب بولده ومن الاخ بأخيه لا يغيبهم عني وزر ولا تخفيهم عني خافية : الذي جعل مع الله إلها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مرید ، فتنتطوي عليهم فتغذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة

إن المتقين في ظلل وعيون (٤١) وفواكه مما يشتهون (٤٢) كلوا واشربوا هنيئا بما

كنتم تعملون (٤٣) إنا كذلك نجزي المحسنين (٤٤) ويل يومئذ للمكذبين (٤٥) كلوا وتمتعوا

ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم فلا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) رفع عطف على قوله (يؤذن) قال الجنيد أي لا عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه (ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة والنار (جمعناكم والاولين) يعني مكذبي هذه الامة والاولين الذين كذبوا أنبياءهم (فان كان لكم كيد فكيّدون) قال مقاتل ان كانت لكم حيلة فاحتاوا لانفسكم (ويل يومئذ للمكذبين * ان المتقين في ظلال) جمع ظل أي في ظلال الشجر (وعيون) الماء (وفواكه

قليلًا انكم مجرمون (٤٦) ويل يومئذ للمكذبين (٤٧) وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون (٤٨)

ويل يومئذ للمكذبين (٤٩) فبأي حديث بعده يؤمنون (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الاشقياء فيه من ظل اليعحوم وهو الدخان الاسود المنتن ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أي ومن سائر أنواع الثمار مما طلبوا وجدوا ركاوا واشربوا هنيثا بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك على سبيل الاحسان اليهم ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون) خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى [كلوا وتمتعوا قليلاً] أي مدة قليلة قريبة قصيرة [انكم مجرمون] أي ثم تساقون الى نار جهنم التي تقدم ذكرها [ويل يومئذ للمكذبين] كما قال تعالى [تمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ] وقال تعالى [ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون] متاع في الدنيا ثم مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

وقوله تعالى [وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون] أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى [ويل يومئذ للمكذبين] ثم قال تعالى [فبأي حديث بعده يؤمنون] أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به كقوله تعالى [فبأي حديث بعده يؤمنون]

قال ابن أبي حاتم ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن اسماعيل بن أمية سمعت رجلاً اعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يرويه اذا قرأ [والمرسلات عرفاً - فقرأ - فبأي حديث بعده يؤمنون] فليقل آمنت بالله وبما أنزل وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة

﴿ آخر تفسير سورة والمرسلات والله الحمد والمنة ﴾

مما يشتهون) ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيثا بما كنتم تعملون) في الدنيا بطاعتي (إنا كذلك نجزي المحسنين) ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال لكفار مكة (كلوا وتمتعوا قليلاً) في الدنيا (انكم مجرمون) مشركون بالله عز وجل مستحقون للعذاب (ويل يومئذ للمكذبين) وإذا قيل لهم اركعوا (يعني صلوا) (لا يركعون) لا يصلون ، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنها إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) فبأي حديث بعده (أي بعد القرآن) (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به

تفسير سورة النبأ وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عم يتساءلون؟ (١) عن النبأ العظيم (٢) الذي هم فيه مختلفون (٣) كلا سيعلمون (٤) ثم
 كلا سيعلمون (٥) ألم نجعل الأرض مهاداً (٦) والجبال أوتاداً؟ (٧) وخلقناكم أزواجاً (٨) وجعلنا
 نومكم سباتاً (٩) وجعلنا الليل لباساً (١٠) وجعلنا النهار معاشاً (١١) وبنينا فوقكم سبعا
 شداداً (١٢) وجعلنا سراجاً وهاجاً (١٣) وأنزلنا من المصيرات ماءً ثجاجاً (١٤) لنخرج به حبا
 ونباتاً (١٥) وجنت ألفافاً (١٦)

يقول تعالى منكرآ على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة انكارآ لوقوعها ، عم يتساءلون عن
 النبأ العظيم (أي عن أي شيء يتساءلون من أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المفزع
 الباهر قال قتادة وابن زيد النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن ، والظاهر الاول
 لقوله (الذي هم فيه مختلفون) يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر
 ثم قال تعالى متوعداً لمنكري القيامة (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد
 أكيد ، ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على

﴿سورة النبأ مكية وهي أربعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عم﴾ أصله عن ما فادغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقولهم فيم وبم ﴿يتساءلون؟﴾
 أي عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون؟ وذلك أن النبي ﷺ لما دعاهم إلى التوحيد وأخبرهم
 بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ﷺ قال الزجاج
 اللفظ لفظ استفهام ومعناه التفخيم كما تقول أي شيء زيد إذا عظمت أمره وشأنه ثم ذكر ان تساءلهم
 عما إذا فقال ﴿عن النبأ العظيم﴾ قال مجاهد والاكثرون هو القرآن دليله قوله [قل هو نبأ عظيم]
 وقال قتادة هو البعث ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ فصدق ومكذب ﴿كلا سيعلمون﴾ كلا نفى يقول
 هم سيعلمون عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ وعيد لهم على أثر وعيد ، قال
 الضحاك كلا سيعلمون يعني الكافرين ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين ثم ذكر صنائعه ليعلموا توحيد فقل
 (تفسير ابن كثير والبغوي) (١٢) « الجزء التاسع »

٩٠ تعداد الاشياء الغريبة والامور العجيبة الدالة على قدرة الله على البعث (تفسير ابن كثير والبغوي)

قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال (ألم نجعل الارض مهاداً) أي مهيأة للمخلوق ذلولاً لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أي جعلها لها أوتاداً أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعني ذكراً وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أي قطعاً للحركة لنحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أي يغطي الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل اذا يغشاها) وقال الشاعر

فلما لبس الليل أو حين نصبت له من خذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أي سكتنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أي جعلناه مشرقاً نيراً مضيئاً ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والحجى للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك

وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) يعني السموات السبع في اتساعها وارتفاعها واحكامها واتقانها وزينتها بالسكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجاً وهاجاً) يعني الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوءها لاهل الارض كلهم . وقوله تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماءً نجاجاً) قال العوفي عن ابن عباس المعصرات الرياح

﴿ ألم نجعل الارض مهاداً ﴾ فراشا ﴿ والجبال أوتادا ﴾ للارض حتى لا تميد ﴿ وخلقناكم أزواجا ﴾ أصنافاً ذكورا وإناثاً ﴿ وجعلنا نومكم سباتاً ﴾ أي راحة لا بدانكم ، قال الزجاج السبات ان يقطع عن الحركة والروح فيه ، وقيل معناه جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم لان اصل السبت القطع ﴿ وجعلنا الليل لباساً ﴾ غطاءً وغشاءً يستر كل شيء بظلمته ﴿ وجعلنا النهار معاشاً ﴾ المعاش العيش وكل ما يعيش فيه فهو معاش أي جعلنا النهار سبباً للمعاش والتصرف في المصالح . قال ابن عباس يريد تبتغون فيه من فضل الله وما قسم لكم من رزقه ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾ يريد سبع سموات ﴿ وجعلنا سراجاً ﴾ يعني الشمس ﴿ وهاجاً ﴾ مضيئاً منيراً ، قال الزجاج الوهاج الوقاد وقال مقاتل جعل فيه نورا وحرارة والوهج يجمع النور والحرارة ﴿ وأنزلنا من المعصرات ﴾ قال مجاهد و قتادة ومقاتل والكبي يعني الرياح التي تعصر السحاب وهي رواية العوفي عن ابن عباس ، قال الازهري هي الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا التأويل تكون من معنى الباء أي بالمعصرات وذلك ان الريح تستدر المطر ، وقال أبو العالية والريبع والضحاك المعصرات هي السحاب وهي رواية الوابي عن ابن عباس ، وقال الفراء المعصر السحابة التي تتحلب بالمطر ولا تخطر كالمراة المعصر هي التي دنا حيضها ولم تحض ، وقال ابن كيسان هي الغيثيات من قوله [فيه يغاث الناس وفيه يعصرون] وقال الحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (أنزلنا من المعصرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن أنها الرياح ، ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من المعصرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد كما يقال امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعني السموات وهذا قول غريب

والأظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى [الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله] أي بينه وقوله جل وعلا [ماء ثجاجا] قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس ثجاجا منصبا وقال الثوري متابعا وقال ابن زيد كثيرا ، قال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي ﷺ « أفضل الحج العج والثج » يعني صب دماء البدن هكذا قال قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله ﷺ « أنت لك الكرسف » يعني أن تحتشي بالقطن فقالت يا رسول الله هو أكثر من ذلك إنما أنج ثجا ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم

وقوله تعالى [لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا] أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك [حبا] بدخر للانعام والانباء [ونباتا] أي خضرا بؤكل رطبا [وجنات] أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وأنواع مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى [وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون]

ان يوم الفصل كان ميقنا (١٧) يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا (١٨) وفتحت

السماء فكانت أبوابا (١٩) وسيرت الجبال فكانت سرابا (٢٠) ان جهنم كانت ممرصادا (٢١)

ومقاتل بن حيان من المعصرات أي من السموات (ماء ثجاجا) أي صبابا ، وقال مجاهد مدرارا ، وقال قتادة متابعا يتلو بعضه بعضا ، وقال ابن زيد كثيرا (لنخرج به) أي بذلك الماء (حبا) وهو ما يأكله الناس (ونباتا) ما تنبت الأرض مما تأكله الانعام (وجنات ألفافا) ملتفة بالشجر واحدها ألف ولفيف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة ألفا ، وجمعها ألف بضم اللام وجمع الجمع ألفاف (ان يوم الفصل)

للطاغين ما بآ (٢٢) لبئين فيها أحقبا (٢٣) لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا (٢٤) الا حميا
وغساقا (٢٥) جزاء وفاقا (٢٦) انهم كانوا لا يرجون حسابا (٢٧) وكذبوا بآيتنا كذابا (٢٨)
وكل شيء أحصيناه كتبنا (٢٩) فذوقوا فان زديدكم الا عذابا (٣٠)

يخبر تعالى عن يوم الفصل وهو يوم القيامة انه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه
ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى [وما يؤخره إلا لأجل معدود] [يوم ينفخ
في الصور فتأتون أفواجا] قال مجاهد زمراً زمراً قال ابن جرير يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله
تعالى [يوم ندعوا كل أناس بأمامهم]

وقال البخاري (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) حدثنا محمد حدثنا ابو معاوية عن الاعمش
عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفخين اربعون » قالوا اربعون
يوماً ؟ قال « آيت » قالوا اربعون شهراً ؟ قال « آيت » قالوا اربعون سنة ؟ قال « آيت » قال « ثم ينزل الله من
السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب
ومنهركب الخلق يوم القيامة » (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أي طرقا ومسالك لتزول الملائكة
(وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال نخسها جامدة وهي تمرّ مر السحاب)
وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أي يخيل إلى الناظر
أنها شيء وليس شيء وبعد هذا تذهب بالسكية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن
الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا)
وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصدا)

يوم القضاء بين الخلق « كان ميقانا » لما وعد الله من الثواب والعقاب « يوم ينفخ في الصور فتأتون
افواجا » زمراً زمراً من كل مكان للحساب « وفتحت السماء » قرأ أهل الكوفة فتحت بالتخفيف
وقرأ الآخرون بالتشديد أي شقت لتزول الملائكة « فكانت أبوابا » أي ذات أبواب وقيل تنحل
وتتناثر حتى تصبح فيها أبواب وطرق « وسيرت الجبال » عن وجه الارض « فكانت سرابا » أي
هبا منبثا يتهاى لعين الناظر كالسراب « إن جهنم كانت مرصدا » طريقا وممرأ فلا سبيل لأحد إلى
الجنة حتى يقطع النار وقيل كانت مرصدا أي معدة لهم يقال أرصدت الشيء إذا أعددت له وقيل هو
من رصدت الشيء أرصده إذا ترقبته والمرصاد المكان الذي يرصد الراص فيه العدو

وقوله [إن جهنم كانت مرصدا] أي ترصد للكفار . وروى مقسم عن ابن عباس أن على جسر
جهنم سبع محابس يسئل العبد عنده أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها تامة جاز إلى الثاني

أي مرصدة معدة (لطاغين) وهم المردة العصاة المخالفون للرسول (مآباً) أي مرجعاً ومنقلباً ومصيراً ونزلاً وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصداً) يعني أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فإن كان معه جواز نجا والا احتبس ، وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لا تبين فيها أحقاباً) أي ما كثر فيها أحقاباً وهي جمع حقب وهو المدة من الزمان وقد اختلفوا في مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال: قال علي بن أبي طالب لطلال الهجري ما تجدون الحقب في كتاب الله المنزل؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً كل يوم ألف سنة، وهكذا روي عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والريبع بن أنس والضحاك، وعن الحسن والسدي أيضاً سبعون سنة كذلك، وعن عبد الله بن عمرو الحقب أربعون سنة كل يوم منها ألف سنة مما تعدون رواها ابن أبي حاتم وقال بشير بن كعب ذكر لي أن الحقب الواحد ثلاثمائة سنة كل سنة اثني عشر شهراً كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم منها ألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الأسفدي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (لا تبين فيها أحقاباً) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوماً والسنة اثنا عشر شهراً والسنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف سنة وهذا حديث منكر جداً والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما منروك

وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد؟ فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال «والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً قال والحقب بضم وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصري مشهور، وقال السدي (لا تبين فيها أحقاباً) سبعائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم ألف سنة مما تعدون، وقد قال مقاتل بن

فيستل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الثالث، فيستل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيستل عن الصوم فإن جاء به تامة جاز إلى الخامس، فيستل عن الحج فإن جاء به تامة جاز إلى السادس فيستل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز إلى السابع فيستل عن المظالم فإن خرج منها وإلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة (لطاغين) للكافرين (مآباً) مرجعاً يرجعون إليه (لا تبين) قرأ حمزة ويعقوب لبين بغير الف وقرأ العامة لا تبين بالالف وهما لغتان (فيها أحقاباً) جمع حقب والحقب الواحد ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهراً كل شهر ثلاثون يوماً

حيان ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن تزيدكم الا عذابا) وقال خالد بن معدان هذه الآية وقوله تعالى (الا ماشاء ربك) في أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لاثنين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى [لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا] ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح انها لا انقضاء لها كما قال قتادة والريبع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يستل عن قوله تعالى [لاثنين فيها أحقابا] قال أما الاحقاب فليس لها عدة الا الخلود في النار ولكن ذكروا ان الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون

وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى [لاثنين فيها أحقابا] وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الريبع بن أنس (لاثنين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الاحقاب الا الله عز وجل ولكن الحقب الواحد ثمانون سنة ، وذكر لنا ان الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواها أيضا ابن جرير

وقوله تعالى (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) أي لا يجدون في جهنم برداً لقلوبهم ولا شراباً طيباً يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حمياً وغساقاً) قال ابو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الفساق وكذا قال الريبع بن أنس ، فاما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والفساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه ، وقد قدمنا الكلام على الفساق في سورة ص بما أغنى عن اعادة أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه ، قال ابن جرير وقيل المراد بقوله لا يذوقون فيها بردا يعني النوم كما قال السكندر بن بردت ، راسفها علي فصدني عنها وعن قبلاتها البرد

كل يوم الف سنة روي ذلك عن علي بن أبي طالب ، وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً كل يوم الف سنة ، قال الحسن ان الله لم يجعل لأهل النار مدة بل قال لاثنين فيها أحقاباً فوالله ما هو إلا انه اذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود

وروي السدي عن مرة عن عبد الله قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي الدنيا لحزنوا ، وقال مقاتل بن حيان الحقب الواحد سبع عشر الف سنة قال وهذه الآية منسوخة نسختها (فلن تزيدكم الا عذابا) يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل (لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) روي عن ابن عباس ان البرد النوم ومثله ما قال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب منع البرد البرد أي أذهب البرد النوم ، وقال الحسن وعطاء لا يذوقون فيها برداً أي روحاً وراحة ، قال مقاتل لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حر ولا

يعني بالبرد النعاس والنوم ، هكذا ذكره ولم يعزه الى أحد ، وقد رواه ابن أبي حاتم من طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا ، وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا ، وقوله تعالى (جزاء وفاقا) أي هذا الذي صاروا اليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا ، قاله مجاهد وقتادة وغير واحد

ثم قال تعالى [انهم كانوا لا يرجون حسابا] أي لم يكونوا يعتقدون أن ثم داراً يجازون فيها ويحاسبون [وكذبوا بآياتنا كذابا] أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليه وسلم فيقالونها بالتكذيب والمعاندة وقوله [كذابا] أي تكذيبا ، وهو مصدر من غبر الفعل ، قالوا وقد سمع اعرابي يستفتي الفراء على المروة : الخلق أحب اليك أم القصار ؟ وأنشد بعضهم

لقد طال ما تبطنني عن صحابي وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه كتابا) أي وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك إن خيرا أو خيرا وإن شرا فشر

وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أي يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية [فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا] قال فهم في مزيد من العذاب أبداً وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ يقول [فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا] قال « هلك القوم بمعاصيهم الله عز وجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكعبة

إن للمتقين مغازا (٣١) حدائق وأعنبا (٣٢) وكواعب أربابا (٣٣) وكأسا دهاقا (٣٤)

شرابا ينفعهم من عطش [إلا حميا وغساقا] قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم بعرده وقيل صديد أهل النار وقد ذكرناه في سورة [ص] [جزاء وفاقا] أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم ، وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار [إنهم كانوا لا يرجون حسابا] لا يخافون أن يحاسبوا ، والمعنى أنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم يحاسبون [وكذبوا بآياتنا] أي بما جاء به الانبياء [كذابا] يعني تكذيبا ، قال الفراء هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال قال لي اعرابي منهم على المروة يستفتيني الخلق أحب اليك أم القصار ؟ [وكل شيء أحصيناه كتابا] أي وكل شيء من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ كقوله [وكل شيء أحصيناه في إمام مبين] [فذوقوا] أي يقال لهم فذوقوا [فلن نزيدكم إلا عذابا]

قوله عز وجل [إن للمتقين مغازا] فوزا ونجاة من النار ، وقال الضحاك متنزها [حدائق

لا يسمعون فيها لغوا ولا كذا (٣٥) جزاء من ربك عطاء حسابا (٣٦)

يقول تعالى مخبراً عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مغازاً قال ابن عباس والضحاك منزهاً . وقال مجاهد وقتادة : فازوا فنجوا من النار . والظاهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حداثق) الحداثق البسائين من النخل وغيرها (وأعناها وكواعب أترابا) أي وحورا كواعب قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أي نواهد ، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لانهن أبكار عرب أتراب أي في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة

قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستقي حدثني أبي عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي عن أبي امامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : « إن قص أهل الجنة لتبذرو من رضوان الله وإن السحابة تمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى أنها تطرح الكواعب الأتراب » وقوله تعالى [وكأسا دهاقا] قال ابن عباس مملوءة متتابعة ، وقال عكرمة صافية ، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد [دهاقا] الملاء المترعة ، وقال مجاهد وسعيد بن جبيرة المتتابعة

وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذا) كقوله (لا لغوا فيها ولا تأثيم) أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا أثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي هذا الذي ذكرناه جازا من الله به وأعطاهم به بفضله ومنه وإحسانه ورحمته عطاء حسابا أي كافيا وافيا متأهلا كثيرا ، تقول العرب أعطاني فأحسبني أي كفايني ، ومنه حسبي الله أي كافي

رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا (٣٧) يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا (٣٨) ذلك اليوم الحق

وأعناها يريد أشجار الجنة ونمارها (وكواعب) جوارى نواهد قد تسكبت ثديهن واحدها كاعب (أترابا) مستويات في السن (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد مترعة مملوءة وقال سعيد بن جبيرة ومجاهد متتابعة قال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها لغوا) باطلا من الكلام (ولا كذا) تكذيبا لا يكذب بعضهم بعضا . وقرأ الكسائي كذا بالتحفيف مصدر المكاذبة وقيل هو الكذب وقيل هو بمعنى التكذيب كالتشدد (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي جازا من جزاء وأعطاهم عطاء حسابا أي كافيا وافيا يقال أحسبت فلانا أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي ، وقال ابن قتبية عطاء حسابا أي كثيرا وقيل هو جزاء بقدر أعمالهم (رب السموات الارض وما

فمن شاء اتخذ الى ربه ما بآ (٣٩) انا أنذرنكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا (٤٠)

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وان رب السموات والارض وما فيها وما بينهما وانه الرحمن الذي شملت
رحمته كل شيء، وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بأذنه كقوله تعالى
(من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفسه إلا بأذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو على أقوال (أحدها)
مارواه العوفي عن ابن عباس انهم أرواح بني آدم (الثاني) هم بنو آدم قاله الحسن وقنادة ، وقال قتادة هذا
مما كان ابن عباس يكتمه [الثالث] انهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا
ببشر وهم يأكلون وبشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والاعمش [الرابع] هو جبريل قاله
الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل [نزل به الروح الامين * على
قلبك لتكون من المنذرين] وقال مقاتل بن حيان الروح هو أشرف الملائكة وأقرب الى الرب عز
وجل وصاحب الوحي [الخامس] انه القرآن قاله ابن زيد كقوله [وكذلك أوحينا إليك روحا من

بينهما الرحمن] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب رفع على الاستئناف والرحمن خبره وقرأ الآخرون
بالجر اتباعا لقوله [من ربك] وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب الرحمن جرا اتباعا لقوله [رب السموات
والارض] وقرأ الآخرون بالرفع فخمزة والكسائي يقرأ رب بالخفض لقربه من قوله (جزا من ربك)
ويقرأن الرحمن بالرفع لبعده منه على الاستئناف

وقوله (لا يملكون) في موضع رفع خبره، ومعنى (لا يملكون منه خطابا) قال مقاتل لا يقدر
الخلق على أن يكلموا الرب إلا بأذنه ، وقال الكلبي لا يملكون شفاعته إلا بأذنه (يوم يقوم الروح)
أي في ذلك اليوم (والملائكة صفا) واختلفوا في هذا الروح قال الشعبي والضحاك هو جبريل
وقال عطاء عن ابن عباس الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فاذا كان يوم القيامة
قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثلهم ، وعن ابن مسعود قال
الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة وهو في السماء الرابعة يسبح كل يوم
اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا ، يجيء يوم القيامة صفا وحده ، وقال مجاهد
وقنادة وأبو صالح الروح خلق على صورة بني آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند
وهؤلاء جند . وروى مجاهد عن ابن عباس قال هم خلق على صورة بني آدم وما ينزل من السماء ملك
إلا معه واحد منهم . وقال الحسن هم بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس وقال هذا مما كان يكتمه

« تفسير ابن كثير والبغوي » (١٣) الجزء التاسع »

أمرنا [الآية] [والسادس] انه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [يوم يقوم الروح] قال هو ملك عظيم أعظم الملائكة خلقا وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة بخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة بجيء يوم القيامة صفا وحده . وهذا قول غريب جداً

(١) وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصري حدثنا وهب الله بن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الاوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والارضين بلفظة واحدة لمعل ، تسبيحه سبحانه حيث كنت . وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم . وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الاقوال كلها والاشبه عندي والله أعلم أنهم بنو آدم

(١) هذا الى قوله

وتوقف ابن جرير ليس بوجود في النسخة المكية

وقوله تعالى [إلا من أذن له الرحمن] كقوله [يوم يأت لاتكلم نفس إلا باذنه] وكما ثبت في الصحيح « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » وقوله تعالى [وقال صوابا] أي حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله ابو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى [ذلك اليوم الحق] أي الكائن لا محالة [فمن شاء اتخذ إلى ربه ما بآ] أي مرجعا وطريقا يمتد إلى ربه ومنهجا يمر به عليه

وقوله تعالى [انا أنذرناكم عذابا قريبا] يعني يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لان كل ما هو آت آت [يوم ينظر المرء ما قدمت يداه] أي يعرض عليه جميع أعماله خيرا وشرها ، قديمها وحديثها كقوله تعالى [ووجدوا ما عملوا حاضرا] وكقوله تعالى [ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر] ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا [أي يود الكافر يومئذ انه كان في الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج الى الوجود ، وذلك حين عابن عذاب الله ونظر الى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة

ابن عباس [والملائكة صفا] قال الشعبي هما سماطا رب العالمين يوم يقوم سماط من الروح وسماط من الملائكة « لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا » في الدنيا أي حقا وقيل قال لا إله إلا الله « ذلك اليوم الحق » الكائن الواقع يعني يوم القيامة « فمن شاء اتخذ إلى ربه ما بآ » مرجعا وسبيلا بطاعته أي فمن شاء رجع الى الله بطاعته « انا أنذرناكم عذابا قريبا » يعني العذاب في الآخرة وكل ما هو آت قريب « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » أي كل امرئ يرى في ذلك اليوم ما قدم من العمل مثبتا في صحيفته « ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا » قال عبد الله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقص

الكرام البررة ، وقبل انما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور حتى انه يقتص للشاة الجاء من القرنا ، فاذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتني كنت ترابا) أي كنت حيوانا فأرجع الى التراب ، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما ﴿ آخر تفسير سورة النبا والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

تفسير سورة النازعات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا (١) وَالنَّشِطَاتُ نَشْطًا (٢) وَالسَّيِّحَاتُ سَبْحًا (٣) فَالسَّيِّغَاتُ سَبْعًا (٤)
فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨)

لشاة الجاء من الشاة القرنا ، تنطعها ، فاذا فرغ من القصاص قبل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ، ومثله عن مجاهد . وقال مقاتل يجمع الله الوحوش والبهائم والحوام والطير فيقضي بينهم حتى يقتص للجااء من القرنا ، ثم يقول لهم انما خلقتكم وسخرتكم لبني آدم وكنتم مطيعين ، يا أيها حيائكم فارجعوا الى الذي كنتم كونوا ترابا ، فاذا نفث الكافر الى شيء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتني كنت في الدنيا في صورة خنزير وكنت اليوم ترابا ، وعن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان قال اذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار قيل لساير الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ، وبه قال ايث بن أبي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا . وقيل ان الكافر ههنا ابليس وذلك انه عاب آدم لأنه خلق من التراب وافتخر بأنه خلق من النار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب ولحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا . قال ابو هريرة فيقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي

سورة النازعات مكية وهي ست وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والنازعات غرقا ﴾ يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم كما يفرق النازع في القوس

أَبْصَرَهَا خَشَعَةً (٨) يَقُولُونَ أَمَّا لِمُرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَعْذَا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً (١١)

قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَأَنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى [النازعات غرقا] الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بني آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتفرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط وهو قوله [والنشاطات نشطا] قاله ابن عباس وعن ابن عباس، [والنازعات] هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تفرق في النار. رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد [والنازعات غرقا] الموت، وقال الحسن وقتادة [والنازعات غرقا] والنشاطات نشطا هي النجوم، وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى والنازعات والنشاطات هي القسي في القتال والصحيح الأول وعليه الاكثرون

وأما قوله تعالى (والسباحات سبعا) فقال ابن مسعود هي الملائكة، وروي عن علي ومجاهد

فيبلغ بها غاية المدى، والفرق اسم أقيم مقام الاغراق أي والنازعات اغرقا والمراد بالاغراق المبالغة في المدى وقال ابن مسعود ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الاطافير وأصول القدمين ويردها في جسده بعد ما ينزعها حتى اذا كادت تخرج ردها في جسده بعد ما ينزعها فهذا عمله بالكفار. وقال مقاتل ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكفار كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتدل فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وقال مجاهد هو الموت ينزع النفوس. وقال السدي هي النفس حين تفرق في الصدر. وقال الحسن وقتادة وابن كيسان هي النجوم تنزع من أفق الى أفق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة هي القسي وقبل هم الغزاة الرماة والنشاطات نشطا هي الملائكة تنشط نفس المؤمن أي نحل حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقل من يد البعير أي يحل برفق حكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب أن يقولوا أنشطت العقل إذا حلته ونشطته إذا عقدته بانشوطه. وفي الحديث «كأنما أنشط من عقل» وعن ابن عباس هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة لانه تعرض عليه الجنة قبل أن يموت. وقال علي بن أبي طالب هي الملائكة تنشط أرواح الكفار مما بين الجلد والاطفار حتى تخرجها من أفواهم بالكرب والغم، والنشط الجذب والنزع يقال نشطت الدلو نشطا إذا نزعتها. قال الخليل النشط والانشاط مدك لشيء الى نفسك حتى ينحل وقال مجاهد هو الموت ينشط النفوس، وقال السدي هي النفس تنشط من القدمين أي تجذب، وقال قتادة هي النجوم تنشط من أفق الى أفق أي تذهب يقال نشط من بلد الى بلد اذا خرج في سرعة ويقال حمار ناشط ينشط من بلد الى بلد، وقال عطاء وعكرمة هي الازهاق والسباحات سبعا هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين بسلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشيء في الماء

وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحا) الموت ، وقال قتادة هي النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح هي السنن

وقوله تعالى (فالسابقات سبقا) روي عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصري يعني الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الايمان والتصديق ، وعن مجاهد الموت ، وقال قتادة هي النجوم ، وقال عطاء هي الخيل في سبيل الله

وقوله تعالى [فالدبرات أمراً] قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقاتدة والربيع ابن أنس والسدي هي الملائكة زاد الحسن تدبر الامر من السماء الى الارض يعني بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا انه حكى في الدبرات أمراً أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفى

وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الاولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقاتدة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الاولى وهي قوله جل وعلا [يوم ترجف الراجفة] فكقوله جلّت عظمتها (يوم ترجف الارض والجبال او الثانية وهي الرادفة فهي كقوله [وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة]

يرفق به ، وقال مجاهد وأبو صالح هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يقال له سابح إذا أسرع في جريه وقيل هي خيل الفزاة وقال قتادة هي النجوم والشمس والقمر قال الله تعالى (وكل في فلك يسبحون) وقال عطاء هي السفن (فالسابقات سبقا) قال مجاهد هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال مقاتل هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة ، وعن ابن مسعود قال هي أنفس المؤمنين تتسارع وتسبق الى الملائكة الذين يقبضونها شوقاً الى لقاء الله وكرامته وقال عاينت السرور وقال قتادة هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير وقال عطاء هي الخيل (فالدبرات أمراً) قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بأمر عرفهم الله عز وجل العمل بها . قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملاك الموت واسرافيل عليهم السلام . أما جبريل فهو كل بالوحي والبطش وهزم الجوش . وأما ميكائيل فهو كل بالمطر والنبات والارزاق . وأما ملك الموت فهو كل بقبض الانفس . وأما اسرافيل فهو صاحب الصور ولا ينزل الا للامر العظيم . وجواب هذه الاقسام محذوف على تقدير لبعثين ولتحسين وقيل جوابه قوله (ان في ذلك لآية لمن يخشى) وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) (والنازعات غرقا)

قوله عز وجل (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الاولى يتمزلزل ويتمحرك لها كل شيء ويموت منها جميع الخلق (تتبعها الرادفة) وهي النفخة الثانية ردت الاولى بينهما أربعين سنة قال قتادة

وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي ابن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال « إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري باسناده مثله ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم كان رسول الله ﷺ « إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه »

وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعني خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها اللابسة أي ذليلة حيرة مما عاينت من الالهوال وقوله تعالى (يقولون أننا لمردودون في الحافرة) يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في انكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير الى الحافرة وهي القبور قاله مجاهد وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورهم ولهذا قالوا (أنذا كنا عظاما نخرة) وقري ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد

هما صيحتان فالاولى نمت كل شيء والاخرى تحيي كل شيء باذن الله عز وجل ، وقال مجاهد ترجف الراجفة تنزلزل الارض والجبال تتبعها الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث وأصل الراجفة الصوت والحركة

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعالبي أخبرني ابن فنجويه ثنا عبد الله بن يوسف بن احمد بن مالك ثنا محمد بن هارون الحضرمي ثنا الحسن بن عرفة ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبي بن كعب قال كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام وقال « يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه » (قلوب يومئذ واجفة) خائفة قلقة مضطربة وسعي الوجيف في السير لشدة اضطرابه يقال وجف القلب ووجب وجوقا ووجيفا ووجوبا ووجيبا ، وقال مجاهد وجلة ، وقال السدي زائلة عن أما كنا نظيره اذا القلوب لدى الحاجر (أبصارها خاشعة) ذليلة كقوله خاشعين من الذل الآية (يقولون) يعني المنكرين للبعث إذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت (أننا لمردودون في الحافرة ؟) أي إلى أول الحال وابتداء الامر فنصير أحياء بعد الموت كما كنا ، تقول العرب رجم فلان في حافرة أي رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم لا ابتداء الشيء وأول الشيء ، وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التي تحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة كقوله (عيشة راضية) أي مرضية وقيل سميت حافرة لأنها مستقر الخوافر أي أننا لمردودون إلى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها ، وقال ابن زيد الحافرة النار (أنذا كنا عظاما نخرة ؟) قرأ نافع وابن عاصر والكسائي ويعقوب أننا مستفهم اذا بتركه ضدهم ابو جعفر

وقنادة أي بالية قال ابن عباس وهو العظم اذا بلي ودخلت الريح فيه (قالوا تلك اذا كرة خامسة) وعن ابن عباس ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والسدي وقنادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار، وما أكثر أسمائها هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة واظلي والحطمة، وأما قولهم (تلك اذا كرة خامسة) فقال محمد بن كعب قالت قریش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن

قال الله تعالى (فانما هي زجرة واحدة * فاذا هم بالساهرة) أي فانما هو أمر من الله لامثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى اسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فاذا الاولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوك فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبئتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة إلا كالمح بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كالمح البصر أو هو أقرب) قال مجاهد [فانما هي زجرة واحدة] صيحة واحدة وقال ابراهيم التيمي أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصري زجرة من الغضب وقال أبو مالك والريعي بن أنس زجرة واحدة هي النفخة الآخرة

وقوله تعالى (فاذا هم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الارض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقنادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الارض، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فاخرجوا الى أعلاها قال والساهرة المكان المستوي، وقال الثوري الساهرة أرض الشام، وقال عثمان بن أبي العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل الى جانب بيت المقدس، وقال قنادة أيضا الساهرة جهنم. وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الارض وجهها الاعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب بن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي (فاذا هم بالساهرة) قال أرض يعضا عفراء خالية كالخزة النقي، وقال الريعي بن أنس (فاذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل [يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار] ويقول تعالى [ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا] وقال تعالى [ويوم نسير الجبال

الباقون باستفهامها، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عظاما ناخرة والآخرون نخرة وهما لغتان مثل الطمم والطامع والحذر والحاذر ومعناها البالية وفرق قوم بينهما فقالوا النخرة البالية والناخرة المجوفة التي تمر فيها الريح فتنخر أي تصوت (قالوا) يعني المنكرين (تلك اذا كرة خامسة) رجعة خائبة يعني إن رددنا بعد الموت لنخسرن بما بصيبتنا بعد الموت

قال الله عز وجل (فانما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة) صيحة (واحدة) بسمعونها (فاذا هم بالساهرة) يعني وجه الارض أي صاروا على وجه الارض بعد ما كانوا في جوفها، والعرب

وترى الأرض بارزة [وبرزت الأرض التي عليها الجبال وهي لانعد من هذه الأرض وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

هل أتاك حديث موسى (١٥) اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى (١٦) اذهب الى فرعون

لانه طغى (١٧) فقل هل لك الى أن تزكى (١٨) وأهديك الى ربك فتحشى (١٩) فأراه

الآية الكبرى (٢٠) فكذب وعصى (٢١) ثم أدبر يسهى (٢٢) خسر فنادى (٢٣) فقال

أنا ربكم الأعلى (٢٤) فأخذ الله نكال الآخرة والاوى (٢٥) إن في ذلك لعبرة لمن يخشى (٢٦)

يخبر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه الى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة [إن في ذلك لعبرة لمن يخشى] فقله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره ، إذ ناداه ربه (أي كلمه ندا ، بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له [اذهب الى فرعون انه طغى] أي تجبر وتورد وعنى [فقل هل لك الى أن تزكى] أي قل له هل لك أن تنجيب الى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك الى ربك) أي أدلك الى عبادة ربك فتحشى أي فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضعاً على صدق ما جاء به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لان المعرفة علم القلب والايمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له

وقوله تعالى (ثم أدبر يسهى) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به

تسمي الفلاة ووجه الأرض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لان فيها نوم الحيوان وسهرهم . قال سفيان هي أرض الشام ، وقال قتادة هي جهنم

قوله عز وجل ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ يقول قد جاءك يا محمد حديث موسى ﴿ اذ ناداه ربه

بالواد المقدس طوى ﴾ فقال يا موسى ﴿ اذهب الى فرعون إنه طغى ﴾ علا وتكبر وكفر بالله ﴿ فقل

هل لك الى أن تزكى ﴾ قرأ أهل الحجاز ويعقوب بتشديد الزاي أي تنزكى وتنطهر من الشرك ،

وقرأ الآخرون بالتخفيف أي تسلم وتصلح قال ابن عباس تشهد أن لا إله إلا الله ﴿ وأهديك الى

ربك فتحشى ﴾ أي أدعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتحشى عقابه ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ وهي

العصا واليد بيضاء ﴿ فكذب ﴾ بأنهما من الله ﴿ وعصى ثم أدبر ﴾ تولى وأعرض عن الايمان ﴿ يسهى ﴾

موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الاعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذ الله نكال الآخرة والاولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالاً لمثاله من المتمردين في الدنيا [ويوم القيامة ينس الرشد المرفود] كما قال تعالى [وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون] وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والاولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كلمتيه الاولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الاول ، وقوله (إن في ذلك لعلبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

« أنتم أشد خلقاً أم السماء ؟ بنها (٢٧) رفع سمكها فسوها (٢٨) وأغطش ليلها وأخرج ضحها (٢٩) والارض بعد ذلك دحها (٣٠) أخرج منها ماءها ومرعها (٣١) والجبال أرسها (٣٢) متعاً لكم ولا نعمكم (٣٣)

يقول تعالى محتجاً على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدنه (أنتم أيها الناس) أشد خلقاً أم السماء . يعني بل السماء أشد خلقاً منكم كما قال تعالى [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس] وقال تعالى [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلاً من بل هو الخلاق العليم] وقوله تعالى (بناها) فسرهُ بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الغناء مستوية الأرجاء ، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء .

وقوله تعالى (وأغطش ليلها) أي جعل ليلها مظلمة أسود حالكاً ونهارها مضيئاً

يعمل بالفساد في الارض (فحشر) فجمع قومه وجنوده (فنادى) لما اجتمعوا (فقال أنا ربكم الاعلى) فلا رب فوقى ، وقيل أراد أن الاصنام أرباب وأنا ربكم وربها (فأخذ الله نكال الآخرة والاولى) قال الحسن وقتادة عاقبه الله فجعله نكال الآخرة والاولى أي في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بالنار وقال مجاهد وجماعة من المفسرين أراد بالآخرة والاولى كلمتي فرعون قوله ما علمت لكم من إله غيري وقوله أنا ربكم الاعلى وكان بينهما أربعون سنة (إن في ذلك) الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعلبرة) عظة (لمن يخشى) الله عز وجل ثم خاطب منكري البعث فقال (أنتم أشد خلقاً أم السماء) يعني أخلقكم بعد الموت أشد عندكم وفي تقديركم أم السماء وهما في قدرة الله واحد كقوله (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) ثم وصف من خلق السماء فقال (بناها رفع سمكها) سقها (فسواها) بلا شقوق ولا فطور (وأغطش) أظلم (ليلها) والغطش والغيش الظلمة (وأخرج ضحها) أبرز وأظهر نهارها ونورها وأضافها إلى السماء لان الظلمة والنور كلاهما ينزل من السماء .

« تفسير ابن كثير والبغوي » (١٤) « الجزء التاسع »

مشرقاً نيراً واضحاً ، قال ابن عباس (أغطش ليها) أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أنار نهارها

وقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) فسرهُ بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الارض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاها) ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله [والارض بعد ذلك دحاها] وقد تقدم تقرير ذلك هنالك ، وقوله تعالى [والجبال أرساها] أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم الرؤف بخلقه الرحيم

وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال « لما خلق الله الارض جعلت نמיד فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم النار ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال نعم الريح ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله »

وقال ابو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الارض قصت وقالت تخلق علي آدم وذريته يلقون علي تنهم ويعملون علي بالخطايا فأرساها الله بالجبال فمنها ماترون ومنها ملا ترون وكان أول قرار الارض كلحم الجزور اذا نحر يخلج لحمه . غريب جداً

وقوله تعالى (مناعا لكم ولا نعماكم) أي دحا الارض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأثبت زروعها وأشجارها ونهارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها ، كل ذلك مناعا لخلقها ولما يحتاجون اليه من الانعام التي يأكلونها وبركونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الامد ، وينقضي الاجل

﴿ والارض بعد ذلك ﴾ بعد خلق السماء ﴿ دحاها ﴾ بسطها والدحو البسط قال ابن عباس خلق الله الارض بقوانينها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك ، وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عز وجل [عتل بعد ذلك زنيم] أي

فاذا جاءت الطامة الكبرى (٣٤) يوم يتذكر الانسان ما سعى (٣٥) وبرزت الجحيم لمن يرى
(٣٦) فأما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فإن الجحيم هي المأوى (٣٩) وأما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١) يسئلونك عن الساعة
أيا نمرسها (٤٢) فيم أنت من ذكرها؟ (٤٣) إلى ربك منتهاها (٤٤) إنما أنت منذر من يخشها
(٤٥) كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها (٤٦)

يقول تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة ، قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها
نظم على كل أمرها نل مفضل كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الانسان ما سعى) أي
حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى)
[وبرزت الجحيم لمن يرى] أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا [فأما من طغى] أي تمرد وعنى
[وآثر الحياة الدنيا] أي قدمها على أمر دينه وأخراه [فإن الجحيم هي المأوى] أي فإن مصيره إلى
الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم [وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى]
أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها إلى طاعة
مولاها [فإن الجنة هي المأوى] أي منقلبته ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء .

ثم قال تعالى [يسئلونك عن الساعة أيا نمرسها فيم أنت من ذكرها؟ * إلى ربك منتهاها] أي
ليس علمها اليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها إلى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على
التعيين [ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بفتة - يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند

مع ذلك * أخرج منها ماها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعا لكم ولا نعمكم * فاذا جاءت الطامة
الكبرى * يعني النفخة الثانية التي فيها البعث وقامت القيامة وسميت القيامة طامة لأنها نظم على كل
هائلة من الأمور فعلوا فوقها وتغمر ماسواها والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع * يوم يتذكر
الانسان ما سعى * ماعل في الدنيا من خير وشر * وبرزت الجحيم لمن يرى * قال مقاتل يكشف عنها
الغطاء فينظر إليها الخلق * فأما من طغى * في كثره * وآثر الحياة الدنيا * على الآخرة * فإن الجحيم
هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * عن المحارم التي تشبهها قال مقاتل
هو الرجل بهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها * فإن الجنة هي المأوى * يسألونك عن الساعة
أيا نمرسها * متى ظهورها وثبوتها * فيم أنت من ذكرها؟ * است في شيء من علمها وذكرها أي

الله [وقال ههنا] إلى ربك منتهاها [ولهذا لما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن وقت الساعة قال «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»

وقوله تعالى [إنما أنت منذر من يخشاها] أي إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذّرهم من بأس الله وعذابه فمن خشى الله وخاف مقامه ووعيده أتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها] أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضحى من يوم قال جابر عن الضحاك عن ابن عباس [كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها] أما عشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس [أو ضحاها] ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار، وقال قتادة: رقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة

﴿آخر تفسير سورة النازعات وفقه الحد والمنة﴾

لا نعلمها ﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي منتهى علمها عند الله ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ قرأ أبو جعفر منذر بالتنوين أي أنت مخوف من يخاف قيامها أي إنما ينفع انذارك من يخافها ﴿كأنهم﴾ يعني كفار قريش ﴿يوم يرونها﴾ يعاينون يوم القيامة ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا وقيل في قبورهم ﴿إلا عشية أو ضحاها﴾ قال الفراء ليس للعشية ضحى إنما الضحى اسم لصدر النهار ولكن هذا ظاهر من كلام العرب أن يقولوا آتيتك العشية أو غداها إنما معناه آخر يوم أو أوله نظيره قوله [يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار]



تفسير سورة عبس وهي مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عبس وتولى (١) أن جاءه الاعمى (٢) وما يدريك؟ لعله يزكى (٣) أو يدكر فتنفعه
الذكرى (٤) أما من استغنى (٥) فأنت له تصدى (٦) وما عليك ألا يزكى (٧) وأما من جاءك
يسمى (٨) وهو يخشى (٩) فأنت عنه تلهى (١٠) كلا إنها تذكرة (١١) فمن شاء ذكره (١٢)
في صحف مكرمة (١٣) مرفوعة مطهرة (١٤) بأيدي سفرة (١٥) كرام بررة (١٦)

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش وقد
طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً فجعل يسأل رسول
الله ﷺ عن شيء، ويلج عليه وود النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك لتمكن من مخاطبة ذلك الرجل
طمعاً ورغبة في هدايته وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله
تعالى [عبس وتولى * أن جاءه الاعمى * وما يدريك لعله يزكى] أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه

﴿سورة عبس مكية وهي اثنتان وأربعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عبس﴾ كالجحش ﴿وتولى﴾ أعرض بوجهه ﴿أن جاءه الاعمى﴾ وهو ابن أم مكتوم واسمه
عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ
وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وأبي بن خلف وأخاه أمية
يدعوم إلى الله يرجو إسلامهم فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل
يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ
لقطعه كلامه وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد والسفلة. فعبس
وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآية فكان رسول الله ﷺ بعد
ذلك يكرمه وإذا رآه قال «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» ويقول له «هل لك من حاجة؟» واستخلفه على
المدينة مرتين في غزوتين غزاها رسول الله ﷺ قال أنس بن مالك فرأيت يوم القادسية عليه درع
ومعه راية سوداء ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ ينظر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك وقال

١١٠ الاقوال في إعراض النبي ﷺ عن ابن أم مكتوم ودعوته أشرف قريش (تفسير ابن كثير والبغوي)

[أو يذكر فتنبه الذكرى] أي يحصل له انعاظ وازدجار عن المحارم [أما من استغنى] فأنت له تصدى [أي أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدي] وما عليك ألا يزكي [أي ما انت بمطالب به إذ لم يحصل له زكاة] وأما من جاءك يسعى وهو يخشى [أي يقصدك ويؤمك ليهتدي بما تقول له] فأنت عنه تلهي [أي تشاغل] ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يخلص بالانذار أحداً بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار، ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة

قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى [عبس وتولى] جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه. قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال: رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء. يعني ابن أم مكتوم

وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله ﷺ رجل من عطاء المشركين قالت فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويتبل على الآخر ويقول «أرى بما أقول بأساً؟» فيقول لا ففي هذا أنزلت عبس وتولى. وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بإسناده مثله، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة قلت كذلك هو في الموطأ

ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضاً من طريق العوفي عن ابن عباس قوله [عبس وتولى] أن جاءه الأعمى [قال بينا رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيراً وبحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقري النبي ﷺ آية من القرآن وقال يا رسول الله علمني مما

ابن زيد بسلم (أو يذكر) يتعظ (فتنبه الذكرى) الموعظة قرأ عاصم فتنبه بنصب العين على جواب لعل بالفاء، وقراءة العامة بالرفع نسقا على قوله يذكر (أما من استغنى) قال ابن عباس عن الله وعن الإيمان بما له من المال (فأنت له تصدى) تتعرض له وتقبل عليه وتصفى إلى كلامه قرأ أهل الحجاز تصدى بتشديد الصاد أي تصدى وقرأ الآخرون بتخفيف الصاد على الحذف (وما عليك ألا يزكي) أن لا يؤمن ويهتدي أن عليك إلا البلاغ (وأما من جاءك يسعى) يمشي يعني ابن أم مكتوم (وهو يخشى) الله عز وجل (فأنت عنه تلهي) تشاغل وتعرض عنه (كلا) زجر أي لا تفعل

علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى) فلما نزل فيه مازل أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه وقال له رسول الله ﷺ «ما حاجتك هل تريد من شيء» - وإذا ذهب من عنده قال - هل لك حاجة في شيء؟ «وذلك لما أنزل الله تعالى [أما من استغنى فإنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى] فيه غرابة ونكارة وقد تكلم في اسناده

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم» وهو الأعمى الذي أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلا ضربه البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقنادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم

وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أي هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في ابلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم ، وقال قنادة والسدي (كلا إنها تذكرة) يعني القرآن (فن شاء ذكره) أي فن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ، ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أي هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أي معظمة موقرة (مرفوعة) أي عالية القدر [مطهرة] أي من الدنس والزبادة والنقص . وقوله تعالى [بأبدي سفرة] قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد هي الملائكة ، وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد ﷺ وقال قنادة هم القراء ، وقال ابن جريج عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جريج والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعني بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذي يسهى بين الناس في الصلح والخير كما قال الشاعر :

بعدها مثلها (إنها) يعني هذه الموعظة وقال مقاتل آيات القرآن (تذكرة) موعظة وتذكير للخلق (فن شاء) من عباد الله (ذكره) أي اتعظ به وقال مقاتل فن شاء الله ذكره وفهمه واتعظ بمشيبته وتفهيمة ، والماء في ذكره راجعة إلى القرآن والتنزيل أو الوعظ ثم أخبر عن جلالاته عنده فقال (في صحف مكرمة) يعني الألواح المحفوظ وقيل كتب الانبياء ، دليله قوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) (مرفوعة) رفيعة القدر عند الله عز وجل وقيل مرفوعة يعني في السماء السابعة (مطهرة) لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة (بأبدي سفرة) قال ابن عباس ومجاهد

وما أَدْعِ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أَمْشِي بَغْشَ إِنْ مَشَيْتَ

وقال البخاري سفره الملائكة: سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى الله تعالى وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم ، وقوله تعالى [كرام بررة] أي خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا يذبحي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد

قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ؟ (١٨) مِنْ نَظْفَةِ خَلْقِهِ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّامًا يَقْضِي مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعَيْنًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَلَكَهًا وَآبًا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمًا لَكُمْ (٣٢)

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بني آدم (قتل الانسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس [قتل الانسان] لعن الانسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا الجنس الانسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج [ما أكفره] أي ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أي شيء جعله كافرا أي ما حمله على التكذيب بالمعاد وقد حكاه البغوي عن مقاتل والكلبي وقال قتادة (ما أكفره) ما ألغى ثم بين تعالى له كيف

كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر يقال سفرت أي كتبت ومنه قيل للكتاب سفر وجمعه أسفار، وقال الآخرون هم الرسل من الملائكة واحدهم سفير وهو الرسول وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح وسفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم ثم أنثى عليهم فقال ﴿ كرام بررة ﴾ أي كرام على الله بررة مطيعين جمع بار

قوله عز وجل ﴿ قتل الانسان ﴾ أي لعن الكافر قال مقاتل نزلت في عتبة بن أبي لهب ﴿ ما أكفره ﴾ ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه اليه وأياديه عنده على طريق التعجب، قال الزجاج معناه اعجبوا أنهم من كفره . قال الكلبي ومقاتل هو ما الاستفهام يعني أي شيء حمله على الكفر، ثم بين من أمره

خلقه من الشيء الحقير وانه قادر على اعادته كما بدأ فقال تعالى (من أي شيء خلقه ؟ من نطفة خاقه فقدره) أي قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد (ثم السبيل بصره)

قال العوفي عن ابن عباس ثم بسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقادة والسدي واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (انا هديناه السبيل اما شاكرًا واما كفورًا) أي بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه عمله ، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم

وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أي انه بعد خلقه له أماته فأقبره أي جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل اذا ولي ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله ، وبترت ذنب البعير وأبتره الله ، وطردت عني فلانًا وأطرده الله ، أي جعله طريداً قال الاعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم اذا شاء أنشره) أي بعثه بدموته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون — وانظر الى العظام كيف تنتشرها ثم نكسوها لحما)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « يا كل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه » قيل وما هو يا رسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنتشرون » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة ولغظه « كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب »

وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلاليس الامر كما يقول هذا الانسان الكافر من انه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض

ما كان ينبغي معه أن يعلم ان الله خالقه فقال (من أي شيء خلقه) لغظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسره فقال (من نطفة خلقه فقدره) أطوارا نطفة ثم علقه الى آخر خلقه قال الكلبي قدر خلقه رأسه وعينيه وبدبه ورجليه (ثم السبيل بصره) أي طريق خروجه من بطن أمه قاله السدي ومقاتل وقال الحسن ومجاهد يعني طريق الحق والباطل سهل له العلم به كما قال (انا هديناه السبيل — وهديناه النجدين) وقيل بسر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه (ثم أماته فأقبره) جعل له قبرا يوارى فيه قال الفراء جعله مقبورا ولم يجعله بمن يلقى كالسباع والطيور ، يقال قبرت الميت اذا دفنته وأقبره الله أي صيره بحيث يقبر وجعله ذا قبر كما يقال طردت فلانا والله أطرده أي صيره طريدا (ثم اذا شاء أنشره) أحيأه بعد موته (كلا) رد عليه أي ليس كما يقول ويظن هذا الكافر . وقال الحسن حقا (لما يقض

عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل . ثم روى هو وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال لا يقضي أحد أبداً كل ما افترض عليه

وحكاة البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ، ولم أجد المتقدمين فيه كلاماً سوى هذا ، والذي يقع لي في معنى ذلك والله أعلم ان المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أي بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أي لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كوناً وقدرأً فإذا تنأى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاني فان القبور هي بطن الارض ، وان الارض هي أم الخلق فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق ونمت هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الارض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها وهذا شبيه بما قلناه من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

وقوله تعالى (فلينظر الانسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الارض الهامدة على احياء الاجسام بعد ما كانت عظاماً بالية وترباً متمزقا (انا صبينا الماء صبا) أي أنزلناه من السماء على الارض (ثم شققنا الارض شقا) أي أسكنناه فيها فيدخل في تخومها وتخلل في أجزائها الحب المودع فيها فنبت وارفعم وظهر على وجه الارض (فأنبثنا فيها حباً وعنباً وقضباً) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة ، وبالمالقتها أيضاً قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ، وقال الحسن البصري القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو آدم وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به (ونخل) يؤكل بلعابسراً ورطباً ونحوه أو نيتاً ومطبوخاً ويعصر منه رب وخل (وحدائق غلبا) أي بساتين قال الحسن وقتادة غلباً نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما لثف واجتمع وقال أيضاً غلباً الشجر الذي يستظل به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أي طوال ، وقال عكرمة غلباً أي غلاظ الاوساط ، وفي رواية غلاظ الرقاب ألم ترالى الرجل إذا كان غليظ الرقة قيل والله انه لأغلب رواه ابن أبي حاتم وأنشد ابن جرير للفردق

ما أمره) أي لم يفعل ما أمره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال (فلينظر الانسان إلى طعامه) كيف قدره ربه ودبره له وجعله سبباً لحياته . وقال مجاهد الى مدخله ومخرجه ثم بين فقال (انا) قرأ أهل الكوفة أنا بالفتح على تكرير الخافض ، مجازة فلينظر إلى أنا وقرأ الآخرون بالكسر على الاستشاف (صبينا الماء صبا) يعني المطر (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فأنبثنا فيها حباً) يعني الحبوب التي يتغذى بها (وعنباً وقضباً) وهو القث الرطب سمي بذلك لانه يقضب في كل أيام أي يقطع . وقال الحسن القضب العلف للدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت (ونخلا) جمع نخلة (وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجار واحدها

عوى فأنار أغلب ضعيفاً فويل ابن المراءة ما استناراً

وقوله تعالى (وفاكة وأبا) أما الفاكة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكة كل ما أكل رطباً والأب ما أنبت الأرض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفي رواية عنه هو الحشيش للبهائم ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك الأب الكلاً وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد الأب للبهائم كالفاكهة لبني آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكة فهو الأب

وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا تأكله الناس ، ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالوا حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدت ابن عباس وقال : الأب ما أنبت الأرض للانعام وهذا لفظ حديث أبي كريب . وقال أبو السائب في حديثه ما أنبت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الانعام . وقال العوفي عن ابن عباس : الأب الكلاً والمرعى . وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفاكة وأبا) فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تظلي إن قلت في كتاب الله ما لأعلم . وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكة وأبا) قال قد عرفنا ما الفاكة فما الأب ؟ فقال لعمر بن الخطاب يا ابن الخطاب ان هذا هو التكاف . فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية

أغلب ومنه قيل لغلظ الرقبة أغلب . وقال مجاهد ومقاتل الغلب الشجر الملتف بعضه في بعض . قال ابن عباس طوالاً (وفاكة) يريد ألوان الفواكه (وأبا) يعني الكلاً والمرعى الذي لم يزرعه الناس مما يأكله الانعام والدواب . قال عكرمة الفاكة ما يأكل الناس والأب ما يأكله الدواب ومثله عن قتادة قال الفاكة لكم والأب لانعامكم . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما أنبت الأرض مما يأكل الناس والانعام ، وروى عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن قوله وفاكة وأبا فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تظلي إذا قلت في كتاب الله ما لأعلم ؟

وروي ابن شهاب عن أنس أنه سمع عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال كل هذا قد عرفنا فما الأب ؟ ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكاف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري

يعلم أنه من نبات الارض لقوله (فأنتنا فيها حبا وعنا وقضا وزيتونا ونخلنا وحدثنا غلبا وفاكة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولا نعمكم) أي عيشة لكم ولا نعمكم في هذه الدار الى يوم القيامة

فاذا جاءت الصاخة (٣٣) يوم يفر المرء من أخيه (٣٤) وأمه وأبيه (٣٥) وصاحبه

وبنيه (٣٦) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (٣٧) وجوه يومئذ مسفرة (٣٨) ضاحكة

مستبشرة (٣٩) وجوه يومئذ عليها غبرة (٤٠) ترهقها قتر (٤١) أولئك هم الكفرة الفجرة (٤٢)

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أمما. يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده ، قال ابن جرير اهله اسم للنفخة في الصور ، وقال البغوي : الصاخة يعني صبيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الامعاء أي تبالغ في إمعانها حتى تكاد تصمها [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه] أي يراهم ويفر منهم ويتبعد منهم لان الهول عظيم والخطب جليل

قال عكرمة : يلتقي الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فنقول نعم البعل كنت ونثني بخبر ما استطاعت فيقول لها فاني أطلب اليك اليوم حسنة واحدة نهيبها لي اعلي أنجو مما ترين فنقول له ما أبسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أنتخوف مثل الذي تخاف . قال وان الرجل يلتقي ابنه فيقول يا بني أي والد كنت لك ؟ فيثني بخبر ، فيقول له يا بني اني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك اعلي أنجو بها مما رى ، فيقول ولده : يا أبت ما أبسر ما طلبت ولكني أنتخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه]

وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة انه إذا طلب إلى كل من اولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لأسألك إلا نفسي حتى ان عيسى بن مريم يقول لأسأله اليوم الا نفسي لأسأله مريم التي ولدته. ولهذا قال تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه] قل فتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم

ما الاب؟ ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿ متاعا لكم ﴾ منفعة لكم يعني الفاكهة ﴿ ولا نعمكم ﴾ يعني العشب ثم ذكر القيامة فقال ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ يعني صبيحة القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الامعاء أي تبالغ في إمعانها حتى تكاد تصمها ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه ﴾ لا يلتفت الى واحد منهم لشغله بنفسه

حكى عن فتادة قال في هذه الآية (يوم يفر المرء من أخيه) قال يفر هايل من قاييل ويفر النبي ﷺ من أمه وإبراهيم عليه السلام من أبيه ولوط عليه السلام من صاحبه ونوح عليه السلام

وقوله تعالى [لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه] أي هو في شغل شاغل عن غيره . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال ابن حباب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال فقالت زوجته يا رسول الله تنظر أوبرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - أو قال - ما اشغله عن النظر »

وقد رواه النسائي منفرداً به عن أبي داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الاحول البصري أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أنبصر أوبرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قل الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقية الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائي من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله بأي أنت وأمي أني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به قال « ان كان عندي منه علم » قالت يا بني الله كيف يحشر الرجال ؟ قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت واسوأناه من يوم القيامة قال « وعن أي ذلك نسألين إنه قد نزل علي آية لا يضررك كان عليك ثياب أو لا يكون » قالت أبة آية هي يا بني الله ؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أويس حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ « يبعث

من ابنه » لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » بشغله عن شأن غيره

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله أنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا ابن أبي أويس ثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الأذان » فقالت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا

الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الاذان « فقلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا الى بعض ؟ فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث المروزي عن الفضل ابن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائد بن شريح ضعيف في حديثه ضعف

وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أى يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أى مستنيرة (ضاحكة مستبشرة) أى مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غيرة * ترهقها قفرة) أى يعلوها وتغشاها قفرة أى سواد

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغيرة على وجوههم » قال فهو قوله (ووجوه يومئذ عليها غيرة) وقال ابن عباس (ترهقها قفرة) أى يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى [أولئك هم الكفرة الفجرة] أى الكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى [ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً]

﴿ آخر تفسير سورة عبس والله الحمد والمنة ﴾

إلى بعض فقال « قد شغل الناس ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ مشرقة مضيئة ﴿ ضاحكة ﴾ بالسرور ﴿ مستبشرة ﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل ﴿ ووجوه يومئذ عليها غيرة ﴾ سواد وكآبة مما يشاهدونه من الغم والهم ﴿ ترهقها قفرة ﴾ تملوها وتغشاها ظلمة وكسوف ، قال ابن عباس تغشاها ذلة ، قال ابن زيد الفرق بين الغيرة والقفرة أن القفرة ما ارتفع من الغبار فلهق بالسماء والغيرة ما كان أسفل في الأرض ﴿ أولئك ﴾ الذين يصنع بهم هذا ﴿ هم الكفرة الفجرة ﴾ هم الكافر والفاجر



تفسير سورة التكويد وهي مكية

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بدير القاص ان عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « من سره أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ [اذا الشمس كورت - واذا السماء انفطرت - واذا السماء انشقت » وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كورت (١) وإذا النجوم انكدرت (٢) وإذا الجبال سُيِّرَت (٣) وإذا
العِشَارُ عُطِّلَت (٤) وإذا الوحوش حُشِرَت (٥) وإذا البحار سُجِّرَت (٦) وإذا النفوس
زُوجِت (٧) وإذا الموءودة سُئِلَت (٨) بأيِّ ذنب قتلت (٩) وإذا الصحف نشرت (١٠)
وإذا السماء كُشِطَت (١١) وإذا الجحيم سُعِّرَت (١٢) وإذا الجنة أزيلت (١٣) علمت
نفس ما أحضرت (١٤)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [اذا الشمس كورت] يعني أظلمت وقال العوفي عنه ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خثيم كورت يعني رمي بها وقال أبو صالح كورت القيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع في الارض، قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك أن

﴿ سورة التكويد مكية وهي تسع وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ثنا أبو الحسن علي بن محمد بن سهل المامرجسي املاء أنا أبو الوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسى المامرجسي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا إبراهيم بن خالد ثنا عبد الله بن بدير القاضي قال سمعت عبد الرحمن ابن زيد الصنعاني قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله ﷺ « من أحب أن ينظر في أحوال القيامة فليقرأ [اذا الشمس كورت »

قوله عز وجل ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أظلمت وقال قتادة

التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها الى بعض فعنى قوله تعالى [كورت] جمع بعضها الى بعض ثم لفت فرمي بها واذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج وعمر بن عبد الله الاودي حدثنا أبو أسامة عن
مجالد عن شيخ من بحيلة عن ابن عباس اذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم
يوم القيامة في البحر ويبعث الله رجلا دهورا فيضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبي
ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبي مریم
عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله [اذا الشمس كورت] قال « كورت في جهنم »
وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا
يزيد الرقاشي حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار »
هذا حديث ضعيف لأن يزيد الرقاشي ضعيف، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة
ثم قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز بن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن
عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخاري
وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديراً أن يذكره ههنا أو يكرره كما هي عادته في
أمثاله ، وقد رواه البزار فجود إirاده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا
عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله
القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول
الله ﷺ قال « ان الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال
أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول احسبه قال وما ذنبهما ثم قال لا يروي عن أبي هريرة إلا من هذا
الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث
وقوله تعالى (واذا النجوم انكدرت) أي انتثرت كما قال تعالى [واذا الكواكب انتثرت]
وأصل الانكدار الانصباب

ومقاتل والكلبي ذهب ضوءها . وقال سعيد بن جبيرة غورت وقال مجاهد اضمحلت ، وقال الزجاج
لفتت كما تلف العمامة يقال كورت العمامة على رأسي أ كورها كوراً أو كورتها تكويراً إذا لفتتها، وأصل التكوير جمع
بعض الشيء الى بعض فمعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها ، قال ابن
عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها دهوراً فتضربها فتصير نارا
أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل
ثنا مسدد ثنا عبد العزيز بن المختار ثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة
عن النبي ﷺ قال « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » (واذا النجوم انكدرت) أي تناثرت

قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فيينا هم كذلك إذ تناثرت النجوم فيينا هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتعركت واضطربت واختلطت ففزع الجن إلى الانس والانس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فاجوا بعضهم في بعض [وإذا الوحوش حشرت] قال اختلطت [وإذا العشار عطلت] قال أهلها أهلها [وإذا البحار سجرت] قال قالت الجن نحن فأنتم بالخبر قال فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تتأجج ، قال فيينا هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فيينا هم كذلك إذ جاءهم الريح فأماتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه ، وهكذا قال مجاهد والربيع بن خثيم والحسن البصري وأبو صالح وهما بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعلا [وإذا النجوم انكدرت] أي تناثرت ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [وإذا النجوم انكدرت] أي تغيرت

وقال يزيد بن أبي مرزوق عن النبي ﷺ (وإذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كن من عيسى وأمه ولو رضى أن يمدا لدخلها » رواه ابن أبي حاتم بالاسناد المتقدم

وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أي زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعا صاففا وقوله [وإذا العشار عطلت] قال عكرمة ومجاهد عشار الابل ، قال مجاهد عطلت تركت وسييت وقال أبي بن كعب والضحاك أهلها أهلها ، وقال الربيع بن خثيم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها

من السماء وتساقطت على الأرض يقال انكدر الطائر إذا سقط عن عشه ، قال الكلبي وعطاء . تخطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم إلا وقع ﴿ وإذا الجبال سيرت ﴾ على وجه الأرض فصارت هباء منبثا ﴿ وإذا العشار عطلت ﴾ وهي النوق الحوامل التي أتى على حملها عشرة أشهر واحدتها عشراء ، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة ، وهي أنفس مال عند العرب عطلت تركت ههنا بلاراع أهلها أهلها وكانوا لازمين لاذنابها ولم يكن لهم مال أعجب اليهم منها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة ﴿ وإذا الوحوش ﴾ يعني دواب البر ﴿ حشرت ﴾ جمعت يوم البعث ليقنص بعضها من بعض ، وروى عكرمة عن ابن عباس قال حشرها موتها ، وقال حشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة ، وقال أبي بن كعب اختلطت ﴿ وإذا البحار سجرت ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ، قال ابن عباس أوقدت فصارت نارا تضطرم وقال مجاهد ومقاتل يعني فجر بعضها في بعض العذب والملح فصارت البحور كلها بحرا واحدا ، وقال الكلبي ملئت وهذا أيضا معنى قوله والبحر المسجور والمسجور المملوء وقيل صارت مياهها بحرا واحدا من الحميم لأهل النار ، وقال الحسن ببست وهو قول قتادة قال ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة

وقال الضحاك تركت لأراعي لها والمعنى في هذا كله متقارب، والمقصود أن العشار من الابل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - واحدتها عشراء - ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفضح المائل وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها ، وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة براها أصحابها كذلك لاسبيل لهم اليها ، وقد قيل في العشار انها السحاب تعطل عن المير بين السماء والارض لخراب الدنيا ، وقيل انها الارض التي تعشر ، وقيل انها الديار التي كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الامام أبو عبد الله القرطبي في كتابه النذرة ورجح انها الابل وعزاه إلى أكثر الناس قلت لا يعرف عن السلف والائمة سواه والله أعلم

وقوله تعالى [واذا الوحوش حشرت] أي جمعت كما قال تعالى [وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء . ثم إلى ربهم يحشرون] قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب . رواه ابن أبي حاتم ، وكذا قال الربيع بن خثيم والسدي وغير واحد ، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية ان هذه الخلائق موافية فيقضي الله فيها ما يشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله [واذا الوحوش حشرت] قال حشر البائس موتها وحشر كل شيء . الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة

حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي بعل عن الربيع بن خثيم [واذا الوحوش حشرت] قال أنى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب انه قال [واذا الوحوش حشرت] اختلطت قال ابن جرير والاولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى [والطير محشورة] أي مجموعة

وقوله تعالى (واذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا

ودوى أبو العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فيناهم كذلك إذ تناثرت النجوم فيناهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش والسباع وماج بعضهم في بعض فذلك قوله (واذا الوحوش حشرت) واختلطت (واذا العشار عطلت * واذا البحار سجرت) قال قالت الجن الانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار ناجج قال فيناهم كذلك إذ تصدعت الارض صدعة واحدة إلى الارض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فيناهم كذلك اذ جانتهم الريح فأما نهم ، وعن ابن عباس أيضا قال هي اثنتا عشرة خصلة

صادقا والبحر المسجور واذا البحار سجرت ، وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسهرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى [والبحر المسجور] وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا ابو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان ابو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الارض والانهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنعاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب

وفي سنن أبي دارود « لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر نارا ونحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم سجرت أو قدت وقال الحسن يبيت ، وقال الضحاك وقتادة غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدي فتحت وسيرت ، وقال الربيع بن خثيم سجرت فاضت .

وقوله تعالى [وإذا النفوس زوجت] أي جمع كل شكل الى نظيره كقوله تعالى [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم] وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبي ثور عن ممالك عن النعمان بن بشير انه قال قال رسول الله ﷺ « وإذا النفوس زوجت » قال - الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول [وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة مآصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة مآصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون] قال هم الضرباء . ثم رراه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سمالك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر ابن الخطاب خطب الناس فقرا (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها ان تؤاف كل شعبة الى شيعتهم ، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار

وفي رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى [وإذا النفوس زوجت] قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الانفس وفي رواية عن النعمان ان عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية [وإذا النفوس زوجت] فسكتوا . قال وامكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم]

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس

سنة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكره بقوله عز وجل « وإذا النفوس زوجت » روى النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وهذا قول عكرمة وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني ، قال الربيع بن خثيم يحشر الرجل مع

أزواجاً ثلاثة وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد [وإذا النفوس زوجت] قال الامثال من الناس جمع بينهم ، وكذا قال الربيع بن خثیم والحسن وقتادة واختاره ابن جریر وهو الصحيح
 ﴿ قول آخر ﴾ في قوله [وإذا النفوس زوجت] قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : يسيل واد من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعين عاماً فينبت منه كل خلق يلي من الانسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم ما رقد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الارض قد نبتوا ثم ترسل الارواح فتزوج الاجساد فذلك قول الله تعالى [وإذا النفوس زوجت] وكذا قال قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبیر والشعبي والحسن البصري أيضاً في قوله تعالى [وإذا النفوس زوجت] أي زوجت بالابدان . وقيل زوج المؤمنون بالخور العين وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبي في التذكرة

وقوله تعالى [وإذا الموءودة سئلت] أي ذنبت قتلت [هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة على أي ذنبت قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فانه اذا سئلت المظلوم فما ظن الظالم إذا ؟] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أي سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أي طالبت بدنها . وعن السدي وقتادة مثله

وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الاسود وهو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذاعة بنت وهب أخت عائشة قالت حضرت رسول الله ﷺ في ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهي عن القبيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيلون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً » ثم سأله عن العزل فقال رسول الله ﷺ « ذلك الواد الخفي وهو الموءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبي أيوب . ورواه أيضاً ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن اسحاق السيلحي عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثهم عن أبي الاسود به

صاحب عمله وقيل زوجت النفوس بأعمالها ، وقال عطاء ومقاتل زوجت نفوس المؤمنين بالخور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين ، وروي عن عكرمة قال وإذا النفوس زوجت ردت الارواح في الاجساد ﴿ وإذا الموءودة سئلت ﴾ وهي الجارية المدفونة حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فينثنها أي ينقلها حتى تموت ، وكانت العرب تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة يقال وأد يثد وأدا فهو وائد والمفعول موءودة

وقال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة بن سلمة بن يزيد الجعفي قال: انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله ان امنا مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل هلك في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا؟ قال «لا» قلنا فانها كانت وأدت اختالنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال «الوائدة والموءودة في النار إلا أن يدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها» ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هندبه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن علقمة وأبي الاحوص عن ابن سعد قال قال رسول الله ﷺ «الوائدة والموءودة في النار» وقال أحمد أيضا: حدثنا اسحاق الازرق أخبرنا عرف حدثني خنساء ابنة معاوية الصرمية عن عمها قال قلت يا رسول الله من في الجنة؟ قال «النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والموءودة في الجنة»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا ناقة قال سمعت الحسن يقول قبل يا رسول الله من في الجنة؟ قال «الموءودة في الجنة» هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال: قال ابن عباس اطال المشركين في الجنة فن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى (واذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) قال ابن عباس هي المدفونة

وقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن معاذ بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى (واذا الموءودة سئلت) قال جاء قيس بن عاصم إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني وأدت بنات لي في الجاهلية قال «أعتق عن كل واحدة منهن رقبة» قال يا رسول الله إني صاحب ابل قال «فأنحر عن كل واحدة منهن بدنة» قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه، وقد رواه ابن أبي حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهري فيما كتب إلي قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله، إلا أنه قال وأدت بنات لي في الجاهلية وقال في آخره «فاهدان شئت عن كل واحدة بدنة» ثم قال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الزيم عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني وأدت اثنتي عشرة ابنة لي في الجاهلية أو ثلاث عشرة قال «أعتق

روى عكرمة عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وكان أوان ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وان ولدت غلاما حبسته (بأي ذنب قتلت) قرأ العامة على الفعل المجهول فيهما وأبر جعفر يقرأ قلت بالتشديد ومعناه تسأل الموءودة فيقال لها بأي ذنب قتلت، ومعنى سؤالها توبخ قائلها لانها تقول قتلت بغير ذنب، وروى أن جابر

عددهن نسما قال فاعتق عددهن نسما « فلما كان في العام المقبل جاء بمائة ناقة فنال يارسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالسلمين قال علي بن أبي طالب لكننا نربحها ونسميها القديسة وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطي كل انسان صحيفته يمينه أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تمل فيهما ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يمل في صحيفته وقوله تعالى (وإذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدي كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدي أحبت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسرها غضب الله وخطايا بني آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلفت) قال الضحاك وأبرم مالك وفتادة والريم بن خثيم أي قربت الى أهلها

وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أي اذا وقعت هذه الامور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال تعالى (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابني حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد ابن أسلم عن أبيه قال لما نزلت [اذا الشمس كورت] قال عمر لما بلغ [علمت نفس ما أحضرت] قال لهذا جري الحديث

فلا أقسم بالخنس (١٥) الجوار الكنس (١٦) والليل إذا عسعس (١٧) والصبح إذا

تنفس (١٨) انه لقول رسول كريم (١٩) ذي قوة عند ذي العرش مكين (٢٠) مطاع ثم أمين (٢١) وما صاحبكم بمجنون (٢٢) ولقد رآه بالأفق المبين (٢٣) وما هو على الغيب

ابن زيد كان يقرأ [وإذا المؤودة سثلت بأي ذنب قتلت] ومثله قرأ أبو الضحى « وإذا الصحف نشرت » قرأ أهل المدينة والشام وعاصم ويعقوب نشرت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لقوله (يتلو صحفا منشورة) يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب « وإذا السماء كشطت » قال الفراء نزع فتطويت ، وقال الزجاج قلعت كما يقلم السقف وقال مقاتل تكشف عن فيها ، ومعنى الكشط رفعك شيئاً عن شيء . قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنن « وإذا الجحيم سعرت » قرأ أهل المدينة والشام وحفص عن عاصم سعرت بالتشديد ، وقرأ الباقرن بالتخفيف أي أوقدت لاعداء الله « وإذا الجنة أزلفت » قربت لاولياء الله « علمت » عند ذلك كل « نفس ما أحضرت » من خير أو شر وهذا جواب لقوله إذا الشمس كورت وما بعدها

قوله عز وجل « فلا أقسم بالخنس » ولا زائدة معناه أقسم بالخنس « الجوار الكنس » قال

بضنين (٢٤) وما هو بقول شيطان رجيم (٢٥) فأين تذهبون؟ (٢٦) ان هو الا ذكره للعالمين (٢٧)

لمن شاء منكم أن يستقيم (٢٨) وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين (٢٩)

روى مسلم في صحيحه والنسائي في تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد ابن مريم عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي ﷺ الصبح فسمعت يقرأ [فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل اذا عسعس * والصبح اذا تنفس] ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبي الاسود عن عمرو بن حريث به نحوه

قال ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبي اسحاق عن رجل من مراد عن علي [فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس] قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل

وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن معاذ بن حرب سمعت خالد بن عرعة سمعت عليا وسئل عن لا أقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هي النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن معاذ بن خالد عن علي قال هي النجوم وهذا اسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعة وهو السهمي الكوفي قال أبو حاتم الرازي روي عن علي وروي عنه معاذ والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا قاله أعلم وروي يونس عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي أنها النجوم رواه ابن أبي حاتم وكذا روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعبد الله والسدي وغيرهم أنها النجوم

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوزة بن خليفة حدثنا عرف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى [فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس] قال هي النجوم الدراري التي تجري تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أي في حال طلوعها ثم هي جوارى فلكها وفي حال غيوبها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبي الى كناسه اذا تغيب فيه وقال لامعش عن ابراهيم قال قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي ميسرة

قناة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتخفى فلا ترى وعن علي أيضا أنها الكوكب تخنس بالنهار فلا ترى وتكنس بالليل فتأوي الى مجاريها ، وقال قوم هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس في مجراها أي ترجع وراءها وتكنس تستمر وقت اختفائها وغروبها وتكنس الظباء في مغارها وقال ابن زيد معنى الخنس أنها تخنس أي تتأخر عن مطالعها في كل عام تأخر تأخره عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه بتأخرها والكنس أي تكنس بالنهار فلا ترى وروي لامعش عن ابراهيم عن عبد الله أنها هي الوحش ، وقال سعيد بن جبير هي الظباء وهي رواية العوفي عن ابن عباس وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس أن تأوى الى مكانها وهي المواضع التي تأوى اليها الوحوش

عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ماهي ياعمرؤ ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي اسحاق عن أبيه

وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس الى الظل وكذا قال سعيد بن جبير، وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء، وكذا قال سعيد أيضاً ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هي الظباء، والبقر

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا سفيان عن ابراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال ابراهيم لمجاهد قل فيها ما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون انها النجوم قال فقال ابراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرها ، قال فقال ابراهيم انهم يكذبون على علي هذا كما رووا عن علي انه ضمن الاسفل الاعلى والاعلى الاسفل ، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مراداً

وقوله تعالى [والليل اذا عسعس] فيه قولان (أحدهما) اقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير اذا نشأ، وقال الحسن البصري اذا غشى الناس ، وكذا قال عطية العوفي وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (اذا عسعس) اذا أدبر، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (اذا عسعس) أي اذا ذهب فتولى

وقال ابو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال: خرج علينا علي رضي الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال: أين السائلون عن الوتر (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (اذا عسعس) اذا أدبر قال لقوله (والصبح اذا تنفس) أي أضواء . واستشهد بقول الشاعر أيضاً :

حتى اذا الصبح له تنفسا وانجبا عنها ليلها وعسعسا

أي أدبر وعندني أن المراد بقوله (اذا عسعس) اذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الادبار أيضاً لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه اذا أقبل وبالفجر وضياؤه اذا أشرق كما قال تعالى [والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلّى] وقال تعالى [والضحى والليل اذا سجد] وقال تعالى [فائق الاصباح وجمل الليل سكنا] وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علماء الاصول إن لفظة عسعس تستعمل في الاقبال والادبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا :

(والليل اذا عسعس) قال الحسن أقبل بظلامه ، وقال الآخرون أدبر تقول العرب عسعس الليل

عسسم حتى لو يشاء ادنا كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ ذنا أدغم الدال في الدال ، قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع ، وقوله تعالى (والصبح اذا تنفس) قال الضحاك اذا طلعت ، وقال قتادة اذا اضاء ، وأقبل وقال سعيد بن جبير اذا نشأ وهو المروي عن علي رضي الله عنه ، وقال ابن جرير يعني وضوء النهار اذا أقبل وتبين وقوله تعالى (انه لقول رسول كريم) يعني إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أي ملك شريف حسن الخلق بهي المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذي قوة) كقوله تعالى [علمه شديد القوى * ذو مرة] أي شديد الخلق شديد البطش والنعول (عند ذي العرش مكين) أي له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة ، قال أبو صالح في قوله تعالى (عند ذي العرش مكين) قال جبريل يدخل في سبعين حجبا من نور بغير اذن (مطاع ثم) أي له وجاهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الاعلى قال قتادة (مطاع ثم) أي في السموات يعني ليس هو من افئدة الملائكة بل هو من السادة والاشراف معنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالامانة وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزيكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكي عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى [وما صاحبكم بمجنون] قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله [وما صاحبكم بمجنون] يعني محمداً صلى الله عليه وسلم

وقوله تعالى (ولقد رآه بالافق المبين) يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله

وعسسم اذا أدبر ولم يبق منه الا اليسير (والصبح اذا تنفس) أقبل وبدأ أوله وقيل امتد ضوؤه وارتفع (انه) يعني القرآن (لقول رسول كريم) يعني جبريل أي نزل به جبريل عن الله تعالى (ذي قوة) وكان من قوته انه اقتلع قريات قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها ، وانه أبصر ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنفضه بجناحه فانجته ألقاه الى أقصى جبل بالهند ، وانه صاح صبيحة بشمود فأصبحوا جائعين ، وانه يهبط من السماء الى الارض ويصعد في أمرع من الطرف (عند ذي العرش مكين) في المنزلة (مطاع ثم) أي في السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة اياه انهم فتحو أبواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ وفتح خزنة الجنة أبوابها بقوله (أمين) على وحي الله ورسائله الى أنبيائه (وما صاحبكم بمجنون) يقول لاهل مكة وما صاحبكم يعني محمداً ﷺ بمجنون ، وهذا أيضاً من جواب القسم أقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمداً ليس كما يقوله أهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وما يقول يقوله من عند نفسه (ولقد رآه) يعني رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته (بالافق

عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستائة جناح (بالافق المبين) أي البين وهي الرؤية الاولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله [علمه شديد القوى * ذومرة فاستوى * وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى] كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الاسراء لانه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الاولى، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى [ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى] فذلك لما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الاسراء.

وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أي وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أي بمتهم. ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي يبخيل بل يبذله لكل أحد. قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أي ما هو بكاذب وما هو بفاجر. والظنين المتهم والضنين البخيل. وقال قتادة كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فاضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراد، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد [قلت] وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم.

المبين ﴿ وهو الافق الاعلى من ناحية المشرق قاله مجاهد و قتادة

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا محمد بن جعفر ثنا الحسن بن علوية ثنا اسماعيل بن عيسى ثنا اسحاق بن بشر أنا ابن جريج عن عكرمة ابن خالد ومقاتل عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل «أني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء؟» قال ابن تقوى على ذلك قال «لى» قال فأبى نشأ. أن أنخيل لك؟ قال «بالأبطح» قال لا يسعني قال «فهنا» قال لا يسعني قال «فبعرفات» قال ذلك بالحري أن يسعني فوأنعه فخرج النبي ﷺ في الوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخة وكسكة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض فلما رآه النبي ﷺ كبر وخر مغشياً عليه قال فتحول جبريل في صورته فضمه إلى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لك لو رأيت امرأ قبل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وأن العرش لى كاهله وأنه ليتضال أحياناً من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الصعو يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الاعظمته « (وما هو) يعني محمد ﷺ (على الغيب) أي الوحي وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائباً عنه من الانباء والقصص (بظنين) قرأ أهل مكة والبصرة والكسائي بالظاء أي بمتهم يقال فلان يظن بـ ما لا يثبت به والظنة التهمة، وقرأ الآخرون بالضاد أي يبخيل يقول انه يأنيه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتمه السكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا

وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حله ولا يبرده ولا ينفخي له كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) وقوله تعالى [فأين تذهبون ؟] أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لو فد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال : وبكم أين تذهب عقولكم ؟ والله ان هذا الكلام لم يخرج من إل أي من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أي عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو الا ذكر للعالمين) أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ليست المشيئة موكولة اليكم فن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين

قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الامر الينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين)

﴿ آخر تفسير سورة التكويد وفيه الحمد والمنة ﴾

تقول العرب ضنفت بالشيء بكسر النون أضن به ضنا وضنائة فأنا به ضنين أي بخيل ﴿ وما هو ﴾ يعني القرآن ﴿ بقول شيطان رجيم ﴾ قال الكلبي يقول إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قریش ﴿ فأين تذهبون ؟ ﴾ أي أين تمحلون عن هذا القرآن وفيه الشفاء والبيان

قال الزجاج أي طريق تسلكون أي من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ثم بين فقال ﴿ ان هو ﴾ أي ما القرآن ﴿ الا ذكر للعالمين ﴾ موعظة للخلق أجمعين ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ أي يتبع الحق ويقيم عليه ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ أي اعلمهم ان المشيئة في التوفيق اليه وانهم لا يقدرول على ذلك الا بمشيئة الله وفيه اعلام ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه

تفسير سورة الانفطار وهي مكية

قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جريز عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال قام معاذ ف صلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ « أفنان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى والضحي وإذا السماء انفطرت ؟ » وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت في أفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال « من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا السماء انفطرت (١) وإذا الكواكب انتثرت (٢) وإذا البحار فجرت (٣) وإذا القبور بعثرت (٤) علمت نفس ما قدمت وأخرت (٥) يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم (٦) الذي خلقك فسوّك فعدّ لك (٧) في أي صورة ما شاء ركبك (٨) كلاً بل تكذبون بالدين (٩) وإن عليكم لحفظيين (١٠) كراما كتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢)

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أي انشقت ك قال تعالى [السماء منفطر به] (وإذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت [وإذا البحار فجرت] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها في بعض . وقال الحسن فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها ، وقال الكلبي ملئت [وإذا القبور بعثرت] قال ابن عباس بحثت ، وقال السدي تبعثر تحرك فيخرج من فيها [علمت نفس ما قدمت وأخرت] أي إذا كان هذا حصل هذا وقوله تعالى [يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم ؟] هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ انشقت ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ تساقطت ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحراً واحداً ، وقال الزبيدي فجرت فاضت ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء يقال بعثرت الحوض وبخترته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه ﴿ علمت نفس ما قدمت وأخرت ﴾ قيل ما قدمت من عمل صالح أو سيئ . وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة ، وقيل ما قدمت من الصدقات وأخرت من التركات على ما ذكرنا في قوله (ينبا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم ﴾ ما خدعك

انه ارشاد الى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كره ، بل المعنى في هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق كما جاء في الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة « يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ »

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان ان عمر سمع رجلا يقرأ [يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم] فقال عمر: الجهل. وقال أيضا حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله ، قال وروى عن ابن عباس والريم بن خثيم والحسن مثل ذلك

وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شيء ما غر ابن آدم وهذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض لو قال لي ما غرك بي لقلت ستورك المرحاة . وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة ، وهذا الذي تخيله هذا الفائل ليس بطائل لانه انما أتى باسمه الكريم لينبهه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالافعال القبيحة وأعمال الفجور

وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه الآية في الاسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة فانزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم) وقوله تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك) أي ما غرك بالرب الكريم (الذي خلقك فسواك فعدلك) أي جعلك سويا مستقيما معتدلا القائمة منتصبها في أحسن الهيئات والاشكال

قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا جوير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جهماش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال « قال

رسول لك الباطل حتى أضعت ماوجب عليك ، والمعنى ماذا أمنك من عقابه قال عطاء. نزلت في الوليد ابن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت في الاسود بن شريق ضرب النبي ﷺ فلم يعاقبه الله عز وجل فانزل الله هذه الآية يقول (ما الذي غرك بربك الكريم) المتجاوز عنك إذا لم يعاقبك عاجلا بكفرك قال قتادة غره عدوه المسلط عليه يعني الشيطان قال مقاتل غره عفو الله حين لم يعاقبه في أول أمره وقال السدي غره رفق الله به ، وقال ابن مسعود مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ وقيل للفضيل ابن عياض لو أقامك الله يوم القيامة فقال بافضيل ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول ؟ قال أقول غرني ستورك المرحاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني بين يديه فقال يا يحيى ما غرك بي قلت غرني بك برك بي سالفًا وآتفًا ، وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرني بك كرم الكريم قال بعض أهل الإشارة انما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم

الله عز وجل « يا ابن آدم أني تمجزني وقد خلقتك من مثل هذه؟ حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وثيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة؟ » وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) قال مجاهد في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان الفزاري حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن علي بن رباح حدثني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال له « ما ولد لك؟ » قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية، قال « فمن يشبه؟ » قال يا رسول الله من عسى أن يشبه؟ أما أباه وإما أمه فقال النبي ﷺ عندها « مه، لا تقولن هكذا إن النطفة اذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في أي صورة ماشاء ركبك » قال شكلك وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به، وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية ولكن اسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث، وقال ابن حبان بروي عن موسى بن علي وغيره مالا يشبه حديث الاثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود، قال « هل لك من إبل؟ » قال نعم، قال « فما ألوانها؟ » قال حمر، قال « فهل فيها من أورك؟ » قال نعم، قال « فأنى أتاهما ذلك؟ » قال عسى أن يكون نزع عرق قال « وهذا عسى أن يكون نزع عرق » وقد قال عكرمة في قوله تعالى (في أي صورة ماشاء ركبك) إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير، وكذا قال أبو صالح [في أي صورة ماشاء ركبك] إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير، وقال قتادة [في أي صورة ماشاء ركبك] قال قادر والله ربنا على ذلك، ومعنى هذا القول عندهؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلفه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة. وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب

(الذي خلقك فسواك فعدلك) قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر فعذلك بالتخفيف أي صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا وقرأ الآخرون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق والاعضاء (في أي صورة ماشاء ركبك) قال مجاهد والكلبي ومقاتل في أي شبه من أب وأم أو خال أو عم، وجاء في الحديث « ان النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم » ثم قرأ [في أي صورة ماشاء ركبك] وذكر الفراء والزجاج قولاً آخر [في أي صورة ماشاء

وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) يعني وإن عليكم الملائكة حفظة كراما فلا تقابلهم بالقبائح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حائتي الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو بغيره أو ليستره أخوه »

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عفان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معهم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعرض فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو بغيره » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن اسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « مامن حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فري في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث قلت وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وابن عدي ورماء ابن حبان بالوضع وقال الامام احمد لا أعرف حقيقة أمره وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالغلومي حدثنا بيان ابن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله ملائكة يعرفون بني آدم - وأحسبه - قال ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان نجاة الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البزار هذا أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث

ركبك [إما طويلا أو قصيرا أو حسنا أو غير ذلك ، قال عكرمة وأبو صالح (في أى صورة ما شاء ركبك) ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة دابة او حيوان آخر (كلا بل تكذبون) قرأ أبو جعفر بابا ، وقرأ الآخرون بالتاء لقوله (وان عليكم لحافظين) (بالدين) بالجزاء والحساب (وان عليكم لحافظين) رقباء من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) يكتبون أقوالكم وأعمالكم (يعلمون ما تفعلون) من خير أو شر

ان الابرار لفي نعيم (١٣) وان الفجار لفي جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) وما هم عنها بغائبين (١٦) وما أدراك ما يوم الدين؟ (١٧) ثم ما أدراك ما يوم الدين؟ (١٨) يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١٩)

يخبر تعالى عما يصير الابرار اليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي اسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إنما معام الله الابرار لانهم برؤا الآباء والابناء ». ثم ذكر ما يصير اليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قالوا [يصلونها يوم الدين] أي يوم الحساب والجزاء والقيامة [وما هم عنها بغائبين] أي لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون الى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا وقوله تعالى [وما أدراك ما يوم الدين] تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد بقوله تعالى (ثم ما أدراك ما يوم الدين) ثم فسره بقوله [يوم لا تملك نفس لنفس شيئا] أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى، ونذكر ههنا حديث « يابني هاشم انقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ الله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق لا الرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد والله الخلد والمنة وبه التوفيق والعصمة

قوله عز وجل ﴿ ان الابرار لفي نعيم ﴾ الابرار الذين برؤا وصدقوا في أيمانهم بأداء فرائض الله عز وجل واجتناب معاصيه ﴿ وان الفجار لفي جحيم ﴾ روي ان سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني ليت شعري مالنا عند الله ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله ، قال فأين أجده في كتاب الله ؟ فقال عند قوله (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) قال سليمان فأين رحمة الله ؟ قال رحمة الله قريب من المحسنين

قوله عز وجل ﴿ يصلونها ﴾ يدخلونها ﴿ يوم الدين ﴾ يوم القيامة ﴿ وما هم عنها بغائبين ﴾ ثم عظم ذلك اليوم فقال ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ﴾ ثم كرر تفخيما لشأنه فقال ﴿ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ يوم لا تملك ﴿ قرأ أهل مكة والبصرة يوم برفع الميم ردا على اليوم الاول وقرأ الآخرون بنصبها أي في يوم يعني هذه الاشياء في يوم لا تملك ﴾ نفس لنفس شيئا ﴿ قال مقاتل لنفس كفرة شيئا من المنفعة ﴾ (والأمر يومئذ لله) أي يوم لا يملك الله في ذلك اليوم أحد شيئا كما ملكهم في الدنيا

تفسير سورة المطففين وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين (١) الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون (٢) وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون (٣) ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون؟ (٤) ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦)

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبت الناس كيلا فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتوب عن رجل عن عبد الله قال قال له رجل يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين - حتى بلن - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد

﴿ سورة المطففين مكية أو مدنية وهي ست وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ويل للمطففين ﴾ يعني الذين ينقصون المكيال والميزان ويخسون حقوق الناس ، قال الزجاج إنما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا الشيء اليسير الطفيف أخبرنا أبو بكر يعقوب بن أحمد بن محمد بن علي الصيرفي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلدني أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الحافظ ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي حدثني يزيد النحوي أن عكرمة حدثه عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبت الناس كيلا فأنزل الله عز وجل [ويل للمطففين] فأحسنوا الكيل . وقال السدي قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة معه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر (تفسير ابن كثير والبغوي)

بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد ان اقتضى من الناس وإما بالنقصان ان قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين اذا اکتالوا على الناس) أي من الناس (يستوفون) أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد (واذا كالوهم أو وزنهم يخسرون) أي ينقصون، والاحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب، ومنهم من يجعلها ضميراً مؤكداً المستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه. وكلاهما متقارب وقد أمر الله تعالى بالوفا. في الكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل اذا كنتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلاً) وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يخسرون الناس في الميزان والمكيال

ثم قال متوعداً لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم) أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفرع جليل الخطب من من خسره فيه أدخل ناراً حامية

وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي يقومون حذاة عرافة غرلاً في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويفشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه قال الامام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقوم الناس لرب العالمين»

فأنزل الله هذه الآية فأراد الله تعالى جعل الويل للمطففين ثم بين ان المطففين من هم فقال ﴿الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون﴾ وأراد إذا اکتالوا من الناس أي أخذوا منهم ومن وعلى يتعاقبان، قال الزجاج المعنى إذا اکتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وأراد الذين إذا اشتروا لانفسهم استوفوا في الكيل والوزن ﴿وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون﴾ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم أي للناس يقال وزنك حقك وكنك طعامك أي وزنك وكنك كما يقال نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وكسيتك وكسيت لك، قال أبو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين يقف على كالوا أو وزنوا وينتدي. هم يخسرون، قال أبو عبيد والاختيار الاولى يعني ان كل واحد كلمة واحدة لانهم كتبوها بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكتب نالوا أو وزنوا بالالف كسائر الافعال مثل جاءوا وقالوا واتفقت المصاحف على إسقاط الالف ولانه يقال في اللغة كنك ووزنك كما يقال كنت لك ووزنت لك، وقوله [يخسرون] أي ينقصون قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله أوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى ان العرق ليجمعهم الى أنصاف آذانهم (ألا يظن) يستيقن (أولئك) الذين يفعلون ذلك (أنهم مبعوثون ليوم عظيم) يعني يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) أي لامره ولجزائه ولحسابه

حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه « رواه البخاري من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبد الله ابنا عمر ومحمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر به . ولفظ الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى ان العرق يلجم الرجال الى أنصاف آذانهم »

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن اسحاق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الاسود الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ومنهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يأخذه الى ركبته ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه لجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي امامة أن رسول الله ﷺ قال « تذنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منها الهوام كما تغلي القدور يعرفون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ الى كعبه ومنهم من يبلغ الى ساقيه ومنهم من يبلغ الى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا أبو عثانة حي بن يومر أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « تذنو الشمس من الارض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ الى نصف الساق ومنهم من يبلغ الى ركبته ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله ﷺ بشير يده هكذا - ومنهم من يغطي عرقه » وضرب بيده

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا ابراهيم بن المنذر أنا معن حدثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه الى أنصاف أذنيه »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني أنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود ثنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد عن جابر حدثني سليم بن عامر حدثني المقداد صاحب رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر

١٤٠ قيام الناس لرب العالمين ودنو الشمس من الرؤس وما ورد فيه (تفسير ابن كثير والبغوي)

إشارة انفرد به أحمد . وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عون الزياتي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لبشير الغفاري « كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير : المستعان الله ، قال « فاذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به

وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برحمهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة . رواهما ابن جرير

وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الخرازي عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل بكبر عشراً ويحمد عشراً ، ويسبح عشراً ، ويستغفر عشراً ويقول « اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني وتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة »

كلا إن كتبَ الفجار لفي سجين (٧) وما أدرك ما سجين (٨) كتب مرقوم (٩) ويل

يومئذ للمكذبين (١٠) الذين يكذبون بيوم الدين (١١) وما يكذب به إلا كل معتد أثيم

(١٢) إذا تلى عليه آيتنا قال أسطير الأولين (١٣) كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

يكسبون (١٤) كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (١٥) ثم إنهم لصالو الجحيم (١٦) ثم

يقال هذا الذي كنتم به تكذبون (١٧)

ميل أو ميلين « قال سليم لا أدري أي الميلى يعني مسافة الأرض أو الميل الذي تكحل به العين ، قال « فتصهرم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه إلى عقيبه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاماً » فرأيت رسول الله ﷺ وهو بشير بيده إلى فيه يقول « يلجمه إلجاماً »

قوله عز وجل « كلا » رذع أي ليس الأمر على ما هم عليه فليرتدعوا ونمام الكلام ههنا ، وقال

يقول تعالى حقا (ان كتاب الفجار لفي سجين) أي ان مصيرهم وماوهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسق وشرب وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون هي تحت الارض السابعة ، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافر اكتبوا كتابه في سجين وسجين هي تحت الارض السابعة . وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر في جهنم

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرأ لا يصح فقال : حدثنا اسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن سعيد ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « الفلق جب في وادي جهنم مغطى ، وأما سجين ففتوح »

والصحيح أن سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ماتسافل منها ضاق وكل ماتعالى منها انسع ، فان الافلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الارضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفل المطلق والحل الاضيق أي المركز في وسط الارض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى [ثم رددناه أسفل

الحسن كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا (ان كتاب الفجار) الذي يكتب فيه أعمالهم (اني سجين) قال عبد الله بن عمرو وقتادة ومجاهد والضحاك سجين هي الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق العلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى ابن محمد ثنا الحسن بن علي بن اسماعيل بن عيسى ثنا المسيب ثنا الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء قال قال رسول الله ﷺ « سجين أسفل سبع ارضين وعليون في السماء السابعة تحت العرش » وقال سمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرني عن قول الله عز وجل (ان كتاب الفجار لفي سجين) فقال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ، ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض أن تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين من تحت جند ابليس رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لمعرفة الهلاك لحساب يوم القيامة واليه ذهب سعيد بن جبير قال سجين تحت جند ابليس ، وقال عطاء الخراساني هي الارض السفلى وفيها ابليس وذريته ، وقال الكلبي هي صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء وخضرة السماء منها يجمل كتاب الفجار تحتها . وروى ابن أبي نجيع عن مجاهد أيضا قال سجين صخرة تحت الارض السفلى تغلب فيجعل كتاب الفجار فيها وقال وهب هي آخر سلطان

سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات [وقال ههنا] كلا إن كتاب الفجار لفي سجين * وما أدراك ما سجين [وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى] إذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا [

وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ما سجين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد. قاله محمد بن كعب القرظي

ثم قال تعالى ١ ويل يومئذ للمكذبين (أي إذا صاروا يوم القيامة إلى مأوئدهم الله من السجن والعذاب المبين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل فلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون بيوم الدين) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجازفة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر

وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الاولات كما قال تعالى [وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الاولين] وقال تعالى [وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تلى عليه بكرة وأصيلا] قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الامر كما زعموا ولا

ابليس ، وجاء في الحديث « الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب في جهنم مفتوح » وقال عكرمة انفي سجين أي لفي خسار وضلال ، وقال الاخفش هو فعيل من السجن كما يقال فسق وشرب معناه لفي حبس وضيق شديد ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ قال الزجاج أي ليس ذلك مما كنت تعلم أنت ولا قومك ﴿ كتاب مرقوم ﴾ ليس هذا تفسير السجين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله [إن كتاب الفجار] أي هو كتاب الفجار مرقوم أي مكتوب فيه أعمالهم مثبتة عليهم كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحي حتى يجازوا به ، وقال قتادة ومقاتل رقم عليه بشر كأنه أعلم بعلامته يعرف بها انه كافر وقيل مخنوم بلفظة حمير ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به إلا كل معتد أثيم * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين * كلا ﴿ قال مقاتل أي لا يؤمنون ثم استأنف فقال ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾

(سورة المطففين ٨٣ جزء ٣٠) كون الذنوب ثرين على القلوب وتغلب عليها حتى تميتها ١٤٣

كما قالوا ان هذا القرآن أساطير الاولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم
وانما حجب قلوبهم عن الايمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا
ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) والرين يعترى قلوب الكافرين
والغيم للأبرار والذين للمقر بين

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن
حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء
في قلبه فان تاب صقل قلبه وإن زاد زادت » فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون) وقال الترمذي حسن صحيح ولفظ النسائي « ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في
قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي
قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي
هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن المؤمن اذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع
واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن (كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال الحسن البصري هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت
وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم

وقوله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سبحانه ثم هم
يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخاتمتهم قال الامام ابو عبد الله الشافعي : وفي هذه الآية
دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ وهذا الذي قاله الامام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الصمد التبراني ثنا ابو محمد عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي
أنا ابراهيم بن خريم الشامي أنا ابو محمد عبد بن حميد الكسي ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان
عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان المؤمن اذا أذنب
كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه »
فذلك الران الذي ذكر الله في كتابه [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] وأصل الرين الغلبة
يقال رانت الخمر على عقله ترين رينا وربونا اذا غلبت عليه حتى سكر ، ومعنى الآية غلبت على قلوبهم
المعاصي وأحاطت بها ، قال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب ، قال ابن عباس ران
على قلوبهم طبع عليها « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » قال ابن عباس كلا يريد لا يصدقون
ثم استأنف فقال انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال بعضهم عن كرامته ورحمته ممنوعون ، وقال قتادة
هو أن لا ينظر اليهم ولا يزيكهم ، وقال أكثر المفسرين عن رؤيته ، قال الحسن لو علم الزاهدون

استدلال بمفهوم هذه الآية كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة

وقد قال ابن جرير حدثنا أبو يعمر المقرئ حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه وقوله تعالى (ثم أنهم لصالو الجحيم) أي ثم هم مع هذا الحرمان عن الرؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقير

كلا إن كتب الأبرار لفي عليين (١٨) وما أدريك ما عليون؟ (١٩) كتب مرقوم (٢٠)

يشهده المقربون (٢١) إن الأبرار لفي نعيم (٢٢) على الأرائك ينظرون (٢٣) تعرف في

وجوههم أنضرة النعيم (٢٤) يسقون من رحيق مختوم (٢٥) ختمه مسك وفي ذلك فليتنافس

المتنافسون (٢٦) ومزاجه من تسنيم (٢٧) عينا يشرب بها المقربون (٢٨)

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين. قال الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن بساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار، وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد أنها السماء السابعة، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) يعني الجنة

وفي رواية العوفي عنه أعمالهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك، وقال قتادة عليون ساق

والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا، قال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن توحيد حجبهم في الآخرة عن رؤيته، وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداء فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، وقال الشافعي رضي الله عنه في قوله [كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] دلالة على أن أولياء الله يرون الله عيانا، ثم أخبر أن الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال (ثم أنهم لصالو الجحيم) لداخلو النار (ثم يقال) أي تقول لهم الخزنة (هذا) أي هذا العذاب (الذي كنتم به تكذبون) كلا قال مقاتل لا يؤمن بالعذاب الذي بصلاء ثم بين محل كتاب الأبرار فقال (إن كتاب الأبرار لفي عليين) روي عن البراء مرفوعا «إن عليين في السماء السابعة تحت العرش» وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش

العرش العجيب ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو وكما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ، ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكداً لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل مماء مقربوها

ثم قال تعالى (ان الابرار لفي نعيم) أي يوم القيامة هم في نعيم مقبم وجنات فيها فضل عظيم على الارائك وهي السرر تحت الحجال ينظرون قبل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبلى وقيل معناه (على الارائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقال لما وصف به أولئك الفجار (كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أفذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر « ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة الف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وان أعلاه لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي تعرف إذا نظرت اليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم

وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أي يسقون من خمر من الجنة ، والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد

أعمالهم مكتوبة فيه . وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش العجيب وقال عطاء عن ابن عباس هو الجنة ، وقال الضحاك سدرة المنتهى وقال بعض أهل المعاني علو بعد علو وشرف بعد شرف ولذلك جمعت بالياء والنون وقل الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه مثل عشرين وثلاثين (وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) ليس هذا بتفسير عليين بل هو بيان الكتاب المذكور في قوله (ان كتاب الابرار لفي عليين) أي مكتوب أعمالهم كما ذكرنا في كتاب الفجار وقيل كتب هناك ما أعد الله لهم من الكرامة وهي معنى قول مقاتل وقيل رقم لهم بخبر ، وتقدير الآية على التقديم والتأخير مجازها إن كتاب الابرار كتاب مرقوم في عليين وهو محل الملائكة ومثله كتاب الفجار كتاب مرقوم في سبعين وهو محل ابليس وجنده (يشهده المقربون) يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين

(ان الابرار لفي نعيم * على الارائك ينظرون) إلى ما أعطاهم الله من الكرامة والنعمة وقال مقاتل ينظرون الى عدوم كيف يعذبون (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) اذا رأيتهم عرفت انهم من أهل النعمة مما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض قال الحسن النضرة في الوجه والسرور في القلب ، وقرأ أبو جعفر ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء على غير تسمية الفاعل نضرة رفع ، وقرأ الباقر بفتح التاء وكسر الراء نضرة نصب (يسقون من رحيق) خمر

قال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي المحاصر الطائي عن عطية بن سعيد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ قال «أيا مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على ظمأ سقاها الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيا مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيا مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة» وقال ابن مسعود في قوله (ختامه مسك) أي خلطه مسك، وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم بمسك، وكذا قال قتادة والضحاك، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن ابن سابط عن أبي الدرداء ختامه مسك قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجه لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ختامه مسك) قال طيبه مسك

وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي وفي مثل هذا الحال فليتناخر المتفاحرون وليتباهى ويكثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون)
وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا

صافية طيبة قال مقاتل الخمر البيضاء) مختوم) ختم ومنع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه الا برار قال مجاهد مختوم أي مطين) ختامه) أي طينه) مسك) كأنه ذهب إلى هذا المعنى قال ابن زيد ختامه عند الله مسك وختام الدنيا طين، وقال ابن مسعود مختوم أي مزوج ختامه أي آخر طعمه وعاقبته مسك فالمختوم الذي له ختام أي آخر وختم كل شيء الفراغ منه، وقال قتادة يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك وقراءة العامة ختامه مسك بتقديم التاء وقرأ الكسائي خاتمه وهي قراءة علي وعلقمة ومعناها واحد كما يقال فلان كريم الطابع والطابع، والخاتم والختم آخر كل شيء) (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل، وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) وقال مقاتل بن سليمان فليتنازع المتنازعون

وقال عطاء فليستبق المستبقون وأصله من الشبيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريد كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يفضن) ومزاجه من تسنيم) شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهواء متسنا فينصب في أواني أهل الجنة على قدر ماؤها فاذا امتلأت أمسك وهذا معنى قول قتادة وأصل كلمة السنام من العلو يقال للشيء المرتفع سنام ومنه سنام البعير قال الضحاك هو شراب اسمه تسنيم وهو أشرف من الشراب، قال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر أهل الجنة وهو قوله ومزاجه من تسنيم) عينا يشرب بها

(سورة المطففين ٨٣ جزء ٣٠) انكار الله على المجرمين ضحكهم واستهزاؤهم من المؤمنين ١٤٧

يشرب بها المقربون) أى يشربها المقربون صرفاً وتزج لأصحاب اليمين مزجاً قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (٢٩) وإذا مروا بهم يتغامزون (٣٠)
وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهم (٣١) وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون (٣٢) وما أرسلوا عليهم حفاظين (٣٣) فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (٣٤) على الآرائك ينظرون (٣٥) هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون (٣٦)

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أى يستهزئون بهم ويحتقرونهم ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أى يحتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهم) أى وإذا انقلب أى رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا اليها فكهم أى معها طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) أى لسكونهم على غير دينهم

قال الله تعالى (وما أرسلوا عليهم حفاظين) أى وما بعث هؤلاء المجرمون حفاظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كفوا بهم فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم كما قال تعالى (اخذوا فيها ولا تسكمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آتنا فاعفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين * فاتخذوهم سخرياً حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون * إني جزيتهم

المقربون) وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) عينا نصب على الحال يشربها أى منها وقيل يشربها المقربون صرفاً

قوله عز وجل (ان الذين أجرموا) أشركوا يعني كفار قريش أباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من مترفي مكة (كانوا من الذين آمنوا) عمار وخباب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين (يضحكون) وبهم يستهزئون (وإذا مروا بهم) يعني من المؤمنون بالكفار (يتغامزون) والغمز الإشارة بالجفن والحاجب أى يشيرون إليهم بالآعين استهزاء (وإذا انقلبوا) يعني الكفار (إلى أهلهم انقلبوا فكهم) معجبين بما هم فيه يتفكرون بذكرهم (وإذا رأوهم رأوا أصحاب النبي ﷺ) قالوا ان هؤلاء لضالون) يأتون محمداً ﷺ برون أنهم على شيء (وما أرسلوا) يعني المشركين (عليهم) يعني على المؤمنين (حفاظين) أعمالهم أى لم يوكلوا بحفظ

اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فاليوم) يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته وقوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون؟) أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا؟ يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله

﴿آخر تفسير سورة المطففين والله الحمد والمنة﴾

أعمالهم ﴿فاليوم﴾ يعني في الآخرة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ قال أبو صالح وذلك أنه يفتح للكفار في النار أبوابها ويقال لهم اخرجوا فإذا رأوها مفتوحة أقبلوا إليها ليخرجوا والمؤمنون ينظرون إليهم فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم بفعل بهم ذلك مراراً والمؤمنون يضحكون، وقال كعب بن الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوله كان في الدنيا اطلع عليه من تلك السكوى كما قال (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فإذا اطلعوا في الجنة إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار ضحكوا فذلك قوله عز وجل (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ﴿على الأرائك﴾ من الدر والياقوت ﴿ينظرون﴾ إليهم في النار
قال الله تعالى ﴿هل ثوب﴾ هل جوزي ﴿الكفار ما كانوا يفعلون﴾ أي جزاء استهزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستهزاء ههنا التقرب وثوب وأثاب بمعنى واحد



تفسير سورة الانشقاق وهي مكية

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به وقال البخاري حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفیان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أبوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في (إذا السماء انشقت) واقرا باسم ربك الذي خلق

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت (١) وأذنت لربها وحقت (٢) وإذا الأرض مدت (٣) وألقت ما فيها وتخلت (٤) وأذنت لربها وحقت (٥) يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحاً فليست فيه (٦) فأما من أوتي كتبه يمينه (٧) فسوف يحاسب حساباً يسيراً (٨) وينقلب إلى أهله مسروراً (٩) وأما من أوتي كتبه وراء ظهره (١٠) فسوف يدعو ثبوراً (١١) ويصلى سعيراً (١٢) انه كان في أهله مسروراً (١٣) انه ظن أن لن يحور (١٤) بلى ان ربه كان به بصيراً (١٥)

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أي استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الانشقاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أي وحق لها أن تطيع أمره لانه العظيم الذي لا يمانع ولا يقالب بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أي بسطت وفرشت ووسعت

﴿ سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا السماء انشقت ﴾ انشقاقها من علامات القيامة ﴿ وأذنت لربها ﴾ أي سمعت أمر ربها بالانشقاق وأطاعته من الاذن وهو الاستماع ﴿ وحقت ﴾ أي وحق لها أن تطيع ربها ﴿ وإذا الأرض

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاكلى حدثنا ابن نوير عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي ﷺ قال « اذا كان يوم القيامة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ماراه قبلها فأقول يارب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يارب عبادك عبدوك في أطراف الارض قال وهو المقام المحمود »

وقوله تعالى (وألقت مافيها ونخلت) أي ألقت مافي بطنها من الاموات ونخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحققت) كما تقدم . وقوله [يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا] أي إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا [فلاقه] ثم إنك ستلقى ما علمت من خير أو شر . وبشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ماشئت فانك ميت ، واحبب من شئت فانك مفارقة ، واعمل ماشئت فانك ملاقيه » ومن الناس من بعد الضمير على قوله ربك أي فلاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكلفك على سعيك ، وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا وقال قتادة (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا) ان كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحا في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله

ثم قال تعالى [فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا] أي سهلا بلا تعسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لاجمالة

وقال الامام أحمد : حدثنا اسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى

مدين (مد الاديم العكاظمي زيد في سعتها وقال مقاتل سويت كد الاديم فلا يبقى فيها بناء ولا جيل) (وألقت) أخرجت (مافيها) من الموتى والكنوز (ونخلت) خلت منها (وأذنت لربها وحققت) واختلفوا في جواب اذا ف قيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الأشياء . يرى الانسان تحقق الثواب والعقاب ، وقيل جوابه (يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا) وبجازه إذا السماء انشقت لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه وأذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ، ومعنى قوله كادح إلى ربك كدحا أي ساع إليه في عمله والكدح سعي الانسان وجهده في الامر من الخير والشر حتى يكدح ذلك فيه أي يؤثر . وقال قتادة والكلي والضحاك عامل لربك عملا (فلاقه) أي ملاقي جزاء . عملك خيرا كان أو شرا (فأما من أوتي كتابه) ديوان أعماله (بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا)

(فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ليس ذلك بالحساب ولكن ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السخيتاني به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « انه ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا معذبا » فقلت أليس الله يقول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ذاك العرض انه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على أصبعه كأنه ينكت ، وقد رواه أيضا عن عمرو بن علي عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صخرة به

قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا مسلم عن الحرث بن الخريت أخا الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب - أو من حوسب - عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يرأم

وقال أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا محمد بن اسحاق حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله ابن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه انه من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم وقوله تعالى (وينقلب الى أهله مسرورا) أي ويرجع الى أهله في الجنة ، قاله قتادة والضحاك . مسرورا أي فرحا مقتبضا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ انه قال « انكم تعملون أعمالا لا تعرف وبوشك الغائب أن يثوب الى أهله فسرور وبكظوم » وقوله تعالى (وأما من أوفى كتابه وراء ظهره) أي بشماله من وراء ظهره نثي يده الى ورائه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سعيد بن أبي مرجم أنا نافع عن ابن عمر حدثني ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وإن النبي ﷺ قال « من حوسب عذب » قالت عائشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله أوليس يقول الله عز وجل (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قالت فقال « إنما ذاك العرض ولكن من نوقش الحساب بهلك » (وينقلب إلى أهله) يعني في الجنة من الخور العين والآدميات (مسرورا) بما أوفى من الخير والكرامة (وأما من أوفى كتابه وراء ظهره) فتغل يده اليمنى إلى عنقه ونجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره ، وقال مجاهد تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) ينادى بالويل

ويعطى كتابه بها كذلك [فسوف يدعوا ثورا] أي خساراً وهلاكاً [ويصلي سعيماً] أنه كان في أهله مسروراً [أي فرحاً لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل] أنه ظن أن لن يحور [أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته . قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما . والحور هو الرجوع قال الله] بلى إن ربه كان به بصيراً [يعني بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه كان به بصيراً أي عالماً خبيراً]

فلا أقسم بالشفق (١٦) والليل وما وسق (١٧) والتمر إذا اتسق (١٨) لتركبن

طبقاً عن طبق (١٩) فالحلم لا يؤمنون (٢٠) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (٢١)

بل الذين كفروا يكذبون (٢٢) والله أعلم بما يُوعُونَ (٢٣) فبشرهم بعذاب أليم (٢٤) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون (٢٥)

روى عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد ابن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب

والهالك إذا قرأ كتابه يقول يا ويلاء يا ثوراء لقوله تعالى (دعوا هنالك ثوراً) ﴿ ويصلي سعيماً ﴾ قرأ أبو جعفر وأهل البصرة وعاصم وحمة ويصلي بفتح اليا خفيفاً كقوله (يصلي النار الكبرى) وقرأ الآخرون بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام كقوله (وتصلية جحيم - ثم الجحيم صلوه) ﴿ أنه كان في أهله مسروراً ﴾ يعني في الدنيا باتباع هواه وركوب شهواته ﴿ أنه ظن أن لن يحور ﴾ أنه إن يرجع إلينا ولن يبعث ثم قال ﴿ بلى ﴾ أي ليس كما ظن بل يحور إلينا ويبعث ﴿ أن ربه كان به بصيراً ﴾ من يوم خلقه إلى أن بعثه

قوله عز وجل ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ قال مجاهد هو النهار كله ، وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس ، وقال قوم هو البياض الذي يعقب تلك الحمرة ﴿ والليل وما وسق ﴾ أي جمع وضم يقال وسقته أسقه وسقا أي جمعه استوسقت الابل إذا اجتمعت وانضمت ، والمعنى والليل وما جمع وضم ما كان بالنهار منتشراً من الدواب وذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه ، روى منصور عن مجاهد قال مالف وضم وأظلم عليه ، وقال مقاتل ابن حيان ما أقبل من ظلمة أو كوكب ، وقال سعيد بن جبير وما عمل فيه ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ اجتمع واستوى وتم نوره وهو في الأيام البيض ، وقال قتادة استداروه وهو افتعل من الوسق الذي هو الجمع ﴿ لتركبن طبقاً عن طبق ﴾ قرأ أهل مكة وحمة والكسائي لتركبن بفتح اليا يعني

وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون أنهم قالوا: الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر عن ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض، فالشفق هو حمرة الافق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة

قال الخليل بن أحمد: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فإذا ذهب قيل غاب الشفق. وقال الجوهري: الشفق بقية ضوء الشمس وحمرة في أول الليل إلى قريب من الغمة، وكذا قال عكرمة: الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال «ووقت المغرب ما لم يغب الشفق» ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والخليل. ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفي رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس، رواها ابن أبي حاتم، وإنما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى [والليل وما وسق] أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام، وقال ابن جرير: أقسم الله بالنهار مديراً وبالليل مقبلاً. وقال ابن جرير: وقال آخرون الشفق اسم للحمرة، والبياض وقالوا هو من الاضداد

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة [وما وسق] وما جمع قال قتادة وما جمع عن نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر

* مستوسقات لو يجدن سائفا *

وقد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول ماسق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه وقوله تعالى [والقمر إذا انسق] قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد ابن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد [والقمر إذا انسق] إذا استوى. وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلأ. وقال قتادة إذا استدار. ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلاً ليل وما وسق. وقوله تعالى (لتر كبن طبعا عن طبق)

قال البخاري أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال: قال ابن عباس (لتر كبن طبعا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم ﷺ هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ

لتر كبن يا محمد قال الشعبي ومجاهد سماء بعد سماء، قال الكلبي يعني تصعد فيها، ويجوز أن يكون درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى والرفعة

أخبرنا عبد الواحد المايحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سعيد بن النضر أنا هشيم أنا أبو بشر عن مجاهد قال قال ابن عباس (لتر كبن طبعا عن طبق) حالا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ وقيل أراد به السماء تتغير لونها بعد لون فتصير تارة كالدهان وتارة كاللؤلؤ فتتشق بالغمام مرة ونطوى أخرى، وقرأ الآخرون بضم الباء. لأن المعنى بالناس أشبه

وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي ﷺ كأنه قال سمعت هذا من نبيكم ﷺ فيكون قوله نبيكم مرفوعاً على الفاعلية من قال وهو الاظهر والله أعلم كما قال أنس لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ

وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا ابو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتر كبن طبقاً عن طبق) قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالاً بعد حال هذا لفظه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقاً عن طبق حالاً بعد حال، وكذا قال عكرمة ومرة الطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد لتر كبن طبقاً عن طبق حالاً بعد حال قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعاً على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبراً والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال ابو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لتر كبن طبقاً عن طبق قال محمد بن يزيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتر كبن بفتح التاء والياء

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن امم ائيل عن الشعبي (لتر كبن طبقاً عن طبق) قال لتر كبن يا محمد سماء بعد سماء وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبي العالية (طبقاً عن طبق) سماء بعد سماء (قلت) يعنون ليلة الامراء؟ وقال أبو اسحاق عن السدي عن رجل عن ابن عباس (طبقاً عن طبق) منزلاً على منزل، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمراً بعد أمر وحالاً بعد حال، وقال السدي نفسه (لتر كبن طبقاً عن طبق) أعمال من قبلكم منزلاً بعد منزل قلت كأنه أراد معنى الحديث الصحيح «لتر كبن سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال «فمن؟» وهذا محتمل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله [لتر كبن طبقاً عن طبق] قال في كل عشرين سنة تحدثون أمراً لم تكونوا عليه وقال الاعمش حدثنا ابراهيم قال: قال عبد الله [لتر كبن طبقاً عن طبق] قال السماء تنشق ثم تمحمر ثم تكون لونا بعد لون، قال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود [طبقاً عن طبق] قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق

لانه ذكر من قبل من أوتي كتابه بيمينه وشماله وذكر من بعد (فما لهم لا يؤمنون) وأراد لتر كبن حالاً بعد حال وأمراً بعد أمر في موقف القيامة يعني الاحوال تتقلب بهم فيصيرون في الآخرة على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا، وعن بمعنى بعد، وقال مقاتل يعني الموت ثم الحياة ثم الموت ثم الحياة، وقال عطاء مرة فقبراً ومرة غنياً، وقال عمرو بن دينار عن ابن عباس يعني الشدائد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض، وقال عكرمة حالاً بعد حال، رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب

وروى البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركن طبقا عن طبق) يا محمد يعني حالا بعد حال ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أسرم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا في الدنيا فانضعوا في الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، فطيا بعد ما كان رضيها ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقر بعد غنى وصحة بعد سقم ، وسقم بعد صحة

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شهر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه ، اكتب أجله ، اكتب أثره ، اكتب شقيا أو سعيدا ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملك وجاء ملك الموت فقبض روحه فإذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملك القبر فامتحنه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانقشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحدا سائقا وآخر شبيدا ، ثم قال الله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) قال رسول الله ﷺ (لتركن طبقا عن طبق) قال حالا بعد حال ثم قال النبي ﷺ « إن قدامكم لأمرأ عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر واسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا . وقوله تعالى (فإلهم لا يؤمنون ؟) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون (أي فإذا يمنهم

ثم شيخ ، وقال أبو عبيدة لتركن سنن من كان قبلكم وأحوالهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد العزيز أنا أبو عمرو الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ « لتبعن سنن من كان قبلكم شهرا بشهر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » قيل يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فن ؟ » قوله عز وجل (فإلهم لا يؤمنون) استفهام انكار (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون)

من الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم اذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واکراما واحتراما

وقوله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أي من سجيبتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهد وقتادة يكتُمون في صدورهم (فبشرهم بعذاب اليم) أي فاخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا باليا

وقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعني لسكن الذين آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بحوارحهم لهم أجر أي في الدار الآخرة غير ممنون قال ابن عباس غير منقوص، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب، وحاصل قولها أنه غير مقطوع كما قال تعالى [عطاء غير مجذوذ] وقال السدي قال بعضهم غير ممنون غير منقوص، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الاخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فان الله عز وجل له المنّة على أهل الجنة في كل حال وأن لحظة وانما دخلوها بفضلهم ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنّة دائما سرمداً والحمد لله وحده أبداً ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ آخر تفسير سورة الانشقاق والله الحمد والمنّة وبه التوفيق والعصمة ﴾

قال الكلبي ومقاتل لا يصلون

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن عطاء بن مينا عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ باسم ربك - وإذا السماء انشقت

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد أنا معمر قال سمعت أبي قال حدثني بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد ، فقلت ما هذه ؟ قال سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ بالقرآن والبعث ﴿ والله أعلم بما يوعون ﴾ في صدورهم من التكذب، قال مجاهد يكتُمون ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴿ غير مقطوع ولا منقوص ﴾

تفسير سورة البروج وهي مكية

قال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبي سلمة حدثنا ابو المنهزم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسما ذات البروج والسما والطارق وقال احمد حدثنا ابو سعيد مولى بني هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسي سمعت أبا المنهزم يحدث عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء تفرد به أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

والسما ذات البروج (١) واليوم الموعود (٢) وشاهد ومشهود (٣) قتل أصحاب
الاحدود (٤) النار ذات الوعود (٥) اذ هم عليها قعود (٦) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود (٧) وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨) الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد (٩) ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم
عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (١٠)

يقسم تعالى بالسما وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السما بروجاً وجعل فيها سراجاً وقرراً منيراً) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي البروج النجوم ، وعن مجاهد أيضا البروج التي فيها الحرس وقال بجي بن رافع البروج قصور في السما ، وقال المنهال بن عمرو (والسما ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير انها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً وبسير

﴿ سورة البروج مكية وهي اثنتان وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والسما ذات البروج * واليوم الموعود ﴾ هو يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه ، فيه ساعة لا يوافقها

القمر في كل واحد منها يومين وثلاث فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستمر ليلتين وقوله تعالى (واليوم الموعود وشاهد ومشهود) اختلاف المفسرون في ذلك

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الفزري حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الانصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « واليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ولا يستعيز فيها من شر إلا أعاده ومشهود يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث ، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه

وقال الامام احمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة اما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبداً هريرة انه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة

وقال احمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية وشاهد ومشهود قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة ، وقد روي عن أبي هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك والله الحمد

ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضميم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة وان الشاهد يوم الجمعة وان المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا »

ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد

عبد مؤمن يدعو الله فيها بخير الا استجاب الله له ولا يستعذه من شيء إلا أعاده منه » وهذا قول ابن عباس ، والاكترون ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ، وروي عن ابن عمر الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر ، قال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة ، وروي يوسف بن مهران عن ابن عباس قال الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ثم تلا (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذاك يوم مشهود) وقال عبد العزيز بن يحيى الشاهد محمد ﷺ والمشهود الله عز وجل ، بيانه قوله [وجئنا بك على هؤلاء شهيدا]

وروي ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الشاهد آدم والمشهود يوم القيامة ، وقال عكرمة الشاهد

ابن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهد يوم عرفة وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب

ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ والمشهد يوم القيامة . ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن معيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلي ؛ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا يوم الذبح ويوم الجمعة فقال لا ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهد يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهد يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهد يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهد يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو زعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القنات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الانسان والمشهد يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي يحيى القنات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهد يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم الذبح ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهد ، قال ابن جرير وقال آخرون المشهد يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أذكروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة » وعن سعيد بن جبيرة

الانسان والمشهد يوم القيامة ، وعنه أيضا الشاهد الملك يشهد على ابن آدم والمشهد يوم القيامة ، وتلا [وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد - وذلك يوم مشهود] وقيل الشاهد الحفظة والمشهد بنو آدم وقال عطاء بن يسار الشاهد آدم وذريته والمشهد يوم القيامة ، وروى الوالبي عن ابن عباس الشاهد هو الله عز وجل والمشهد يوم القيامة ، وقال الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهد سائر الامة بيانه [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس] وقال سالم بن عبد الله سألت سعيد ابن جبيرة عن قوله وشاهد ومشهود فقال الشاهد هو الله والمشهد نحن بيانه (وكفى بالله شهيدا) وقيل الشاهد أعضاء ابن آدم والمشهد ابن آدم بيانه (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم) الآية وقيل الشاهد الانبياء والمشهد محمد ﷺ بيانه قوله (واخذ الله ميثاق النبيين - الى قوله -

الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن حكامه البغوي وقل الا كثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة

وقوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) أي لمن أصحاب الاخدود وجمعه أخاديد وهي الحفير في الارض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا الى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهرهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الارض اخدوداً وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقتلهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود * اذهبم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنون شهود) أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين

قال الله تعالى (وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذبجناه المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وان كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وان خفي سبب ذلك على كثير من الناس

ثم قال تعالى (الذي له ملك السموات والارض) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والارض وما فيهما (وما بينهما والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والارض ولا تخفى عليه خافية

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل نزوح المحارم فامتنع عليه علماءهم فعمد الى حفر اخدود فحذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم الى اليوم، وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فقلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فقلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الاخاديد واحرقوهم فيها، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشي وقال العوفي عن ابن عباس نبيهم (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات

فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (قتل أصحاب الاخدود) أي لمن والاخدود الشق المستطيل في الارض كالنهر وجمعه أخاديد واختلفوا فيهم

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي عبد الله بن سعدان الخطيب أخبرني أبو أحمد محمد بن أحمد بن محمد بن قریش بن نوح بن رستم ثنا أبو عبد الله محمد ابن ابراهيم البوشنجي ثنا هبة بن خالد ثنا حماد سلمة ثنا ثابت البناني عن عبيد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ان رسول الله ﷺ قال « كان ملك في اليمن فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث اليه غلاماً يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعده اليه وسمع كلامه فأعجبه وكان اذا أتى الساحر من الراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر

(الوقود) قال ناس من بني اسرائيل خسدوا اخدوداً في الارض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الاخدود رجالاً ونساء ففرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك ابن مزاحم وقيل غير ذلك

وقد قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال الملك إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأنى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربه وقالوا ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فيبيناهو ذات يوم إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر قال فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماعها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبلى فإن ابتليت فلا تدل علي ، فكان الغلام يبري الأكمة والابرس وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفني ولك ما هبنا أجمع ، فقال ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي ، فقال أنا ؟ قال لا ، ربي وربك الله قال ولك رب غيري ؟ قال نعم ربي

ضربه وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربه فشكا إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فيبيناهو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجراً ثم قال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأنى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي ، وكان الغلام يبري الأكمة والابرس ويدوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع به جليس للملك وكان قد همى فأتاه بهدايا كثيرة ، فقال ما هذا ؟ قال هذا لك أجمع إن انت شفيتني ، قال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله ، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله ، فأنى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك من رد عليك بصرك ؟ قال ربي عز وجل ، قال أولئك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على

وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أي بني بلغ من سحرِكَ أن تبيري. الاكه والابرس وهذه الادواء ؟ قال ما شفي أحدا انما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ؟ قال لا . قال أولك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأني بالراهب فقال ارجع عن دينك فأني فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للاعمى ارجع عن دينك فأني فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه الى الارض . وقال للغلام ارجع عن دينك فأني فبعث به مع نفر الى جبل كذا وكذا وقال اذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدهدوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدوها أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في قرقر فقال اذا لجئتم به البحر فان رجع عن دينه والا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله تعالى

ثم قال للملك : انك لست بقاتي حتى تفعل ما أمرك به فان أنت فعلت ما أمرك به قتلني وإلا فانك لاتستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي ثم قل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه وقال بسم الله رب الغلام فوق السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر فند والله نزل بك قد آمن الناس كلهم فأمر بأفواه السكك فخذت فيها الاخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقتلوه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكانها تقاعست أن تقم في النار فقال الصبي اصبري بأمامه فانك على الحق

الغلام فجاء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرِكَ ما تبيري به الاكه والابرس وتفعل كذا وتفعل كذا . قال إني لا أشفي أحدا انما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجاء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأني ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأني ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأني فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل . فقال اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فسقطوا ، فجاءمشي الى الملك فقال له الملك . ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله ، فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاهلوه في قرقر فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه وإلا فاقتلوه ، فذهبوا به فقال اللهم

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عثمان بن حماد بن سلمة . ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الامام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد ابن حميد - المعنى واحد - قالوا أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفطيه كأنه يتكلم فقليل له انك يا رسول الله اذا صليت العصر همست قال « ان نبيا من الانبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء . فأوحى الله اليه أن خيرهم بين أن انتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاخثاروا النعمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون الفا » قال وكان اذا حدث بهذا الحديث حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتمكن له فقال الكاهن انظروا لي غلاما فها أو قال فطنا فطنا فأعلمه علمي هذا ، فذكر القصة بتمامها وقال في آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الاخدود * النار ذات الوقود - حتى بلغ - العزيز الحيد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر انه أخرج في زمان عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذي حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم

وقد أورد محمد بن اسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها ان أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران

اكتفيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشي الى الملك . فقال له الملك ما فعل أصحابك . قال كفانيهم الله فقال للملك انك است بقائي حتى تفعل ما أمرك به . قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك ان فعلت ذلك قتلني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا . فأتى الملك فقبل له وأرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذر قد آمن الناس فأمر بالاخدود بافواه السكك فخذت وأضرم النيران . وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها أو قيل له اقتحم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فانك على الحق » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة

- ونجران هي القرية العظمى التي اليها جاع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيموت ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه قلوا نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعيده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخي انك ان تحملته أخشى ضعفك عنه والتامر ابو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى أقذاح فجمعها ثم لم يبق لله امّا يعلمه إلا كتبني قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أو قد ناراً ثم جعل يقدحها فيها قدحاً قدحاً حتى اذا مر بالاسم الاعظم قدح فيها بقدره فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الاعظم الذي قد كتبه فقال وما هو؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبت فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر اذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضرر إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلا؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعو الله له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحده ضرر إلا أنه فاتبه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لا مثان بك ، قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقي به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر انك والله

وذكر محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه ان رجلاً كان قد بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فسار اليه ذو نواس اليهودي بمنجوده من حمير وخيرم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخذ الاخاديد وأحرق ثني عشر الفأثم غلب أرباط على اليمن فخرج ذو نواس هارباً فاقبض البحر بفرسه ففرق ، قال الكلبي وذو نواس قتل عبد الله بن التامر ، وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبد الله بن التامر واضعاً يده على ضربة في رأسه إذا أميطت يده عنها انبعثت دماً وإذا ركت ارتدت مكانها ، وفي يده خاتم من حديد مكتوب فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان أعيدوا عليه الذي وجدتم عليه

وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان أبوه قد سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بداً من

لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت علي فقتلتني قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ثم ضربه بعضا في يده فشججه شجرة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الانجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران

قال ابن اسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر قاله أعلم أي ذلك كان ، قال فسار اليهم ذونواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختراروا القتل فخذ الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيوف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا في ذي نواس وجنده أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالؤمنين شهود * وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد

هكذا ذكر محمد بن اسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الاخدود هو ذونواس واسم مزرعة وبسمى في زمان مملكته يوسف وهو ابن بيان أسعد أبي كريب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه جبرين من يهود المدينة فكان يهود من يهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن اسحاق مبسوطا فقتل ذونواس في غداة واحدة في الاخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطرده وراه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قصر ملك الشام

طاعة أبيه فجعل يختلف إلى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر قريبا من معنى حديث صهيب إلى أن قال الغلام الملك أنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أقول لك قال فكيف أقفلك؟ قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فترميني بسهم باسم الهي ففعل الملك فقتله فقال الناس لا إله إلا الله إله عبد الله بن تامر لا دين الا دينه ، فغضب الملك وأغلق باب المدينة وأخذ افواه السكك وخذ اخدودا وملاء نارا ثم عرضهم رجلا رجلا فن رجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد الله بن تامر ألقاه في الاخدود فأحرقه وكان في مملكته امرأة أسلمت فيمن أسلم ولها اولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقينك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي عن دينك فأبت فألقى الثاني في النار ثم قال لها ارجعي فأخذوا منها الصبي ليلقوه في النار فهتت المرأة بالرجوع فقال الصبي يا أماء لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وألقيت أمه في أثره

وقال سعيد بن جبير وابن ابزي لما انهزم أهل اسفيدهار قال عمر بن الخطاب أي شيء يجري على الجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بلى قد كان

فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا
البن من أيدي اليهود وذهب ذو نواس هاربا فلجج في البحر ففرق واستمر ملك الحبشة في أيدي
النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحيري من أيدي النصارى لما استجاش بكري
ملك الفرس فأرسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم البن ورجع الملك إلى حمير
وسنذكر طرفا من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل

وقال ابن اسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن الثامر تحت دفن فيها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده فاذا أخذت يده عنها تنبعث دماً، واذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دماً وفي يده خاتم مكتوب فيه ربّي الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله حدثنا أبو بلال الأشعري حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطاً من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقتل له إن تحتها رجلاً حياً فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نقتل على أصحاب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبني الحائط فنبت (قلت) هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا مكة بعد ولد ثابت بن أمية بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض

لهم كتاب وكانت الحُر أحت لهم ففتاوها ملك من ملوكهم فقلبتهم على عقله فتناول أخته فوقم عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت وما الخرج منه؟ قالت المخرج منه أن تخطب الناس وتقول ان الله قد أحل نكاح الاخوات فاذا ذهب في الناس وتناسوه خطبتهم فخرمته فقام خطيبا فقال ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن به - هذا أو نقر به وما جاءنا به نبي ولا أنزل علينا فيه كتاب فبسط فيهم السوط فأبوا ان يقرؤا فجرد فيهم السيف فأبوا ان يقرؤا فخذ لهم أخدودا وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى ولم يبطعه قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله

وقال الضحاك أصحاب الاخدود من بني امرائيل أخذوا رجالا ونساء فخذوا لهم أخدودا
ثم أوقدوا فيها النيران فأقاموا المؤمنين عليها فقالوا أنكفروا أم نقذفكم في النار ، ويزعمون انه دانيال
وأصحابه وهذه رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقال ابو الطافيل عن علي رضي الله عنه كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه
ثم قرأ علي رضي الله عنه (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الآية) فذعاهم

هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم الى اليمن وهو القاتل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان اسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها، وما ذكره ابن اسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الهيثم أخبرنا صفوان بن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الاخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فأتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتونا وألقى فيها الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكتهم النار. وقال اسباط عن السدي في قوله تعالى (قتل أصحاب الاخدود) قال كانت الاخدود ثلاثة : خد بالعراق وخد بالشام ، وخد باليمن رواه ابن أبي حاتم

وعن مقاتل قال كانت الاخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي وأما التي بفارس فهو بختنصر، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فاما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهم قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران

فتابعه ناس فقاتلهم فقتل أصحابه فأخذوا وأوثقوا من أفلت منهم فخذوا اخدودا فلأوها نارا ، فن اتبع النبي رمي فيها ومن تابعهم تركوه فجاءوا بامرأة ومعها صبي رضيع فجزعت فقال الصبي يا أمه مري ولا تناقني ، وقال عكرمة كانوا من النبط أحرقوا بالنار

وقال مقاتل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس أما التي بالشام فهو انطيوخوس الرومي وأما التي بفارس فبختنصر وأما التي بأرض العرب فهو ذو نواس يوسف، فاما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران ، وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه في عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمقه حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وثمانون انسانا من بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذو نواس فخذ لهم في الارض وأوقد فيها نارا فعرضهم على الكفر فن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستقي حدثنا عبد الله بن جعفر عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى [قتل أصحاب الاخدود] قال سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلوا الى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاً، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل اليهم فأمرهم أن يعبدوا الاوثان التي اتخذوا وإنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخذ اخدوداً من نار وقال لهم الجبار ووقفهم عليها اختاروا هذه أو التي نحن فيه فقالوا هذه أحب الينا وفيهم نساء وذرية ففرغت الذرية فقالوا لهم أي آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الاخدود) النار ذات الوقود * اذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد) ورواه ابن جرير حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه وقوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة

أبي أن يكفر قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وان امرأة جاءت ومعه ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه اني أرى أمامك ناراً لا تطفأ فلما سمعت ذلك قذفا جميعاً أنفسهما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة قذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون الف انسان فذلك قوله عز وجل (قتل أصحاب الاخدود) (النار ذات الوقود) بدل من الاخدود وقال الربيع بن أنس نجى الله المؤمنين الذين ألقوا في النار بقبض أرواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم (اذ هم عليها قعود) أي عند النار جلوس يعذبون المؤمنين ، قال مجاهد كانوا قعوداً على الكرامى عند الاخدود (وهم) يعني الملك واصحابه الذين خدوا الاخدود (على ما يفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا الى دينهم (شهود) حضور وقال مقاتل يعني يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم (وما تقموا منهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كرهوا منهم (إلا أن يؤمنوا بالله) قال مقاتل ما عابوا منهم وقيل ما علموا فيهم عيباً ، قال الزجاج ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم بالله (العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء) من أفعالهم (شهيد * إن الذين فتنوا) عذبوا وحرقوا (المؤمنين والمؤمنات) يقال فنت الشيء أي أحرقته نظيره (يومهم

والضحاك وابن أزي (ثم لم يتوبوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكريم والوجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير (١١) إن بطش ربك لشديد (١٢) إنه هو يبيد ويُعيد (١٣) وهو الغفور الودود (١٤) ذو العرش المجيد (١٥) فعال لما يريد (١٦) هل أتاك حديث الجنود؟ (١٧) فرعون وثمود (١٨) بل الذين كفروا في تكذيب (١٩) والله من ورائهم محيط (٢٠) بل هو قرآن مجيد (٢١) في لوح محفوظ (٢٢)

ينجز تعالى عن عباده المؤمنين أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير)

ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي فانه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبيد ويُعيد) أي من قوته وقدرته النامة يبيد الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أي صاحب العرش

على النار يفتنون) (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين وقيل (ولهم عذاب الحريق) في الدنيا وذلك أن الله أحرقهم بالنار التي أحرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الأخدود، قاله الربيع بن أنس والكلبي، ثم ذكر ما أعد للمؤمنين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) واختلفوا في جواب القسم فقال بعضهم جوابه (قتل أصحاب الأخدود) يعني لقد قتل وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج، وقال قتادة جوابه (إن بطش ربك لشديد) قال ابن عباس إن أخذه بالمذاب إذا أخذ الظلمة لشديد كقوله (ان أخذه أليم شديد) (إنه هو يبيد ويُعيد) أي يخلفهم أولاً في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت (وهو الغفور) لذنوب المؤمنين (الودود) المحب لهم وقيل معناه المودود كالحلوب والركوب بمعنى المحلوب والمركوب، وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل المتودد إلى أوليائه بالمغفرة (ذو العرش المجيد) قرأ حمزة والكسائي المجيد بالجر

العظيم العالي على جميع الخلائق والمجيد فيه قراءتان الرفع على انه صفة للرب عز وجل والجر على انه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أي مها أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يستل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر اليك الطبيب؟ قال نعم، قالوا فما قال لك، قال قال لي إني فعال لما أريد

وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود؟ فرعون وعمود) أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردوها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً ألماً شديداً أخذ عزيز مقتدر

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود؟) فقام يستمع فقال «نعم قد جاءني»

وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) أي هم في شك وريب وكفر وعناد (والله من ورائهم محيط) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أي عظيم كريم (في لوح محفوظ) أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل

قال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي حدثنا قرعة بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز ابن صبيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) في جبهة إسماعيل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح إن أبا العباس هو عبد الرحمن

على صفة العرش أي السرير العظيم وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجد كما وصفه بالكرم فقال رب العرش الكريم، ومعناه الكمال والعرش أحسن الأشياء وأكملها، وقرأ الآخرون بالرفع على صفة ذو العرش (فعال لما يريد) لا يعجزه شيء، يريد به ولا يمتنع منه شيء، طلبه

قوله عز وجل (هل أتاك حديث الجنود؟) قد أتاك خبر الجوع الكافرة الذين تمجدوا على الانبياء ثم بين من هم فقال (فرعون وعمود بل الذين كفروا) من قومك يا محمد (في تكذيب) لك وللقرآن كدأب من قبلهم ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار (والله من ورائهم محيط) عالم بهم لا يخفى عليه شيء، من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن كان قبلهم (بل هو قرآن مجيد) كريم شريف كثير الخير ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة (في لوح محفوظ) قرأ نافع محفوظ بالرفع على نعت القرآن فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف قال الله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقرأ الآخرون بالجر على نعت اللوح وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظة من الشياطين ومن الزيادة فيه والنقصان

ابن سلمان قال: ما من شيء قضى الله القرآن فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوحة المحفوظ بين عيني اسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه، وقال الحسن البصري إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه.

وقد روى البغوي من طريق اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعدته واتبع رسوله أدخله الجنة قال والوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافته من الدر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك، وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا ابراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ايثار عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكتابه نور، لله في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، بخلق وبرزق ويميت وبحي وببعض وبذل ويفعل ما يشاء»

﴿آخر تفسير سورة البروج والله الحمد والمنة﴾

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشربجي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه أنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن بن علويه أنا اسماعيل بن عيسى ثنا اسحاق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعدته واتبع رسوله أدخله الجنة، قال والوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق الى المغرب وحافته الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه قديم وكل شيء فيه مستور وقيل أعلاه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك قال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش



تفسير سورة الطارق وهي مكية

قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته انا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصي حين أتاهم يبتغي عندهم النصر فسمعته يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتهما في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الاسلام قال فدعيتني ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقاً لا تبعناه

وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا ابو نعيم بن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ « أفنان أنت يا معاذ؟ ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها؟ »

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق (١) وما أدراك ما الطارق؟ (٢) النجم الثاقب (٣) إن كل نفس لآلٍ عليها حافظ (٤) فلينظر الانسان مم خلق (٥) خالق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب والترائب (٧) انه على رجعه لقادر (٨) يوم تبتلى السرائر (٩) فما له من قوة ولا ناصر (١٠) يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما سمي النجم طارقاً

﴿ سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والسماء والطارق ﴾ قال الكلبي نزلت في أبي طالب وذلك انه أتى النبي ﷺ فاتحفه بخبز ولبن فينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلاً ما ثم نارا ففرع أبو طالب وقال أي شيء هذا؟ فقال رسول الله ﷺ « هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله عز وجل » فعجب أبو طالب فأنزل الله عز وجل (والسماء والطارق) وهذا قسم والطارق النجم يظهر بالليل وما أنك ليلاً فهو طارق ﴿ وما أدراك ما الطارق ؟ ﴾ ثم فسره فقال ﴿ النجم الثاقب ﴾ أي المضيء المنير قال مجاهد المتوهج قال ابن زيد أراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه تقول العرب للطائر إذا لحق

لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح أنه أن يطرق الرجل أهله طروقاً أي يأتيهم فجأة بالليل ، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقاً بطرق بخير يارحم » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضي . وقال السدي يثقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضي . ومحرق للشيطان

وقوله تعالى [ان كل نفس لما عليها حافظ] أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى [له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله] وقوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق ؟) تنبيه للانسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له الى الاعتراف بالمعاد لان من قدر على البداية فهو قادر على الاعداء بطريق الاولى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)

وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منها الولد باذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس [يخرج من بين الصلب والترائب] صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيقا لا يكون الولد الا منها ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضعت يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تربية المرأة موضع الفلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الترائب بين الثديين ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي ، وقال سفيان الثوري فوق الثديين ، وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة

يبطن السماء ارتفاعا قد ثقب « ان كل نفس » جواب القسم « لما عليها حافظ » قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحزمة (لما) بالتشديد يعنون ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يجمعون لما بمنزلة إلا يقولون نشدتك الله لما قت أي الا قت وقرأ الآخرون بالتخفيف جعلوا ما صلة ، مجازة ان كل نفس عليها حافظ ، وتأويل الآية كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر ، قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقال الكلبي حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلي عنها « فلينظر الانسان مم خلق » أي فليتفكر من أي شيء خلقه ربه فلينظر نظر المتفكر ثم بين فقال « خلق من ماء دافق » مدفوق أي مصبوب في الرحم وهو المني فاعل بمعنى مفعول كقوله (عيشة راضية) والمدفق الصب وأراد ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وجعله واحدا لا متزاجهما « يخرج من بين الصلب والترائب » يعني صلب الرجل

أضلاع من هذا الجانب الأسفل ، وعن الضحاك الترائب بين الشديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حية المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره

وقوله تعالى [انه على رجعه لقادر] فيه قولان (أحدهما) على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما [والقول الثاني] انه على رجوع هذا الانسان المخلوق من ماء دافق أي اعادته وبعثه الى الدار الآخرة لقادر لان من قدر على البسادة قدر على الاعادة ، وقد ذكر عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ماموضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى [يوم تبلى السرائر] أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والممكنون مشهوراً ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدره فلان بن فلان »

وقوله تعالى [فإله] أي الانسان يوم القيامة [من قوة] أي في نفسه [ولا ناصر] أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

والسما ذات الرّجّع (١١) والارض ذات الصّدع (١٢) انه لقول فصل (١٣)

وترائب المرأة والترائب جمع التريبة وهي عظام الصدر والنحر ، قال ابن عباس هي موضع القلادة من الصدر وروى الوالي عنه بين ثديي المرأة وقال قتادة النحر وقال ابن زيد الصدر ﴿ انه على رجعه لقادر ﴾ قال مجاهد على رد النطفة في الاحليل وقال عكرمة على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقال الضحاك انه على رد الانسان ماء كما كان من قبل لقادر ، وقال مقاتل بن حيان ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة ، وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء لقادر حتى لا يخرج وقال تعالى ان الله على بعث الانسان واعادته بعد الموت قادر وهذا أولى الاقوال لقوله ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا قال قتادة ومقاتل تختبر قال عطاء بن أبي رباح السرائر فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاعتزال من الجنابة فانها سراير بين الله تعالى وبين العبد فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من اداها ممن ضيعها قال ابن عمر يبدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من اداها كان وجهه مشرقا ومن ضيعها كان وجهه أغبر ﴿ فإله من قوة ولا ناصر ﴾ أي ما لهذا الانسان المنكر للبعث من قوة يتمتع بها من عذاب الله ولا ناصر ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال ﴿ والسما ذات الرجّع ﴾ أي ذات المطر لانه يرجع كل عام

وما هو بالهزل (١٤) إنهم يكيدون كيداً (١٥) وأكيد كيداً (١٦) فهل الكافرين أمهلهم رويداً (١٧)

قال ابن عباس الرجم المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسما ذات الرجم) تمطر تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وملكوا مواشيهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقرها يأتين من هنا [والارض ذات الصدع] قال ابن عباس هو انصداءها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد وقوله تعالى (انه لقول فصل) قال ابن عباس حق وكذا قال قتادة وقال آخر حكم عدل (وما هو بالهزل) أي بل هو جد حق ، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال إنهم يكيدون كيداً (أي يكررون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن ، ثم قال تعالى (فهل الكافرين) أي أنظروهم ولا تعجل لهم (أمهلهم رويداً) أي قليلاً أي وسعري ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك] قال تعالى (نمتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)

﴿ آخر تفسير سورة الطارق والله الحمد والمنة ﴾

ويتكرر وقال ابن عباس هو السحاب يرجع بالمطر [والارض ذات الصدع] أي تنصدع وتنشق عن النبات والأشجار والأنهار ، وجواب القسم قوله ﴿ انه ﴾ يعني القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ حق وجد يفصل بين الحق والباطل ﴿ وما هو بالهزل ﴾ باللعب والباطل ثم أخبر عن مشركي مكة فقال ﴿ إنهم يكيدون كيداً ﴾ يخاتلون النبي ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه ﴿ وأكيد كيداً ﴾ وكيد الله استدراجهم إياهم من حيث لا يعلمون ﴿ فهل الكافرين ﴾ قال ابن عباس هذا وعيد من الله عز وجل لهم ﴿ أمهلهم رويداً ﴾ قليلاً ومعنى مهل وأمهل أنظر ولا تعجل فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف



تفسير سورة سبح وهى مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قال أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الاعلى) في سورة مثلها

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن نويرة بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الاعلى) تفرد به احمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها ، والليل اذا يغشى »

وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الاعلى وهل أناك حديث الفاشية ؟ وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعا . هكذا وقع في مسند الامام احمد اسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم بن النعمان بن بشير به ، قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسعر عن ابراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن ابراهيم عن أبيه حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه ، وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن ابراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة قاله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أناك حديث الفاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأها

وقد روى الامام احمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين . وهكذا روي هذا الحديث من طريق جابر وأبي امامة صدي بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولولا خشية الإطالة لاوردنا ما ينسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبح اسم ربك الاعلى (١) الذي خلق فسوًى (٢) والذي قدّر فهدى (٣) والذي
أخرج المرعى (٤) فجعله غثاءً أحوى (٥) سنقرئك فلا تنسى (٦) إلا ما شاء الله انه يعلم
الجرى وما يخفى (٧) ونيسرك لليسرى (٨) فذكرّك لأن نعمت الذكري (٩) سيذكركم من يخشى (١٠)
ويتجنبها الاشقى (١١) الذي يصلى النار الكبرى (١٢) ثم لا يموت فيها ولا يحيى (١٣)

قال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني ابن ابيوب العاقي حدثنا عبي اياس بن
عامر سمعت عقبه بن عامر الجبني لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ
« اجعلوه في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الاعلى) قال « اجعلوه في سجودكم » ورواه ابو داود
وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن ابيوب به
وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الاعلى) قال « سبحان ربي
الاعلى » وهكذا رواه ابو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه ابو وكيع
وشعبة عن ابي اسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفاً ، وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال
سمعت علياً قرأ (سبح اسم ربك الاعلى) فقال سبحان ربي الاعلى
وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن ابي اسحاق الهمداني أن ابن عباس

سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ يعني قل سبحان ربي الاعلى والى هذا ذهب جماعة من الصحابة والتابعين
أخبرنا احمد بن ابراهيم الشربجي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد
أنا احمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الله ثنا عبد الله بن عمر بن أبان ثنا وكيع عن اسرائيل عن
ابي اسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي ﷺ قرأ (سبح اسم ربك
الاعلى) فقال « سبحان ربي الاعلى » وقال قوم معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه به الملعدون وجعلوا
الاسم صلة ويحتج بهذا من يجعل الاسم والمسمى واحداً لان احداً لا يقول سبحان اسم الله وسبحان
« تفسير ابن كثير والبغوي » (٢٣) « الجزء التاسع »

كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربّي الأعلى وإذا قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فأتى على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانك وبلى، وقال قتادة سبح اسم ربك الأعلى ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال سبحان ربّي الأعلى وقوله تعالى (الذي خلق فسوى أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الميئات

وقوله تعالى (والذي قدر فهدى) قال مجاهد هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الانعام لمراتها وهذه الآية كقوله تعالى إخباراً عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي قدر قدراً وهدى الخلائق إليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»

وقوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي من جسيم صنوف النباتات والزرع (فجعله غثا أحوى) قال ابن عباس هشيأ متغيراً وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه

قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى أحوى أخضر إلى السواد فجعله غثاً بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملاً إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل وقوله تعالى (سنقرئك) أي يا محمد (فلا تنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه

اسم ربنا إنما يقولون سبحان الله وسبحان ربنا، وكان معنى سبح اسم ربك سبح ربك، وقال آخرون فزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية، وقال ابن عباس سبح أي صل بأمر ربك الأعلى (الذي خلق فسوى) قال السكبي خلق كل ذي روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقال الزجاج خلق الإنسان مستوياً ومعنى سوى عدل قامته (والذي قدر فهدى) قرأ الكسائي قدر بتخفيف الدال وشددها الآخرون وهما بمعنى واحد وقال مجاهد هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراتها، وقال مقاتل والسكبي قدر لكل شيء مسلكه فهدى عرفها كيف يأتي الذكر الاتى وقيل قدر الارزاق فهدى لا اكتساب الارزاق والمعاش وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى الإنسان لوجه استخراجها منها، وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداه للخروج من الرحم وقال الواسطي قدر السعادة والشقاوة عليهم ثم يسر لكل واحد من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر عليه (والذي أخرج المرعى) أنبت العشب وما ترعاه النعم من بين أخضر واصفر وأحمر وأبيض (فجعله) بعد الخضرة (غثاً) هشيأ بالياء كالغثاء الذي تراه فوق السبل (أحوى) أسود بعد الخضرة وذلك أن السكلاً إذا جف وييس أسود (سنقرئك) سنعملك بقراءة جبريل عليك (فلا تنسى) إلا ما شاء الله (أن تنساه وهو ما نسخ الله تلاوته من القرآن) كما قال

سيرة قرأة لا ينساها (إلا ما شاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله وقيل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أي لا تنسى ما نقرئك إلا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تنكره

وقوله تعالى (إنه يعلم الجهر وما يخفى) أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخفونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء. وقوله تعالى [وَنَسْرُكَ لِلْإِسْرَى] أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشر لك شرعاً سهلاً مستقيماً عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر

وقوله تعالى [فذكر أن نفع الذكرى] أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وقال حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ وقوله تعالى [سبذكر من يخشى] أي سبتعظ بما تبغى يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه [ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيا] أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لأن بسببها يشهر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الامام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان بن يحيى عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال:

قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحياون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعا فيأخذ الرجل الضبارة فيميتهم - أو قال - يمتون في نهر الحيا - أو قال الحيا - أو قال الحيوان - أو قال نهر الجنة - فيميتون نبات الجنة في حميل السيل» قال وقال النبي ﷺ «أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء؟» قال فقال بعضهم كأن النبي ﷺ كان بالبادية

(ما ننسخ من آية أو ننسها) والانساء نوع من النسخ وقال مجاهد والكوفي كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن ينساها فأنزل الله (سنقرئك فلا تنسى) فلم ينس بعد ذلك شيئاً (إنه يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منها والمعنى أنه يعلم السر والعلانية (وَنَسْرُكَ لِلْإِسْرَى) قال مقاتل نهون عليك عمل الجنة وهو معنى قول ابن عباس نيسرك لأن تعمل خيراً واليسرى عمل الخير وقيل نوفرلك للسريرة اليسرى وهي الخفية السمحة، وقيل هو متصل بالكلام الأول معناه أنه يعلم الجهر مما تقرأ على جبريل إذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقرأ في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى أي نهون عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه (فذكر) عظم بالقرآن (إن نفع الذكرى) الموعظة والتذكير والمعنى نفعته أو لم تنفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله (سراويل تقيكم الحر) وأراد الحر والبرد جميعاً (سبذكر) سبتعظ (من يخشى) الله عز وجل (ويتجنبها) أي يتجنب الذكرى ويتباعد عنها

وقال أحمد أيضاً حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن أبي يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو كما قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم فيميتهم إمانة حتى إذا صاروا فخماً أذن في الشفاعة فجني بهم ضبائر ضبائر فيثو على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» قال فقال رجل من القوم حينئذ كان رسول الله ﷺ كان بالبادية ورواه مسلم من حديث بشر بن الفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضاً عن يزيد عن سعيد بن إبسا الجري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إمانة حتى يصيروا فخماً ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرث عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل» وقد قال الله تعالى إخباراً عن أهل النار [ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ما تكونون] وقال تعالى [لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى

قد أفلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصل (١٥) بل تؤثرون الحياة الدنيا (١٦)

والآخرة خير وأبقى (١٧) إن هذا لفي الصحف الأولى (١٨) صحف إبراهيم وموسى (١٩) يقول تعالى [قد أفلح من تزكى] أي طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه [وذكر اسم ربه فصل] أي أقام الصلاة في أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتنالاً لشرع الله

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزري حدثنا عبي محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال [قد أفلح من تزكى] قال «من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الإنداد، وشهد أني رسول الله» [وذكر اسم

﴿الاشقي﴾ الشقي في علم الله ﴿الذي يصل النار الكبرى﴾ العظيمة والفضيلة لأنها أعظم وأشد حراً من نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحبس﴾ حياة تنفعه ﴿قد أفلح من تزكى﴾ تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله هذا قول عطاء وعكرمة ورواية الوالبي وسعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الحسن من كان عمله زاكياً وقال آخرون هو صدقة الفطر

روي عن أبي سعيد الخدري في قوله (قد أفلح من تزكى) قال أعطى صدقة الفطر ﴿وذكر اسم ربه فصل﴾ قال خرج إلى العيد فصلى صلاته وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الفداة يعني من يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فإن قلت نعم مضى إلى المصلى وإن قلت لا قال فالآن فخرج قائماً نزلت هذه الآية في هذا (قد أفلح من تزكى

ربه صلى [قال هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها] ثم قال لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس أن المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثني عمرو بن عبد الحميد الأيلي حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال دخلت على أبي العالية فقال لي إذا غدوت غداً إلى العيد فربي قال فررت به فقال هل طعمت شيئاً؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء؟ قلت نعم قال فأخبرني ما فعلت زكائك؟ قلت قد وجهتها قال إنما أردت لك لهذا ثم قرأ قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه صلى [وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء] قلت [وقد رويناه عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية] قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه صلى [وقال أبو الاحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدي صلاته زكاة فإن الله تعالى يقول] قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه صلى [وقال قتادة في هذه الآية] قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه صلى [زكى ماله وأرضى خلقه]

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أي تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصالحكم في معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فإن الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى وبهم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد

قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دريد عن أبي اسحاق عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ولها يجمع من لا عقل له » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفة

وذكر اسم ربه صلى (وهو قول أبي العالية وابن سيرين وقال بعضهم لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال الشيخ الامام محيي السنة رحمه الله يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم كما قال (وأنت حل بهذا البلد) فالسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام « أحلت لي ساعة من نهار » وكذلك نزل بمكة (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر بن الخطاب كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر ورأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » (وذكر اسم ربه صلى) أي وذكر ربه صلى وقيل لذكر تكبيرات العيد والصلاة صلاة العيد وقيل الصلاة ههنا الدعاء (بل تؤثرون) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء يعني الاثنين الذين ذكروا ، وقرأ الآخرون بالتاء دليله قراءة أبي بن كعب بل أنتم تؤثرون (الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) قال عرفة الأشجعي كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا أتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة ؟ قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشرابها

الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود (سبى اسم ربك الاعلى — فلما بلغ — بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لانا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فآخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل ، وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو اخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم

وقد قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا اسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخريه ، ومن أحب آخريه أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضاً عن أبي سلمة الخزازي عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا في الصحف الاولى * صحف ابراهيم وموسى)

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن علي حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) قال النبي ﷺ « كان كل هذا — أو كان هذا — في صحف ابراهيم وموسى » ثم قال لا نعلم أسند الثقة عن عطاء ابن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثنا آخر رواه مثل هذا

وقال النسائي أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن علي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبى اسم ربك الاعلى) قال كلها في صحف ابراهيم وموسى ، ولما نزلت (و ابراهيم الذي وفى) قال وفي ابراهيم [ألا نزر وازرة وزر أخرى] يعني أن هذه الآية كقوله تعالى في سورة النجم [أم لم ينبأ بما في صحف موسى و ابراهيم الذي وفى * ألا نزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى * وأن إلى ربك المنتهى] الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى (إن هذا في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) يقول الآيات التي في سبى اسم ربك الاعلى ، وقال أبو العالية قصة هذه

ونسأوها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فآخبرنا العاجل وتركنا الآجل (إن هذا) يعني ما ذكر من قوله (قد أفلح من نزل) إلى أربع آيات (في الصحف الاولى) أي الكتب الاولى التي أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح الميزكي والمصلي وإيثار الخالق الدنيا وان الآخرة خير وأبقى ثم بين الصحف فقال (صحف ابراهيم وموسى) قال عكرمة والسدي هذه السورة في صحف ابراهيم وموسى

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن أحمد بن مفضل الميداني ثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن كثير بن غفير ثنا يحيى بن أيوب عن يحيى بن سعيد عن

السورة في الصحف الاولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله [قد أفلح من زكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرن الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى] ثم قال تعالى (إن هذا) أي مضمون هذا الكلام (لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى) وهذا الذي اختاره حسن قوي وقد روي عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم

﴿ آخر تفسير سورة سبوح لله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

تفسير سورة الغاشية وهي مكية

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بسبح اسم ربك الاعلى والغاشية في صلاة العبد ويوم الجمعة وقال الامام مالك عن حمزة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله ﷺ يقرأ في الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . رواه أبو داود عن القعني والنسائي عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه عن حديث سفيان ابن عيينة عن حمزة بن سعيد به

بسم الله الرحمن الرحيم

هل أتاك حديث الغاشية ؟ (١) وجوه يومئذ خشعة (٢) عاملة ناصبة (٣) تصلى ناراً حامية (٤) تُسقى من عين آنية (٥) ليس لهم طعام إلا من ضريع (٦) لا يُسمَن ولا يغني من جوع (٧)

عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بهما بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون ، وفي الوتر بقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس

﴿ سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ هل أتاك حديث الغاشية ؟ ﴾ قد أتاك حديث القيامة نفشى كل شيء بالاهوال ﴿ وجوه يومئذ ﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لأنها نفثت الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية ؟) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءني »

وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة قاله قتادة ، وقال ابن عباس تخشم ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أي قد عملت عملاً كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حامية

قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا إبراهيم بن محمد المزكي حدثنا محمد بن اسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوني يقول مر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بدبر راهب قال فناداه ياراهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر إليه ويبكي فقبل له يأمر المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه [عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية] فذاك الذي أبكاني

وقال البخاري قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار بالعذاب والهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى ناراً حامية) أي حارة شديدة الحر (تسقى من عين آنية) أي قد انتهى حرها وغليانها ، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي

يعنى يوم القيامة (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) قال عطاء عن ابن عباس يعني الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة الاوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله منهم اجتهاداً في ضلالة يدخلون النار يوم القيامة وهو قول سعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومعنى النصب الدأب في العمل بالتعب

وقال عكرمة والسدي عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في الآخرة في النار ، وقال بعضهم عاملة في النار ناصبة فيها قال الحسن لم تعمل لله في الدنيا فأعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وبه قال قتادة وهي رواية العوفي عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما تخوض الابل في الوحل قال الكلبي يجررون على وجوههم في النار وقال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار والكلام خرج على الوجوه والمراد منها أصحابها (تصلى ناراً) قرأ أهل البصرة وأبو بكر تصلى بضم التاء اعتباراً بقوله (تسقى من عين آنية) وقرأ الآخرون بفتح التاء (حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تطلق على أعداء الله (تسقى من عين آنية) متناهية في الحرارة قد أوقدت عليها جهنم منذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشاً قال المفسرون لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت

وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس شجر من النار ، وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه في الربيع الشبرق وفي الصيف الضريع ، قال عكرمة وهو شجرة ذات شوك لا طئة بالأرض

وقال البخاري قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس سمي الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ، وقوله تعالى (لا يسمن ولا يغمي من جوع) يعني لا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور

وجوه يومئذ ناعمة (٨) لسميعها راضية (٩) في جنة عالية (١٠) لا تسمع فيها لغية

(١١) فيها عين جارية (١٢) فيها سرر مرفوعة (١٣) وأكواب موضوعة (١٤) ونمارق

مصفوفة (١٥) وزرايئ مبثوثة (١٦)

لما ذكر حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أي يوم القيامة (ناعمة) أي يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسميعها راضية) قد رضيت عملها

هذا شراهم ثم ذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال مجاهد وعكرمة وقتادة هو نبت ذو شوك لا طي . بالأرض تسميه قريش الشبرق فإذا هاج سموه الضريع وهو أخبث طعام وأبشعه وهو رواية العوفي عن ابن عباس قال الكلبي لا تقربه دابة إذا يبست قال ابن زيد أما في الدنيا فإن الضريع الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الآخرة شوك من نار

وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه « الضريع شي . في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حرا من النار » قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجبرزون النقص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة فلما أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله [وسقوا ماء حيا فقطع أمعاءهم] قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان إبلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً يسمى شبرقاً فإذا يبس لا يأكله شيء . فأنزل الله (لا يسمن ولا يغمي من جوع) ثم وصف أهل الجنة فقال (وجوه يومئذ ناعمة) قال مقاتل في نعمة وكرامة (لسميعها) في الدنيا (راضية) في

وقوله تعالى (في الجنة عالية) أي رفيعة بهية في الغرفات آمنون (لا تسمع فيها لاغية) أي لا تسمع في الجنة التي هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قليلا سلاسلًا) [فيها عين جارية] أي سارحة وهذه نكرة في سياق الإثبات وليس المراد بها عين واحدة وإنما هذا جنس يعني فيها عيون جاريات قال ابن أبي حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضميرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أنهار الجنة تفجر من تحت تلأل - أو من تحت جبال المسك » [فيها مرمر مرفوعة] أي عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك المرمر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعني أواني الشرب معدة موضوعة لمن أرادوها من أربابها (ومآرق مصفوفة) قال ابن عباس المآرق الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدي والثوري وغيرهم

وقوله تعالى (وزرابي مبثوثة) قال ابن عباس الزرابي البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ومعنى مبثوثة أي ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ، ونذكر ههنا هذا الحديث الذي رواه أبو بكر ابن أبي داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبي عن محمد بن ماهر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يئلا ، وريحانة تهز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، ونمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سليمة ، وفاكة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، في محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقي عن الوليد بن مسلم بن محمد بن ماهر به

أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ؟ (١٧) وإلى السماء كيف رفعت ؟ (١٨)

الآخرة حين أعطيت الجنة بعملها (في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية) لغوا وباطلا قرأ أهل مكة والبصرة لا يسمع بالياء وضمها لاغية رفع ، وقرأ نافع بالتاء وضمها لاغية رفع وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها لاغية بالنصب على الخطاب للنبي ﷺ (فيها عين جارية * فيها مرمر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكحلة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجيء أهلها فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها (وأكواب موضوعة) عندهم (ومآرق) وسائد ومرافق (مصفوفة) بعضها بجانب بعض وأحدثها تمرقة بضم النون (وزرابي) يعني البسط العربية قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل وأحدثها زربية (مبثوثة) مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس (أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت ؟) قال أهل التفسير لما نعت الله تعالى في هذه السورة ما في الجنة

وإلى الجبال كيف نُصبت (١٩) وإلى الارض كيف سُطحت (٢٠) فذكر إنما أنت مذكر (٢١) لست عليهم بمصيطر (٢٢) إلا من تولى وكفر (٢٣) فيعذبه الله العذاب الأكبر (٢٤) إن الينا إيلاهم (٢٥) ثم إن علينا حسابهم (٢٦)

يقول تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الله على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟) فلها خالق عجيب وتركيبها غريب فانها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها وبشرب لبنها ونهبوا بذلك لان العرب غالب دوابهم كانت الابل وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا حتى ننظر الى الابل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت ؟ أي كيف رفعها الله عز وجل عن الارض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أي جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية لئلا تميد الارض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن (وإلى الارض كيف سطحت ؟) أي كيف بسطت ومدت ومهدت ؟ فبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه والارض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الاله الذي لا يستحق العبادة سواء ، وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله ﷺ كما رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا هاشم ابن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهمينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن

عجب من ذلك أهل الكفر وكذبوه فذكر لهم الله تعالى صنعه فقال (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ؟) وكانت الابل أعظم عيش العرب لهم فيها منافع كثيرة فكما صنع لهم ذلك في الدنيا صنع لاهل الجنة فيها ما صنع ، وتكلمت الحكماء في وجه تخصيص الابل من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لانهم لم يروا بهيمة قط أعظم منها ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم ، وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة ، وقال قتادة ذكر الله ارتفاع سرر الجنة وفرشها فقالوا كيف نصعداها فأنزل الله هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل أعظم في الاعجوبة ؟ فقال أما الفيل فالعرب بعيدة العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحاب درها والابل من أعز مال العرب وأنفسها تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ، وقيل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ، وكان شريح القاضي يقول اخرجوا بنا إلى الكناسة حتى ننظر إلى الابل كيف خلقت ؟ (وإلى السماء كيف رفعت ؟) عن الارض حتى لا ينالها شيء . يغيرها (وإلى الجبال كيف نصبت ؟) على وجه الارض مرعاة لانزول (وإلى الارض كيف سطحت ؟)

شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد انه أتانا رسولك فزعم لنا انك زعم أن الله أرسلك قال «صدق» قال فمن خلق السماء؟ قال «الله» قال فمن خلق الارض؟ قال «الله» قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال «الله» قال فبالذي خلق السماء والارض ونصب هذه الجبال آله أرسلك؟ قال «نعم» قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليتنا قال «صدق» قال فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال «نعم» قال وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا قال «صدق» قال فبالذي أرسلك آله أمرك بهذا؟ قال «نعم» قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال «صدق» قال ثم ولي فقال والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبي ﷺ «ان صدق ليدخلن الجنة» وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به وعنه البخاري ورواه الترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به

ورواه الامام احمد والبخاري وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبري عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس به بطوله، وقال في آخره وأنا ضام ابن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله ﷺ كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها نرعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك؟ قالت الله قال فمن خلق أبي؟ قالت الله قال فمن خلقتني؟ قالت الله قال فمن خلق السماء قالت الله قال فمن خلق الارض قالت الله قال فمن خلق الجبل؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم؟ قالت الله قال فاني لا أسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يحدثنا هذا قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا في إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المديني ضعفه ولده الامام علي بن المديني وغيره وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به اليهم (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال [لست عليهم بمسيطر] قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما [لست عليهم بمجبار] أي لست تخلق الايمان في قلوبهم، وقال ابن زيد لست بالذي تكرهم على الايمان

قال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها

بسطت قال عطاء عن ابن عباس هل يقدر أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء أو ينصب مثل الجبال أو بسطح مثل الارض غيري؟ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) بسططت ففعلهم

وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ [فذكر انما أنت مذكر است عليهم بمسيطر] وهكذا رواه مسلم في كتاب الايمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية وقوله تعالى [إلا من تولى وكفر] أي تولى عن العمل باركانه وكفر بالحق بجهانه ولسانه وهذه كقوله تعالى [فلا صدق ولا صلى] ولكن كذب وتولى [ولهذا قال] فيعذبه الله العذاب الاكبر [قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد أن أبا امامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن آيتين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كل من يدخل الجنة إلا من شرد عن الله شراد البعير على أهله » تفرد باخراجه الامام احمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما هنا روى عن أبي امامة وعنه سعيد بن أبي هلال

وقوله تعالى [إن إلينا إيابهم] أي مرجعهم ومنقلبهم [ثم إن علينا حسابهم] أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها ان خيراً فخير وان شراً فشر

﴿ آخر تفسير سورة الفاشية والله الحمد والمنة ﴾

وتكرهم على الايمان نسختها آية القتال ﴿ إلا من تولى ﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى ﴿ وكفر ﴾ بعد التذكير ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ وهو أن يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر ﴿ إن إلينا إيابهم ﴾ رجوعهم بعد الموت يقال آب يؤب أو با وإياباء وقرأ أبو جعفر إيابهم بتشديد الياء وهو شاذ لم يحزه أحد غير الزجاج فانه قال يقال أيب إيابا على فعل فيعالا ﴿ ثم ان علينا حسابهم ﴾ يعني جزاءهم بعد المرجع الى الله عز وجل



تفسير سورة الفجر وهي مكية

قال النسائي أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرني يحيى بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذاً فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت أصلي معه فطول علي فأنصرفت وصليت في ناحية المسجد فعرفت ناقتي فقال رسول الله ﷺ «أفتأنا يا معاذ؟ أين أنت من سبع اسم ربك الأعلى - والشمس وضحاها - والفجر - والليل إذا يغشى»

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر (١) وليال عشر (٢) والشفع والوتر (٣) والليل إذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذي حجر؟ (٥) ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟ (٦) إرم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلد (٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩) وفرعون ذي الاوتاد (١٠) الذين طغوا في البلد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) إن ربك لبالمرصاد (١٤)

أما الفجر فعروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالي العشر، وقيل المراد بذلك الصلاة التي تنهل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً «ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام» يعني عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء» وقيل المراد بذلك العشر الأولى

﴿سورة الفجر مكية وهي ثلاثون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والفجر﴾ أقسم الله عز وجل بالفجر روى أبو صالح عن ابن عباس قال هو انفجار الصبح كل يوم وهو قول عكرمة وقال عطية عنه صلاة الصبح وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر

من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه الى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الاول من رمضان

والصحيح القول الاول . قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال « إن العشر عشر الاضحي ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر » ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله وكل منهما عن زيد ابن الحباب ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب ، وهذا اسناد رجاله لا بأس بهم وعندني أن المتن في رفعه نكارة والله أعلم

وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة ليكون التاسع وان الشفع يوم النحر ليكون العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً

﴿ قول ثان ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الاضحي

﴿ قول ثالث ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عامر بن ابراهيم الاصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا أثم عليه (والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا أثم عليه) وقال ابن جرير أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق . وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر

﴿ قول رابع ﴾ قال الحسن البصري وزيد بن أسلم الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بمخلقه وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الاول وقال العوفي عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

منه السنة وقال الضحاك فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر ﴿ وليال عشر ﴾ روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك والسدي والكلبي وقال أبو روق عن الضحاك هي العشر الاول من شهر رمضان وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال هي العشر الاواخر من شهر رمضان ، وقال يمان بن رباب هي العشر الاول من المحرم التي عاشرها يوم عاشوراء ﴿ والشفع والوتر ﴾ قرأ حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها ، واختلفوا في الشفع والوتر قيل الشفع الخلق قال الله تعالى (وخلقناكم أزواجاً) والوتر هو الله عز وجل روي ذلك عن أبي سعيد

﴿ قول خامس ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد والشفع والوتر قال الشفع الزوج والوتر الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والانثى وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شيء خلقه الله شفع، السماء والأرض والبر والبحر والجن والانس والشمس والقمر ونحو هذا ونحو مجاهد في هذا ما ذكره في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أي لتعلموا أن خالق الأزواج واحد

﴿ قول سادس ﴾ قال قتادة عن الحسن والشفع والوتر هو العدد منه شفع ومنه وتر ﴿ قول سابع في الآية الكريمة ﴾ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج، ثم قال ابن جرير وروى عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن أبي الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياش بن عتبة حدثني حر بن نعم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر التهجد من الليل

وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف وافظه خاص بالمكتوبة وقد روي متصلا مرفوعا إلى النبي ﷺ ولفظه عام

قال الامام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخنا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع في المسند، وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان

الحذري وهو قول عطية العوفي، وقال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله كما قال الله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) الكفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاء والليل والنهار والسماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس، والوتر هو الله

قال الله تعالى (قل هو الله أحد) قال الحسن وابن زيد الشفع والوتر الخلق كله منه شفع ومنه وتر وروى قتادة عن الحسن قال هو العدد منه شفع ومنه وتر، وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر وروى ذلك عن عمران بن حصين مرفوعا، وروى عطية عن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب، وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع يوم النفر الاول والوتر يوم النفر الاخير، روي أن رجلا سأله عن الشفع والوتر والقبلي العشر فقال، أما الشفع والوتر فقول الله عز وجل (فن تعجل

وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو بن علي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روي عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم

(قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبي شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ فذكره هكذا رأيته في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام

وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد بن أويس^(١) عن قتادة عن عمران ابن عصام عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال « هي الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبي أبو عمارة البصري إمام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي حمزة نصر بن عمران الضبي روى عنه قتادة وابنه أبو حمزة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقة وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلاً حظياً عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الراوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد ، وعندي أن وقفه على عمران ابن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر

وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفي عن ابن عباس أي إذا ذهب ، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضاً ، وقال مجاهد وأبو العالية وقاتدة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أي ذهب وباحتمل أن يكون المراد إذا سار أي أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله (والفجر) فإن

في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه) فهما الشفع والوتر ، وأما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقال مقاتل بن حيان الشفع الأيام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لأنها ثمان والوتر دركات النار لأنها سبع كأنه أقسم بالجنة والنار ، وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العز والقل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والحياة والموت ، والوتر انفرد صفات الله عز بلا ذل وقدره بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت (والليل إذا يسر) أي إذا سار وذهب كما قال (والليل إذا أدبر) وقال قتادة إذا جاء وأقبل وأراد كل ليلة وقال

الفجر هو اقبال النهار وادبار الليل فاذا حمل قوله (والليل اذا بسر) على اقباله كان قسما باقبال الليل وادبار النهار وبالعكس كقوله [والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس] وكذا قال الضحاك (والليل اذا بسر) أي بجري، وقال عكرمة (والليل اذا بسر) يعني ليلة جمع ليلة المزدلفة. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في قوله (والليل اذا بسر) قال اسر ياسار ولا تبينن الا بجمع وقوله تعالى (هل في ذلك قسم لذي حجر؟) أي لذي عقل وابو دين وحجى، وإنما سمي العقل حجراً لأنه يمنع الانسان من تعاطي مالا يليق به من الافعال والاقوال، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامي، ومنه حجر النمامة، وحجر الحاكم على فلان اذا منعه التصرف) ويقولون حجراً محجوراً كل هذا من قبيل واحد ومعنى متقارب، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أذراع القرب التي يتقرب بها اليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم

ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟) وهؤلاء كانوا متمردين عنة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبراً فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد؟ إرم ذات العباد؟) وهؤلاء عاد الاولى وهم ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح. قاله ابن اسحاق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هوداً عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأجابه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم ريح صرصر

مجاهد وعكرمة والكلبي هي ليلة المزدلفة، قرأ أهل الحجاز والبصرة يسري بالياء في الوصل ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء أيضاً والباقيون يحذفونها في الحالين، فمن حذف فلو فاقروا وس الآي ومن أثبت فلائها لام الفعل والفعل لا يحذف منه في الوقف نحو قوله هو يقضي وأنا أقضي وسئل الاخفش عن العلة في سقوط الياء فقال الليل لا يسري ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه بنحسه حقه من الاعراب كقوله (وما كانت أمك بغيا) ولم يقل بغية لانه صرف من باغية (هل في ذلك؟) أي فيما ذكرت (قسم؟) أي مقنع ومكتفى في القسم (لذي حجر؟) لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل ولا يحمل كما يسمى عقلاً لانه يعقله عن القبائح ونهى لانه ينهى عما لا ينبغي وأصل الحجر المنع، وجواب القسم قوله (ان ربك لبالمرصاد) واعترض بين القسم وجوابه قوله عز وجل (ألم تر؟) قال الفراء ألم تخبر وقال الزجاج ألم تعلم ومعناه التعجب (كيف فعل ربك بعاد إرم؟) يخوف أهل مكة يعني كيف أهلكهم وهم كانوا أطول أعماراً وأشد قوة من هؤلاء، واختلفوا في إرم فقال سعيد بن المسيب إرم (ذات العباد) دمشق وبه قال عكرمة وقال القرظي هي الاسكندرية وقال مجاهد

عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر الله قصتهم في القرآن في غير ماموضع ليعتبر بصرعهم المؤمنون فقوله تعالى (أرم ذات العماد) عطف ببيان زيادة تعريف بهم

وقوله تعالى [ذات العماد] لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي ترفع بالعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس في زمانهم خلقه وأقوام بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم الى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلا ، الله ولا تشوا في الارض مفسدين) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟) وقال ههنا [التي لم يخلق مثلها في البلاد] أي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم لقوتهم وشدهم وعظم تركيهم ، قال مجاهد إرم أمة قديمة يعني عادا الاولى قال قتادة بن دعامة والسدي ان إرم بيت مملكة عاد ، وهذا قول حسن جيد قوي

وقال مجاهد وقتادة والكلبي في قوله [ذات العماد] كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال العوفي عن ابن عباس انما قيل لهم ذات العماد اطولهم ، واختار الاول ابن جرير ورد الثاني فأصاب وقوله تعالى [التي لم يخلق مثلها في البلاد] أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدأ بالاحقاف لم يخلق مثلها في البلاد ، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في البلاد يعني في زمانهم ، وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التي لم يعمل مثلها في البلاد وانما قال (لم يخلق مثلها في البلاد)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن حدثه عن المقدم عن النبي ﷺ انه ذكر إرم ذات العماد فقال « كان الرجل منهم يأتي على الصخرة فيحملها على الحمي فيهلكهم » ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد الدبلي قال قرأت كتابا قد سمى حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد وأنا الذي شددت بذراعي نظر واحد وأنا الذي كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرج به إلا أمة محمد

هي ابيه وقبل معناها القديمة وقال قتادة ومقاتل هم قبيلة من عاد قال مقاتل كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم فسميهم اليه وهو ارم بن عاد بن سيم بن سام بن نوح ، وقال محمد بن اسحاق هو أجد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ، وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وعمود وأهل السواد وأهل الجزيرة كان يقال عاد ارم وعمود ارم فأهلك الله عادا ثم عمود وبقى أهل السواد والجزيرة وكانوا أهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا أهل جنان وزروع ومنازلهم بوادي القرى وهي التي يقول الله فيها (التي لم يخلق مثلها في البلاد)

ﷺ [قلت] فعلى كل قول سواء كانت العباد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم لبدو أو سلاحا يقاثلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون في القرآن في غير ما موضع المقرونون بشمود كما هبنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العباد) مدينة إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روي عن الفرطلي أو غيرهما ففيه نظر فإنه كيف يلتصم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العباد؟) أن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان؟ فإنه لا ينسق الكلام حينئذ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم. وإنما نهيت على ذلك لثلاث يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العباد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها وإن حصباها لآلي. وجواهر وتراها بنادق المسك وأنهارها سارحة وتمازها سافطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الأسرئيليين من وضع بعض زنادقهم ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك

وذكر الثعلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فبينما هو يتبعها في ابتغائها إذا طلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا. وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العباد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح اسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخيال فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمنحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت والآلي. والا كسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والاخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيان وبطونهم بهم، والذي يجزم به أن في الأرض دقات جاهلية وإسلامية وكنوزاً

وسموا ذات العباد لهذا لأنهم كانوا أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم سمو ذات العباد لطول قامتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العباد وقال مقاتل كان طول أحدهم اثني عشر ذراعا

وقوله (لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا (من أشد منا قوة؟) وقيل سمو ذات العباد لبنا. بناء بعضهم فشيدهم ورفعه يقال بناء شداد بن عاد

كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله، فأما على الصفة التي زعموها فكذب واقتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن قائلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وعود الذين جابوا الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخر بالوادي قال ابن عباس ينحتونها ويحرقونها وكذا قال مجاهد وقناة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتاني النار اذا خرقتها واجتنب الثوب اذا فتحه ومنه العيب أيضا وقال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر

ألا كل شيء ما خلا الله بائد كما باد حي من شنيف ومارد
هم ضربوا في كل صماء صعدة بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن اسحاق كانوا عربا وكان منزلهم بوادي القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الاعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذي الاوتاد) قال العوفي عن ابن عباس الاوتاد

على صفة لم يخاق في الدنيا مثله وسار اليه في قومه فلما كان منه على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى قومه صبيحة من السماء فأهلكتهم جميعا (وعود) أي وشمود (الذين جابوا الصخر) قطعوا الحجر واحدها صخره (بالواد) يعني وادي القرى كانوا يقطعون الجبال فيجعلون فيها بيوتا، وأثبت ابن كثير ويعقوب الباء في الوادي وصلا ووقفا على الاصل وأثبتها ورش وصلا والآخرون يحذفونها في الحالين على وفق رؤس الآتي (وفرعون ذي الاوتاد) سمي بذلك لانه كان يعذب الناس بالاوتاد وقد ذكرناه في سورة ص

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا ابن فنجدويه ثنا مخلد بن جعفر ثنا الحسن ابن علي بن اسماعيل بن عيسى ثنا إسحاق بن بشر عن ابن سمعان عن عطاء عن ابن عباس أن فرعون انما سمي ذا الاوتاد لانه كانت له امرأة وهي امرأة خازنه حزيل وكان مؤمنا كتم إيمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة تمشط بنت فرعون، فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من إله غير أبي؟ فقالت إلهي وإله أبيك وإله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت فدخلت على أبيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإله السموات والارض واحد لا شريك له، فأرسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفري بالله وأقري بأني إلهك قالت لا أفعل فدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى

الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي قال السدي كان يربط الرجل في كل قائمة من قوائمه في وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مطال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني عن أبي رافع قبل لفرعون ذي الأوتاد لانه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحي عظيمة حتى ماتت وقوله تعالى (الذين طغوا في البلاد * فاكثروا فيها الفساد) أي تمردوا وعموا وعاثوا في الأرض

فذبها على فيها وقال لها اكفري بالله وإلا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعاً فقالت لو ذبحت من على وجه الأرض على في ما كفرت بالله عز وجل فأني بابتها الصغرى فلما اضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً فقالت يا أماه لا تجزعي فإن الله قد بنى لك بيتاً في الجنة اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزيل فلم يقدر وأعليه قبيل لفرعون انه قد رثي في موضع كذا في جبل كذا وكذا فبعث رجلين في طلبه فانتبها اليه وهو يصلي ويليه صفوف من الوحش خلفه يصلون ولما رأيا ذلك انصرفا فقال حزيل اللهم انك تعلم أنني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد فأيا هذين الرجلين كتم علي فاهده إلى دينك وأعطه من الدنيا سؤله وأيا هذين الرجلين أظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة إلى النار فانصرف الرجلان إلى فرعون فأما أحدهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤس الملائكة قال له فرعون وهل كان معك غيرك؟ قال نعم فلان فدعا به فقال أحق ما يقول هذا؟ قال لا مارأيت مما قال شيئاً فأعطاه فرعون وأجزل وأما الآخرة قتله ثم صلبه . قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالمشطة فقالت وكيف بسعي أن أصبر على ما يأتي من فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فيبما هي كذلك تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها فقالت يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت إلى المشطة فقتلتها قال فاعمل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وإن الهي والهها والمهلك واله السموات والأرض واحد لا شريك له ففرق عليها ثيابها وضربها وأرسل إلى أبيها فدعاها فقال لها ألا تريان أن الجنون الذي كان بالمشطة أصابها؟ قالت أعوذ بالله من ذلك إني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والأرض واحد لا شريك له فقال أبوها يا آسية ألسنت من خير نساء العمالق وزوجك إله العمالق؟ قالت أعوذ بالله من ذلك إن كان ما تقول حقاً فقولاً له أن يتزوجني تاجاً تكون الشمس أمامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لها فرعون أخرجني ففداها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني

بالافساد والاذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أي أنزل عليهم رجلاً من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردوها عن القوم المجرمين

وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعني يرصد خلقه فيما يعملون ويجازي كلا بسعيه في الدنيا والاخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور

وقد ذكر ابن أبي حاتم هنا حديثاً غريباً جداً وفي اسناده نظر ، وفي صحته فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الخذاء عن أبي حمزة البيسانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أسير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو باذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محبته ، والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاهه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، ورببه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم يونس الخذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسناً أي لو كان من كلامه لكان حسناً

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبي نعيم عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الاولى فيقول (قوم إنهم مسؤولون) قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الامانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية الى الهوي في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

من القوم الظالمين فقبض الله روحها وأسكنها الجنة (الذين طغوا في البلاد) يعني عاداً ورموداً وفرعون عملوا في الارض بالمعاصي ونجبروا (فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب) قال قتادة يعني لونا من العذاب صبه عليهم قال أهل المعاني هذا على الاستعارة لان السوط عند غايه العذاب فجرى ذلك لكل نوع من العذاب قال الزجاج جعل سوطه النبي ضربهم به العذاب (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يعني بحيث يرى ويسمع ويبصر ما تقول وتفعل وتهجس به العباد قال الكلبي عليه طريق العباد لا يفوته أحد قال مقاتل ممر الناس عليه والمرصاد الطريق وقيل مرجع الخلق إلى حكمه وأمره واليه مصيرهم

فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرم من (١٥) وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهئن (١٦) كلابل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحضون على طعام المسكين (١٨) وتأكلون التراث أكلا لما (١٩) وتحبون المال حبا جما (٢٠)

يقول تعالى منكرآ على الانسان في اعتقاده اذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله اكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيحسبون انما نمدمهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر اذا ابتلاه وامتنعه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أي ليس الامر كما زعم لافي هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين اذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك واذا كان فقيراً بأن يصبر

وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالاكرام له كجاء في الحديث الذي رواه عبد الله ابن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه» ثم قال بأصبعه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا »

وقال الحسن وعكرمة يرصد أعمال بني آدم، والمعنى انه لا يفوته شيء من أعمال العباد كما لا يفوت من هو بالمرصاد وقال السدي أرصد الله النار على طريقهم حتى يهلكهم ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه﴾ امتحنه ﴿ربه﴾ بالنعمة ﴿فأكرمه﴾ بالمال ﴿ونعمه﴾ بما وسع عليه ﴿فيقول ربي اكرم من﴾ بما أعطاني ﴿وأما اذا ما ابتلاه﴾ بالفقر ﴿فقدر عليه رزقه﴾ قرأ ابو جعفر وابن عاصم فقدر بتشديد الدال وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان أي ضيق عليه رزقه وقيل قدر بمعنى قتر وأعطاه قدر ما يكفيه ﴿فيقول ربي أهائن﴾ أذلني بالفقر وهذا يعني به الكافر تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ في الدنيا وقلته، قال الكلبي ومقاتل نزلت في أمية بن خلف الجمحي الكافر فرد الله على من ظن أن سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال ﴿كلا﴾ لم أبتله بالغنى لكرامته ولم أبتله بالفقر لهوانه فأخبر أن الاكرام والاهانة لا تدور على المال وسعة الرزق ولسكن الفقر والغنى بتقديره فيوسم على الكافر لا لكرامته ويقدر على المؤمن لهوانه انما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته، قرأ أهل الحجاز والبصرة أكرمني وأهائنني بآيات الباء في الوصل وبقف ابن كثير ويعقوب بالياء والآخرون يحذفونها وصلوا ووقفوا ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ قرأ أهل البصرة يكرمون ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء فيهن . وقرأ

وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصابعه الوسطى والتي تلي الإبهام (ولا نحاضون على طعام المسكين) يعني لا يأمرؤن بالاحسان إلى الفقراء والمساكين ويبحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون التراث) يعني الميراث (أكلا لما) أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا

كلا إذا دَكَتِ الارض دَكًا دَكًا (٢١) وجاء ربك والملك صفاً صفاً (٢٢) وجيء

يومئذ بهم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (٢٣) يقول يلىتنى قدمت لحياتي (٢٤)

فيومئذ لا يعذب عذابه أحد (٢٥) ولا يوثق وثاقه أحد (٢٦) يا أيَّتُها النفس المطمئنة (٢٧)

ارجعي إلى ربك راضية مرضية (٢٨) فادخلي في عبادي (٢٩) وادخلي جنتي (٣٠)

ينحدر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأحوال العظيمة فقال تعالى [كلا] أي حقاً [اذا دكت الارض دكا دكا] أي وطئت ومهدت وسويت الارض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لهم [وجاء ربك] يعني لفصل القضاء بين خلقه ، وذلك بعد ما يستشفعون اليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون أولي العزم من الرسل واحداً بعد واحداً فكلمهم يقول لست بصاحب ذاك حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى في أن

الآخرين بالناء لا نكرمون اليتيم لا نحسنون اليه وقيل لا نعطونه حقه ، قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه « ولا نحاضون على طعام المسكين » أي لا تأمرؤن باطعامه وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها أي لا يحض بعضهم بعضاً عليه « وتأكلون التراث » أي الميراث « أكلا لما » شديداً يأكل نصيبه ونصيب غيره ، وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم ، قال ابن زيد الأكل الم الذي يأكل كل شيء بمجده لا يسأل عنه أحلال هو أم حرام ويأكل الذي له ولغيره يقال لممت ماعلى الخوان اذا أتيت ما عليه فأكلته « وتحبون المال حبا جما » أي كثيرا يعني يحبون جمع المال ويولعون به يقال جمع للمال في الخوض إذا كثرت واجتمع « كلا » ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر وقال مقاتل أي لا يفعلون ما أمروا به من إكram اليتيم وإطعام المسكين ، ثم أخبر عن تلذذهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من قائل « إذا دكت الارض دكا دكا » مرة بعد مرة وكسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر فلم يبق على ظهرها شيء « وجاء ربك » قال الحسن جاء أمره وقضاؤه وقال الكلبي ينزل حكمه « والملك »

يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان فيجزي الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا وقوله تعالى (وجي يومئذ بهم) قال الامام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن العلاء بن خالده الكاهلي عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبي عامر عن سفیان الثوري عن العلاء بن خالده عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن خالده عن شقيق عن عبد الله قوله

وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الانسان) أي عمله وما كان أسلمه في قديم دهره وحديثه (وأنى له الذكرى) أي وكيف تنفعه الذكرى؟ (يقول يا ليتني قدمت لحياتي) يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيا وبود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحاق حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحفره يوم القيامة ولود أنه رد إلى الدنيا كما يزداد من الاجر والثواب. قال الله تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أي ليس أحد أشد عذاباً من تعذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أي وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربه عز وجل وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين، فأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق

صفًا صفًا قال عطاء يريد صفوف الملائكة وأهل كل سما. صف على حدة ، قال الضحاك أهل كل سما. إذا نزلوا يوم القيامة كانوا أصفًا مختلطين بالأرض ومن فيهافيكون سبع صفوف (وجي يومئذ بهم) قال عبد الله ابن مسعود ومقاتل في هذه الآية تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك لها نقيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش (يومئذ) يعني يوم يجاء بهم (يتذكر الانسان) يتعظ ويتوب الكافر (وأنى له الذكرى) قال الزجاج يظهر التوبة ومن أين له التوبة (يقول يا ليتني قدمت لحياتي) أي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في الآخرة أي لا خرفني التي لاموت فيها (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) قرأ الكسائي ويعقوب لا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثاء على معنى لا يعذب أحد في الدنيا كهذاب الله يومئذ ولا يوثق كوثاقه يومئذ، وقيل هو رجل بعينه وهو أمية بن خلف يعني لا يعذب كهذاب هذا الكافر أحد ولا يوثق كوثاقه أحد، وقرأ الآخرون بكسر الذال والثاء أي لا يعذب أحد في الدنيا كهذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق كوثاقه أحد يعني لا يبلغ أحد من الخلق كبلاغ الله في العذاب والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاعلال

فيقال لها [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك] أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته (راضية) أي في نفسها [مرضية] أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها [فادخلي في عبادي] أي في جملتهم [وادخلي جنتي] وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان بن عفان ، وعن بريدة بن الحصيب نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه . وقال العوفي عن ابن عباس يقال للارواح المطمئنة يوم القيامة (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك) يعني صاحبك وهو بدنك الذي كانت تعمرك في الدنيا راضية مرضية . وروى عنه أنه كان يقرأها (فادخلي في عبادي) وادخلي جنتي) وكذا قال عكرمة والكلبي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) وان مردنا إلى الله) أي إلى حكمه والوقوف بين يديه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدستقي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال « أما إنه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن بمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي ﷺ (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضي الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن بمان به وهذا مرسل حسن

قوله عز وجل (يا أيتها النفس المطمئنة) إلى ما رعد الله المصدقة بما قال الله قال مجاهد المطمئنة التي أيقنت أن الله تعالى ربها وصبرت خاشعة لأمره وطاعته وقال الحسن المؤمنة الموقنة ، وقال عطية الراضية بقضاء الله تعالى ، وقال الكلبي الآمنة من عذاب الله ، وقيل المطمئنة بذكر الله بيانه قوله (ونطمئن قلوبهم بذكر الله) واختلفوا في وقت هذه المقالة فقال قوم يقال لها ذلك عند الموت فيقال لها (ارجعي إلى ربك) إلى الله (راضية) بالثواب (مرضية) عنك ، وقال الحسن إذا أراد الله قبضها طمأننت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها قال عبد الله بن عمرو إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وربك ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا يملك الا صلى عليها حتى يؤتي بها الرحمن فتسجد ثم يقال لي كائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسم عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ له الزيجان وإن كان معه شيء من القرآن كفاء نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهل إليه ، وإذا توفي الكافر أرسل

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ورواه الطبراني عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الافطس به فذكره

وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أمرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ثم غاص في الماء ، قال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا

(١) وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بن أبي عمرو والوزاعي عن أبيه أحمد بن سليمان بن حبيب المحاربي حدثني أبو امامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلفائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبرانه قال حديث رواحة هذا واحد أمه ﴿ آخر تفسير سورة الفجر والله الحمد والمنة ﴾

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

الله اليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال يا أيها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك غضبان وقال ابو صالح في قوله (ارجعي الى ربك راضية مرضية) قال هذا عند خروجها من الدنيا فاذا كان يوم القيامة قيل (ادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وقال آخرون انما يقال لها ذلك عند البعث [ارجعي الى ربك] أي الى صاحبك وجسدك فيأمر الله الارواح أن ترجع الى الاجساد، وهذا قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس ، وقال الحسن معناه ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما أعد لها مرضية رضي عنها ربها ﴿ فادخلي في عبادي ﴾ أي مع عبادي جنتي وقيل في جملة عبادي الصالحين المطيعين المصطفين ، نظيره [وادخلي برحمتك في عبادك الصالحين] ﴿ وادخلي جنتي ﴾ وقال بعض أهل الإشارة يا أيها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى الله بتركها والرجوع الى الله هو سلوك سبيل الآخرة . وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم يخرج منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم ندر من قرأها (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

تفسير سورة البلد وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بهذا البلد (١) وأنت حل بهذا البلد (٢) ووالدي وما ولد (٣) لقد خلقنا الإنسان في كبد (٤) أئحسب أن لن يقدر عليه أحد؟ (٥) يقول أهلكت مالا لبداً (٦) أئحسب أن لم يره أحد (٧) ألم نجعل له عينين؟ (٨) ولساناً وشفقتين؟ (٩) وهدينه النجدين (١٠)

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً لينبه على عظمة قدرها في حال احرام أهلها ، قال خصيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لا رد عليهم أقسم بهذا البلد ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يا محمد بحل لك أن تقا تل به ، وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد ، وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك ، وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا اثم ، وقال الحسن البصري أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذي قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته « إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا بعضه شجره ولا بخله خلاه ، وإنما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفي لفظ آخر « فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا ان الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم »

(سورة البلد مكية وهي عشرون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا أقسم) يعني أقسم (بهذا البلد) يعني مكة (وأنت حل) أي حلال (بهذا البلد) تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس فيه من الأثم أحل الله لنبيه ﷺ مكة يوم الفتح حتى قاتل وقتل وأمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأنتار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرها فأحل دماء قوم وحرمة دماء قوم فقال « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ثم قال - ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم يحل لاحد قبلي ولا يحل لاحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما أقسم بمكة دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها فوعد نبيه ﷺ انه يحلها له حتى يقاتل فيها وأن يفتحها على يده فهذا وعد من الله عز وجل

وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذي يلد وما ولد العاقر الذي لا يولد له ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذي يلد . رواه ابن أبي حاتم

وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثوري وسعيد بن جبير والسدي والحسن البصري وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعني بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذي ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوي لأنه تعالى لما أقسم بأُم القرى وهي المساكن أقسم بعده بالمساكن وهو آدم أبو البشر وولده ، وقال أبو عمران الجوني هو ابراهيم وذريته رواه ابن جرير وابن أبي حاتم واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضاً وقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وابراهيم النخعي وخيثمة والضحاك وغيرهم يعني منتصباً زاد ابن عباس في رواية عنه منتصباً في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سوياً مستقيماً كقوله تعالى (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجيع وحريج وعطاء عن ابن عباس في كبد قال في شدة خلق ألم تراليه وذ كرمولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نقطة ثم علقته ثم مضغة تنكيداً في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الانسان في كبد) في شدة وطلب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أنا جعفر الباقر سأل رجلاً من الانصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروي من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا

بأن يحلها له ، قال شرحبيل بن سعد ومعنى قوله (وأنت حل بهذا البلد) قال يحرمون ان يقتلوا بها صيداً ويستحلون اخراجك وقتلك (ووالد وما ولد) يعني آدم عليه السلام وذريته (لقد خلقنا الانسان في كبد) روى الوالي عن ابن عباس في نصب . قال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة . وقال قتادة في مشقة فلا تلقاه إلا يكابد أمر الدنيا ، وقال سعيد بن جبير في شدة ، وقال عطاء عن ابن عباس في شدة خلق : حمله وولادته ورضاعه وفضاله ومعاشه وحياته وموته ، وقال عمرو بن دينار عند نبات أسنانه ، قال يمان لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق ، وأصل الكبد الشدة وقال مجاهد وعكرمة وعطية والضحاك يعني منتصباً معتدلاً القائمة وكل شيء خلق فانه يمشي مكباً وهي رواية مقسمة عن ابن عباس والكبد الاستواء والاستقامة

الانسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من آخره وفي رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الانسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمي ذلك الكبد واختار ابن جرير ان المراد بذلك مكابدة الامور ومشاقها وقوله تعالى (أبحسب أن لن بقدر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أبحسب أن لن بقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أبحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم بظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه، وقال السدي (أبحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عز وجل، وقوله تعالى (يقول أهلك ما لا لبدا) أي يقول ابن آدم أنفقت مالا لبدا أي كثير اقاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم (أبحسب أن لم يره أحد) قال مجاهد أي أبحسب أن لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف

وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما ولسانا أي ينطق به فيعبر عما في ضميره وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه

(١) وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الريح الدمشقي عن مكحول قال قال النبي ﷺ يقول الله تعالى «يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعماء عظيمة لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك الى ما أحلت لك وإن رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما، وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرك وأحلت لك فأن عرض عليك ما حرمت عليك فاعلق عليك لسانك، وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصحب بفرجك ما أحلت لك فأن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك، ابن آدم أنك لا تحمل سمخطي ولا تطيق انتقامي»

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وقال ابن كيسان منتصبا رأسه في بطن امه فاذا أذن الله في خروجه انقلب رأسه إلى رجلي امه وقال مقاتل في كبد أي في قوة، نزلت في أبي الاشدين واسمه أسيد بن كادة الجمحي وكان شديدا قويا بضع الأديم العكاظي تحت قدميه فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فلا بطاق أن ينزع من تحت قدميه الا قطعاه ويبقى موضع قدميه (أبحسب) يعني أبا الاشدين من قومه (أن لن يقدر عليه أحد) أي بظن من شدته أن لن يقدر عليه الله تعالى، وقيل هو الوليد بن المغيرة (يقول أهلك) يعني أنفقت (مالا لبدا) أي كثيرا بعضه على بعض من التلبيد في عداوة محمد ﷺ قرأ أبو جعفر لبدا بتشديد الباء على جمع لا بد مثل راكم وركم، وقرأ الآخرون بالتخفيف على جمع لبدة وقيل على الواحد مثل قثم وحطم (أبحسب أن لم يره أحد) قال سعيد بن جبير وقاتدة أبظن أن الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله أنفقت كذا وكذا ولم يكن أنفق جميع ما قال يقول أبظن أن الله عز وجل لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته، ثم ذكر نعمه ليعتبر فقال (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين) قال قتادة نعم الله متظاهاه يقرر كها كما تشكر وجاء في الحديث ان الله عز وجل يقول «ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد

٢٠٨ انكار الله على المتمردين الطغاة من خلقه وبيان عجزهم (تفسير ابن كثير والبغوي)

(وهديناه النجدين) الطريقين قال سنيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الخير والشر وكذا روي عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ «هاتجندان فاجعل نجاد الشر أحب اليكم من نجاد الخير» تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث، وقال أحمد تركت حديثه لاضطراره وروى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ما أعرف منها حديثا واحدا، يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول «يا أيها الناس إنهما النجدان نجاد الخير ونجاد الشر فاجعل نجاد الشر أحب اليكم من نجاد الخير» وكذا رواه حبيب بن الشهيد وأبو معمر ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلًا وهكذا أرسله قتادة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عاصم الانصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال النديين وروي عن الربيع بن خثيم وفتادة وابن حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيم عن عيسى بن عقال به ثم قال والصواب القول الاول ونظير هذه الآية قوله تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

فلا اقتحم العقبة (١١) وما أدراك ما العقبة (١٢) فكُ رغبة (١٣) أو لإطعام في يوم

ذي مسغبة (١٤) يتيما ذا مقربة (١٥) أو مسكيناً ذا متربة (١٦) ثم كان من الذين آمنوا

وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة (١٧) أولئك أصحاب الميمنة (١٨) والذين كفروا

بآيتنا هم أصحاب المشئمة (١٩) عليهم نار مؤصدة (٢٠)

قال ابن جرير حدثني عمر بن اسماعيل بن محالد حدثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه عن أبي عطية

أعنتك عليه بطبقين فأطبق، وإن نازعك بهرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق، وإن نازعك فرجك الى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق « (وهديناه النجدين) قال أكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة كقوله (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) وقال محمد بن كعب عن ابن عباس (وهديناه النجدين قال النديين وهو قول سعيد بن المسيب والضحاك والنجد طريق في ارتفاع) فلا اقتحم العقبة يقول

عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أي دخل (العقبة) قال جبل في جهنم أزل وقال كعب الاحبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة في جهنم وقال قتادة إنها عقبة قعمة شديدة فاقتمحوها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقبة أو اطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة * أو اطعام) قري. فك رقبة بالاضافة وقري. على انه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعول وكذا القراءتين معناهما متقارب قال الامام أحمد حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن اسماعيل ابن أبي حكيم مولى آل الزبير عن سعد بن مرجانة انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل أرب - أي عضو - منها أربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد والرجل الرجل وبالفرج الفرج » فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال علي بن الحسين الغلام له أفره غلامه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فانت حر لوجه الله، وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطي فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل وقا. كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار، وأيما امرأة أعتقت امرأة مسلما فإن الله جاعل وقا. كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه

فلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السفبان فيكون خيرا له من انفاقه على عداوة محمد ﷺ هذا قول ابن زيد وجماعة وقيل (فلا اقتحم العقبة) أي لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتماح الدخول في الامر الشديد، وذكر العقبة ههنا مثل ضربه الله لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة يقول لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة، وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها، وروى عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم، وقال الحسن وقاتة عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتمحوها بطاعة الله تعالى، وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي صراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان يجنبه كلايب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فجاج مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل

« الجزء التاسع » (٢٧) « تفسير ابن كثير والبغوي »

قال الامام احمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال « من بنى مسجداً ليذكر الله فيه بني الله له بيتا في الجنة ، ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبه في الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة »

(طريق أخرى) قال احمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عاصم أن شرحبيل ابن السمط قال لعمرو بن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاه من النار عضواً بعضو ، ومن شاب شيبه في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فإصاب أو أخطأ كان كاعتق رقبة من بني اسماعيل » وروى أبو داود والذسائي بعضه

(طريق أخرى) قال احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي امامة عن عمرو بن عبسة السلمي قال قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أولاد في الاسلام فأتوا قبل أن يبالغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبه في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ، ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها » وهذه أسانيد جيدة قوية والله الحمد

(حديث آخر) قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرمي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عتبة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أدمكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من

يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم الزالون ومنهم من بكر دس في النار قال ابن زيد يقول فهلا سلك الطريق التي فيها النجاة ثم بين ما هي فقال (وما أدراك ما العقبة؟) ما اقتحام العقبة قال سفيان بن عيينة كل شيء قال وما أدراك فانه أخبر به ، وما قال وما يدريك فانه لم يخبر به (فك رقبة أو اطعم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فك بفتح الكاف رقبة نصب أو اطعم بفتح الهمزة والميم على الماضي، وقرأ الآخرون فك برفع الكاف رقبة جراً أو اطعم على المصدر وأراد بفك الرقبة اعتاقها واطلاقها ومن أعتق رقبة كانت الرقبة فداءه من النار

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر بن محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرباني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني ابن الهادي عن عمر بن علي بن حسين عن سعيد بن مرجانة قال سمعته يحدث عن أبي هريرة قال سمعت

رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله ﷺ في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال «اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار» وكذا رواه النسائي من حديث ابراهيم بن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي عن واثلة به

«حديث آخر» قال احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة ابن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ قال «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار» وحدثنا عبد الوهاب الحفاف عن سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة ابن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاهة من النار» تفرد به احمد من هذا الوجه

«حديث آخر» قال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو احمد قالا حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيل من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة» أعتق النسمة وفك الرقبة فقال يا رسول الله أو ليستا بواحدة ؟ قال «لا» ان عتق النسمة أن تنفرد بعنقها ، وفك الرقبة أن تعين في عنقها ، والمنحة الوكوف ، والفي . على ذي الرحم الظالم فإن لم تطق ذلك فاطعم الجائع ، واسق الظآن زائرا بالمعروف وأنه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير »

وقوله تعالى (أو اطعم في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذي مجاعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال ابراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم يشتهى فيه الطعام

رسول الله ﷺ يقول «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعتق فرجه بفرجه»

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني أنا ابو جعفر الرباني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن كثير العبدى ثنا عيسى بن عبد الرحمن السلمي عن طلحة بن مصرف اليامي عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال «لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة» أعتق النسمة وفك الرقبة قال أو ليسا واحد ؟ قال «لا» أعتق النسمة أن تنفرد بعنقها وفك الرقبة أن تعين في عنقها والمنحة الوكوف والفي . على ذي الرحم الظالم ، فإن لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظآن زائرا بالمعروف وأنه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من خير »

وقال عكرمة قوله (فك رقبة) يعني فك رقبة من الذنوب بالتوبة أو اطعام (في يوم ذي مسغبة)

وقوله تعالى (يتيما) أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيما (ذا مقربة) أي ذا قرابة منه . قال ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة » وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا اسناد صحيح

وقوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) أي فقيراً مدقعا لاصقا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا متربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ، وفي روايه هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفي رواية عنه هو البعيد التربة ، قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المدينون المحتاج ، رقل سعيد بن جبير هو الذي لأحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذوالعيال وكل هذه قريبة المعنى

وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم هو مع هذه الاوصاف الجيلة الطاهرة الظاهرة مؤمن بقلبه محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى [ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا] وقال تعالى [من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن] الآية وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) أي كان من المؤمنين العاملين صالحا المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » وفي الحديث الآخر « لا يرحم الله من لا يرحم الناس »

وقال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) أي المتصرفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين

ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي (مؤصدة) أي مطبقة ، قال ابن عباس مغلقة الابواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة قريش أي أغلقه وسيأتي في ذلك حديث في سورة (ويل لكل همزة لمزة)

مجموعة يقال سغب بسغا إذا جاع (يتيما ذا مقربة) أي ذا قرابة يعني يريد يتيما بينك وبينه قرابة (أو مسكينا ذا متربة) قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال مجاهد عن ابن عباس هو المطروح في التراب لا يقيه شيء . والمتربة مصدر ترب تربا ومتربة إذا افتقر (ثم كان من الذين آمنوا) ثم بين أن هذا القرب إنما ينفع مع الايمان وقيل ثم بمعنى الواو (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا

وقال الضحاك (مؤصدة) حيط لا باب له ، وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الابد ، وقال أبو عمران الجوني اذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس في الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أروصوها عليهم أي أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدأ ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم مما أبدأ ولا والله لا تلتقي جفون أعينهم على غمض نوم أبدأ ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدأ . رواه ابن أبي حاتم

﴿ آخر تفسير سورة البلد والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الشمس وضحاها وهي مكية

تقدم حديث جابر الذي في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ «هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل اذا يغشى»

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها (١) والقمر اذا تلبها (٢) والنهار اذا جأها (٣) والليل اذا يغشها (٤)
والسما وما بنها (٥) والأرض وما طحها (٦) ونفس وما سوها (٧) فألهمها جوارها وتقونها (٨)
قد أفليح من زكها (٩) وقد خاب من دسها (١٠)

قال مجاهد [والشمس وضحاها] أي وضوئها ، وقال قتادة (وضحاها) النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال : أقسم الله بالشمس ونهارها لان ضوء الشمس الظاهرة هو النهار (والقمر إذا تلاها)

﴿ بالصبر ﴾ على فرائض الله وأوامره ﴿ وتواصوا بالمرحمة ﴾ برحمة الناس ﴿ أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة ﴾ مطبقة عليهم أبوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم ، قرأ أبو عمرو وحمة وحفص بالهمزة ههنا وفي الهمزة وقرأ الآخرون بلا همز وهما لغتان يقال آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقتة ، وقيل معنى الهمز المطبقة وغير الهمز المغلقة

﴿ سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والشمس وضحاها ﴾ قال مجاهد والكلبي ضوءها والضحى حين تطلع الشمس فيصفو ضوءها قال قتادة هو النهار كله ، وقال مقاتل حرها كقولنا في طه (ولا تضحى) يعني لا يؤذيك الحر ﴿ والقمر

قال مجاهد تبعها . وقال الووفي عن ابن عباس [والقمر إذا تلاها] قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤي الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها في النصف الاول من الشهر ثم هي تتلوها وهو يتقدمها في النصف الاخير من الشهر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر وقوله تعالى (والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أيضا . وقال قتادة [والنهار إذا جلاها] إذا غشيها النهار . وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة للدلالة الكلام عليها (قلت) ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أي البسيطة لكان أولى ولصح تأويله في قوله تعالى [والليل إذا يغشاها] فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد [والنهار إذا جلاها] انه كقوله تعالى (والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا في قوله تعالى [والليل إذا يغشاها] يعني إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقرعة بن الوليد عن صفوان حدثني يزيد بن ذى حمامة قال : اذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادي خلقي العظيم فالليل يهابه والذي خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى [والسما وما بناها] يحتمل أن تكون ما هنا مصدرية بمعنى والسما وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعني والسما وبنائها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى [والسما بنيناها بأيد - أي بقوة - وإنا لموسعون * والارض فرشناها فنعم الماهدون] وهكذا قوله تعالى [والارض وما طحاها] قال مجاهد طحاها دحاها قال الووفي عن ابن عباس [وما طحاها] أي خلق فيها . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طحاها قسمها . وقال مجاهد وقاتدة والضحاك والسدي والثوري وأبو صالح وابن زيد [طحاها] بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة . قال الجوهري طحوتها مثل دحوتها أي بسطته

وقوله تعالى [ونفس وما سواها] أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويم كما قال تعالى

إذا تلاها) تبعها وذلك في النصف الاول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضائة وخلقها في النور ، وقال الزجاج ذلك حين استدار يعني كل ضوءه فصار تابعا للشمس في الانارة وذلك في الليالي البيض (والنهار إذا جلاها) يعني اذا جلى الظلمة كناية عن غير مذكور لكونه معروفا (والليل اذا يغشاها) يعني يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق (والسما وما بناها) قال الكلبي ومن بناها وخلقها كقوله (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) أي من طاب قال عطاء يريد والذي بناها ، وقال الفراء والزجاج ما بمعنى المصدر أي وبنائها كقوله (بما غفر لي ربي) (والارض وما طحاها) بسطها (ونفس وما سواها) عدل خلقها وسوى أعضائها قال عطاء يريد جميع ما خلق من

[فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله] وقال رسول الله ﷺ « كل ولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة

وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل » اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم »

وقوله تعالى [فألهمها فجورها وتقواها] اي فأرشدنا الى فجورها وتقواها اي بين ذلك لها ردها الى ما قدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري . وقال سعيد بن جبير ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها

وقال ابن جرير حدثنا ابن خالد^(١) حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالوا حدثنا عروة بن ثابت حدثني يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الاسود الدبلي قال قال لي عمران بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه شيء . قضي عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة؟ قلت بل شيء . قضي عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما؟ قال ففرغت منه فزعا شديدا قال قلت له ليس شيء . الا وهو خلقه وملك يده لا يستل عما يفعل وهم

الجن والانس (فألهمها فجورها وتقواها) قال ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة بين لها الخير والشر ، وقال في رواية عطية عليها الطاعة والمعصية ، وروى الكلبي عن أبي صالح عنه عرفها ما تأتي وما تنقي ، وقال سعيد بن جبير ألزمها فجورها وتقواها قال ابن زيد جعل فيها ذلك يعني بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا وحمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا يبين أن الله عز وجل خالق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور

أنا احمد بن ابراهيم الشربجي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثنا علي بن عبد الله أنا عبد الله بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن ابراهيم أنا عروة بن ثابت الانصاري ثنا يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الاسود الدبلي قال : قال لي عمران بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه شيء . قضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم وأكدت عليهم الحجة؟ قلت بل شيء . قد قضي عليهم قال فهل يكون ذلك ظلما؟ قل ففرغت منه فزعا شديدا وقلت انه ليس شيء . الا وهو خلقه وملك يده لا يستل عما يفعل وهم يسألون فقال لي سدك الله انما سألتك لأختبر عقلك إن رجلا من جبينه أو مزينة أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس ويتكادحون فيه شيء . قضي عليهم ومضى فيهم قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم وأكدت به عليهم الحجة؟ فقال « لا بل شيء . قد قضي

(١) كذا في النسخة
المكية وفي تفسير
ابن جرير انه ابن بشار

يسألون قال سدك الله إنما سألتك لأخبر عتلك أن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكذت به عليهم الحجة؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال ففيم نعمل؟ قال « من كان الله خائنه لأحدى المنزلتين يهينه لها وتصدق ذلك في كتاب الله تعالى [ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها] رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به

وقوله تعالى [قد أفلح من زكاها] وقد خاب من دساها [يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الاخلاق الدنيئة والذائل ، وروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى [قد أفلح من زكى * وذكر اسم ربه فصلى] [وقد خاب من دساها] أي دسساها أي أخملها ووضع منها بخذلانها بإياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل ، وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هاشم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في قول الله عز وجل [قد أفلح من زكاها] قال النبي ﷺ « أفلحت نفس زكاها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس

عليهم ومضى فيهم قال قلت ففيم العمل اذا؟ قال « من كان الله خلقه لأحدى المنزلتين يهينه الله لها وتصدق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) »

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البزوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال جاء مراقبة بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كنا خلقنا الآن أرأيت عمرتنا هذه ألعاننا هذا أم للأبد؟ قال « بل للأبد » قال يا رسول الله بين لنا ديننا كنا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير أو فيما نستقبل؟ قال « لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير » قال ففيم العمل؟ فقال زهير فقال كلمة خفيت علي فسألت عنها نسي بعد فذكر أنه سمعها فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » [قد أفلح من زكاها] وهذا موضع القسم أي فازت وسعدت نفس زكاها الله أي أصلحها وطهرها من الذنوب ووقفها للطاعة [وقد خاب من دساها] أي خابت وخسرت نفس أضلها الله فأفسدها وقال الحسن معناه قد أفلح من زكى نفسه فأصلحها وحملها على طاعة الله عز وجل (وقد خاب من دساها) أهلكتها وأضلها وحملها على المعصية فجعل الفعل للنفس ودساها أصله دسساها من التدسيس

وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فأنهضها فنجرها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها »

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله ابن عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الفخاري عن حفظة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأه (فأنهضها فنجرها وتقواها) قال اللهم آت نفسي تقواها ، وزكاها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح بن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب اعط نفسي تقواها ، وزكاها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

(حديث آخر) وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله ﷺ يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والهزم والجبن والبخل وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكاها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله ﷺ يعلمناهن ونحن نعلمكموهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

كذبت ثمود بطغونها (١١) اذ انبعت اشقمها (١٢) فقال لهم رسول الله ناقه الله

وسقيها (١٣) فكذبوه فمقرها (١٤) فدَمَدَم عليهم ربهم بذنبيهم فسوانها (١٥) ولا يخاف عبيها (١٦) يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن

وهو اخفاء الشيء فأبدلت السين الثانية ياء والمعنى ههنا أخملها وأخفي محلها بالكفر والمعصية أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله ابن محمد بن مسلمة أبو بكر الجوزي ثنا أحمد بن حرب ثنا أبو معاوية عن عاصم عن أبي عثمان وعبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم قال : لا أقول لكم الا ما قال رسول الله ﷺ لنا « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والجبن والهزم وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكاها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعوة لا يستجاب لها » قوله عز وجل (كذبت ثمود بطغوها) بطغيانها وعدوانها أي الطغيان حملهم على « تفسير ابن كثير والباقون » (٢٨) « الجزء التاسع »

كعب (بطفواها) أي بأجمعها والاول أولى قاله مجاهد وقنادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ انبعث أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا أصحابهم فتعاطى فعمى) الآية وكان هذا الرجل عزيزاً فيهم شريفاً في قومه نسيباً رئيساً مطاعاً كما قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال « إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننها وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن بونس حدثنا محمد بن اسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعل « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ » قال بلى قال « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضر بك يا علي على هذا — يعني قرنه — حتى يتبل منه هذه » يعني لحيته

وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحاً عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها فان لها شرب يوم وليلة ثمرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فعمى) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قنادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكركم وانثام فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها

التكذيب (إذ انبعث أشقاها) أي قام والانبعاث هو الاسراع في الطاعة للبائع أي كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحاً لما انبعث أشقاها وهو قدار بن سالف، وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً قام لعقر الناقة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا موسى بن اسماعيل ثنا وهب ثنا هشام عن أبيه أنه أخبره عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ « (إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في أهله مثل أبي زمعة » (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله وقال الزجاج منصوب على معنى ذروا ناقة الله (وسقياها) شربها أي ذروا ناقة الله وذروا شربها من الماء فلا تعرضوا للماء يوم شربها (فكذبوه) يعني صالحاً (فعمى) يعني الناقة (فدمدم عليهم ربهم) قال عطاء ومقاتل فدمر عليهم ربهم فاهلكهم قال المورج الدمدمه الهلاك باستنصال « بذنبهم » بتكذيبهم الرسول وعقرم الناقة « فسواها »

وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرئ فلا يخاف عقباها قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعه وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي ولا يخاف عقباها أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ماضع والقول الاول أولى لدلالة السياق والله أعلم ﴿ آخر تفسير سورة والشمس وضحاها والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الليل وهي مكية

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ « فها صليت بسبح اسم ربك الاعلى ، والشمس وضحاها والليل اذا يغشى »

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى (١) والنهار اذا تجلّى (٢) وما خلق الذكر والانثى (٣) إن سميعكم لشيئ (٤) فأما من اعطى واتقى (٥) وصدّق بالحسنى (٦) فسنيسره لليسرى (٧) وأما من بخل واستغنى (٨) وكذب بالحسنى (٩) فسنيسره للعسرى (١٠) وما يغني عنه ماله اذا تردى (١١) قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت ؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلّى - قال علقمة - والذكر والانثى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله سوى الدمدمة عليهم جميعا وعهم بهائم بغلت منهم أحد وقال الفراء سوى الامة وأنزل العذاب بصغيرها وكبيرها يعني سوى بينهم ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ قرأ أهل المدينة والشام فلا بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الباقرن بالواو وهكذا في مصاحفهم عقباها عاقبتها قال الحسن معناه لا يخاف الله من أحد تبعه في إهلاكهم وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال الضحاك والسدي والكلبي هو راجع إلى العافر وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره (إذا نبعث أشقاها ولا يخاف عقباها)

﴿ سورة الليل مكية وهي إحدى وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والليل إذا يغشى ﴾ أي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه ﴿ والنهار إذا تجلّى ﴾ بان وظهر من بين الظلمة ﴿ وما خلق الذكر والانثى ﴾ يعني ومن خلق وقبل هي المصدرية أي وخلق الذكر والانثى قال

ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجبر من الشيطان على لسان محمد ﷺ

وقد رواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قالوا كلنا، قال أيكم أحفظ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى؟ قال- والذكر واللاتي) قال أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هكذا وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ (وما خلق الذكر واللاتي) والله لا أنا بهم. هذا لفظ البخاري هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفع أبو الدرداء

وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت في المصحف الامام العثماني في سائر الآفاق (وما خلق الذكر واللاتي) فأقسم تعالى بالليل إذا يغشى أي إذا غشى الحقيقة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أي بضيائه واشترقه (وما خلق الذكر واللاتي) كقوله تعالى [وخلقناكم أزواجا] وكقوله [ومن كل شيء خلقنا زوجين] ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضاً متضاداً ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضاً متخالفة فن فاعل خيرا ومن فاعل شراً قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أي أعطى ما أمر باخراجه واتقى الله في أمره (وصدق بالحسنى) أي بالمجازاة على ذلك قاله قتادة، وقال خصيف بالثواب

وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أي بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك (وصدق بالحسنى) أي بلا إله إلا الله، وفي رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أي بما أنعم الله عليه، وفي رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم، وقال مرة وصدقة الفطر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثني من سمع أبا العالية الرباعي يحدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال «الحسنى الجنة»

مقاتل والكلبى يعنى آدم وحواء وفي قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء (والذكر واللاتي) وجواب القسم قوله «إن سعيكم لشتى» إن أعمالكم المختلفة فساع في فكك نفسه وساع في عطبها روى أبو مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» (فأما من أعطى) ماله في سبيل الله (واتقى) ربه (وصدق بالحسنى) قال أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وصدق بلا إله إلا الله وهي رواية عطية عن ابن عباس وقال مجاهد الجنة دليله قوله تعالى (الذين أحسنوا الحسنى) يعنى الجنة وقيل (صدق بالحسنى) أي بالخلف أي أيقن أن الله تعالى سيبخله وهي رواية عكرمة عن ابن عباس وقال قتادة ومقاتل والكلبى بمزود الله عز وجل الذي وعده أن يفي به (فستنبهه

وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى) قال ابن عباس يعني للخير ، وقال زيد بن أسلم يعني للجنة ، وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنه بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أي بما عنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم (وكذب بالحسنى) أي بالجزاء في الدار الآخرة (فسنيسره لليسرى) أي لطريق الشر كما قال تعالى [ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون] والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدروا الاحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة

(رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه) قال الامام أحمد حدثنا علي بن عياش حدثني العطاء بن خالد حدثني رجل من أهل البصرة عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبي يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يارسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتلف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال فقيم العمل يارسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له »

(رواية علي رضي الله عنه) قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا يارسول الله أفلا تتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى — إلى قوله — لليسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيم عن الأعمش بنحوه

ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد — أو ما من نفس منفوسة — إلا كتب مكانها من الجنة والنار والا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يارسول الله أفلا تتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان

في الدنيا (لليسرى) أي للخلعة اليسرى وهي العمل بما يرضاه الله عز وجل (وأما من بخل) بالنفقة في الخير (واستغنى) عن ثواب الله فلم يرغب فيه (وكذب بالحسنى فسنيسره لليسرى) سنهيته للشر بأن يجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله فيستوجب به النار قال مقاتل نهر عليه أن يأتي خيرا وروينا عن علي عن النبي ﷺ قال « ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة أو النار فقال رجل أفلا تتكل على كتابنا وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل الشقاء فييسرون لعمل أهل

منا من أهل الشقاء فيصير إلى أهل الشقاء. فقال «أما أهل السعادة فيمضون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاء فيمضون إلى عمل أهل الشقاء» ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به

(رواية عبد الله بن عمر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أفى أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال «فيما قد فرغ منه، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر، أما من كان من أهل السعادة فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء» ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح

(حديث آخر من رواية جابر) قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو ابن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال يا رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه؟ فقال «لأمر قد فرغ منه» فقال مراقبة فقيم العمل إذا؟ فقال رسول الله ﷺ «كل عامل ميسر لعمله» ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب به

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سألت غلامان شابان النبي ﷺ فقالا يا رسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف؟ فقال «بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قالوا فقيم العمل إذا؟ قال «اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له» قالوا نوجد ونعمل

(رواية أبي الدرداء) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان بن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة بن جليس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قال قالوا يا رسول الله أرأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه؟ قال «بل أمر قد فرغ منه» فقالوا فكيف بالعمل يا رسول الله؟ قال «كل امرئ ميسر بما لما خلق له» تفرد به أحمد من هذا الوجه

(حديث آخر) قال ابن جرير حدثني الحسن بن سلمة بن أبي كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خليلد المصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ

الشقاء، وأما أهل السعادة فيمضون لعمل أهل السعادة» ثم تلا (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) قيل نزلت في أبي بكر الصديق اشترى بلالاً من أمية بن خلف بيرة وعشر أواق فاعتقه فأنزل الله تعالى (والليل إذا يغشي) إلى قوله (إن سعيكم لشتى) يعني سعي أبي بكر وأميه وروى علي بن حجر عن اسحاق بن أبي نجيح عن عطاء قال كان لرجل من الانصار نخلة وكان له جار يسقط من بلعها في داره وكان صبيانه يتناولون منه فشكا ذلك إلى

« ما من يوم غربت فيه شمسهُ إلا وبجنتيها ملكان يناديان يسمعه خلق الله كلهم الا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً » وأنزل الله في ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبة باسناده مثله

« حديث آخر » قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فإذا جاء الرجل فدخل داره ف يأخذ ثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمه أدخل أصبعه في حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي ﷺ « اذهب » ولقي النبي ﷺ صاحب النخلة فقال له « اعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخل كثير ما فيها نخلة أعجب إلي ثمرة من ثمرها فذهب النبي ﷺ فتبعه رجل كان يسم الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة فقال الرجل يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها أنعطيني ما أعطيت به نخلة في الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولكلاهما نخل فقال له : أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي المائلة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكنني يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بعثها قال لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاء ، قال وما منك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ؟ ثم سكنا وأنشأ في كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال أشهد لي إن كنت صادقاً فأمر أناس فدعاهم فقال اشهدوا أنني قد أعطيت من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول ؟ فقال صاحب النخلة قد رضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفتق فقال له قد أقالك الله واست بأحق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك المائلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال تعطنيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق ففترقا فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن النخلة المائلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك

النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ « بعنيها بنخلة في الجنة » فأبى فخرج تلقاه أبو الدحداح فقال له هل لك أن تبيعها بحبس يعني حائطه فقال هي لك فأبى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أنشربها مني بنخلة في الجنة قال « نعم » قال هي لك فدعا النبي ﷺ جارا أنصاري فقال خذها فأنا نزل الله تعالى (والليل إذا يغشى) إلى قوله (إن صعبكم لشتى) أبو الدحداح والآنصاري صاحب النخلة (فأما من أعطى واتقى) أبو الدحداح (وصدق بالحسنى

٢٢٤ كون الهداية من الله وملكه للآخرة والدنيا وتصرفه فيها بما يشاء (تفسير ابن كثير والبغوي)

فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك ولعياالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى - إلى قوله - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) إلى آخر السورة هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جدا

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن ادريس الاصب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر [رض] يعق على الاسلام بمكة فكان يعق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعق أناسا ضعفاء فلو أنك تعق رجلا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدافعون عنك فقال أي أبه أنا أريد - أظنه قال - ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى)

وقوله تعالى [وما يغني عنه ماله إذا تردى] قال مجاهد : أي إذا مات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن اسلم إذا تردى في النار

إن علينا للهدي (١٢) وإن لنا للآخرة والأولى (١٣) فأنذر تكلم ناراً تلظى (١٤)

لا يصالحها إلا الاثني (١٥) الذي كذب وتولى (١٦) وسيجنبها الاثني (١٧) الذي يؤتي

ماله يتزكى (١٨) وما لأحد عنده من نعمة تجزى (١٩) إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى (٢٠)

ولسوف يرضى (٢١)

قال قتادة [إن علينا للهدي] أي نبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجعله كقوله تعالى [وعلى الله قصد السبيل] حكاه ابن جرير . وقوله تعالى [وإن لنا للآخرة والأولى] أي الجميع ملكنا وأنا المنتصرف فيها

فسنيسره لليسرى (يعني الجنة) وأما من بخل واستغنى (يعني الانصاري) (وكذب بالحسنى) يعني الثواب (فسنيسره للعسرى) يعني النار (وما يغني عنه ماله) الذي بخل به (إذا تردى) قال مجاهد إذا مات وقال قتادة وأبو صالح هوى في جهنم (إن علينا للهدي) يعني البيان قال الزجاج علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال وهو قول قتادة قال على الله بيان حلاله وحرامه قال الفراء يعني من سلك الهدى فعلى الله سبيله كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) يقول من أراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه إن علينا للهدي والاضلال كقوله بيدك الخير (وإن لنا للآخرة والأولى) فن طلبهما من غير مالهما فقد أخطأ

وقوله تعالى [فأنذرتكم نارا تلظى] قال مجاهد أي توهج . قال الانام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن معاذ بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول «أنذرتكم النار» حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصه كانت على عاتقه عند رجليه

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو اسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان أهون اهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في اخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه» رواه البخاري

وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو اسامة عن الأعمش عن أبي اسحاق عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله ﷺ «ان أهون اهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لا هونهم عذابا»

وقوله تعالى [لا يصلاها الا الأشقي] أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه الا الأشقي ثم فسرہ فقال (الذي كذب) أي بقلبه (وتولى) أي عن العمل بموارحه وأركانه

قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن طهية حدثنا عبد الله بن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «لا يدخل النار إلا شقي» قيل ومن الشقي؟ قال «الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية»

وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قال حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبي» قالوا من يأبى بارسل الله؟ قال «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» ورواه البخاري عن محمد ابن سنان عن فليح به

وقوله تعالى (وسيجنبها الاتقي) أي وسيزحزح عن النار اتقي اتقي ثم فسرہ بقوله الذي يؤتي ماله بتركى) أي يصرف ماله في طاعة ربه بتركى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (ومالاً حد

الطريق) «فأنذرتكم» يا أهل مكة «ناراً تلظى» أي تلظى بمعنى تتوقد وتوهج «لا يصلاها إلا الأشقي الذي كذب» الرسول «وتولى» عن الإيمان «وسيجنبها الاتقي» يريد بالأشقي الشقي وبالاتقي اتقي «الذي يؤتي ماله» يعطي ماله «بتركى» يطلب أن يكون عند الله زاكياً لاربابه ولا سمعة يعني أبا بكر الصديق في قول الجميع قال ابن الزبير كان أبو بكر يبتاع الضعفة فيعتهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال بمنع ظهري أريد فنزل (وسيجنبها الاتقي) إلى آخر السورة ، وذكر محمد بن إسحاق قال : كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمالة وكان

٢٢٦ تصدق ابى بكر في الاسلام واعتاقه لكثير من الارقاء المسلمين (تفسير ابن كثير والبغوى)

عنده من نعمة تجزى) أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطى في مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى (واسوف يرضى) أي وسوف يرضى من انصف بهذه الصفات ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبى بكر الصديق رضي الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الامة بهومها فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله ينزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الامة وسابقهم في جميع هذه الاوصاف وسائر الاوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فمك من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله واحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يدك عندي لم أجرك بها لاجبتك وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فاذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى وسوف يرضى)

صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرج به إذا حيت الظهيرة فيطرحه على ظهره يبطحاه مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك البلا أحد أحد

وقال محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال : مر به أبو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبى بكر في بني جمح فقال لأمية ألا تنقي الله تعالى في هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر افعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذته فأعتقه ثم أعتق معه على الاسلام قبل أن يهاجر ست رقاب بلال سابعهم : عامر بن فهيرة شهد بدرأ وأحدأ وقتل يوم بئر معونة شهيدأ وأم عيسى وزيرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت ذنبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله اليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانت لامرأة من بني عبدالدار فربهما وقد بهنتهما سيدتهما تطحنان لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر حلا يا أم فلان فقالت حلا أنت أفسدتهم فاعتقهما قال فيكم ؟ قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومرتجيات في بني المؤمل وهي تعذب فابتاعها فاعتقها وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لأبى بكر في بلال حين قال أتبعه قال نعم أتبعه بنسطاس وكان بنسطاس عبدا لأبى بكر صاحب عشرة آلاف دينار وغلان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأقبضه

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين في سبيل الله دعت له خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يارسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم »

﴿ آخر تفسير سورة الليل والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الضحى وهى مكية

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال : قرأت على عكرمة ابن سليمان وأخبرني أنه قرأ على اسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالوا لي كبير حتى نغتم مع خاتنة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ! وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي ابن كعب فأمره بذلك وأخبره أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزني من ولد القاسم بن أبي بزة وكان اماما في القراءات

فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العجلي قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعي أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضي صحة هذا الحديث ، ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر والليل اذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحى ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله أكبر

وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وقتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى اليه (والضحى والليل اذا سجد) السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا ولم يرو ذلك باسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

أبو بكر فلما قال له أمية أبيه بعلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه منه فقال المشركون ما فعل ذلك أبو بكر ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ يد يكافئه عليها ﴿ إلا ﴾ لكن ﴿ ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ يعني لا يفعل ذلك مجازاة لأحد بيد له عنده ولكنه يفعله ابتغاء وجه ربه الأعلى وطلب رضا ﴿ ولسوف يرضى ﴾ بما يعطيه الله عز وجل في الآخرة من الجنة والكرامة جزاء على ما فعل

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى (١) والليل اذا سجى (٢) ما ودّعك ربك وما قلى (٣) وللاخرة خير لك من الاولى (٤) واسوف يعطيك ربك فترضى (٥) ألم يجدك يتيماً وآوى (٦) ووجدك ضالاً فهدى (٧) ووجدك عائلاً فأغنى (٨) فأما اليتيم فلا تقهر (٩) وأما السائل فلا تنهر (١٠) وأما بنعمة ربك فحدث (١١)

قال الامام احمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الاسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل إذا سجى * ما ودّعك ربك وما قلى) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الاسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم العقلي به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الاسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودع محمداً ربه فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى)

﴿ سورة الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا الاسود بن قيس قال سمعت جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً فجاءت امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فأنزل الله عز وجل (والضحى والليل إذا سجى * ما ودّعك ربك وما قلى) وقيل إن المرأة التي قالت ذلك أم جميل امرأة أبي لهب

وقال المفسرون سألت اليهود رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح فقال « سأخبركم غداً » ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي، وقال زيد بن أسلم كان سبب احتباس جبريل عليه السلام عنه كون جبروفي يده، فلما نزل عاتبه رسول الله ﷺ على أبطائه فقال إنا لاندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه فقال ابن جرير اثنا عشر يوماً وقال ابن عباس خمسة عشر يوماً وقال مقاتل أربعون يوماً قال المفسرون فقال المشركون إن محمداً ودعه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي قال حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الأسود بن قيس انه سمع جندياً يقول رمي رسول الله ﷺ بحجر في أصبعه فقال هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ماتت

قال فكث ليلتين أو ثلاثاً لا يقرم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لا يبي سعيد قيل إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب، وذكر أن أصبعه عليه السلام دميت، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين، ولكن الغريب هنا جعله سبباً لتركه القيام ونزول هذه السورة، فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد فلاك فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضاً حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعاً شديداً فقالت خديجة إني أرى ربك قد فلاك مما يرى من جزعك قال فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظاً أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم وقد ذكر بعض السلف منهم ابن اسحاق أن هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله ﷺ حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا اليه وتدل منهبطاً عليه وهو بالابطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال قال له هذه السورة (والضحى والليل إذا سجى) قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياً ما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجى) أي سكن فاعظم وأدلم قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر

ربه وقلاه فأنزل الله تعالى هذه السورة فقال النبي ﷺ « يا جبريل ماجئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إني كنت أشد شوقاً إليك ولكني عبد مأمور فأنزل الله (وما تنزل إلا بأمر ربك) قوله عز وجل (والضحى) أقسم بالضحى وأراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل فقال والليل إذا سجى نظيره قوله (أن يأتيهم بأسنا ضحى) أي نهراً

وقال قتادة ومقاتل يعني وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الصيف والشتاء (والليل إذا سجى) قال الحسن أقبل بظلامه وهي رواية العوفي عن ابن عباس، وقال الواجب عنه اذا ذهب قال غطاء والضحاك غطى كل شيء بالظلمة وقال مجاهد استوى وقال قتادة وابن زيد سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك يقال ليل ساج وبحر ساج إذا كان ساكناً قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) هذا جواب القسم أي ما تركك منذ اختارك ولا أبغضك

على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (واقبل إذا يغشى والنهار اذا تجلّى) وقال تعالى (فالق
الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)
وقوله تعالى (ماودعك ربك) أي ما تركك [وما لي] أي وما أبغضك [والآخرة خير لك
من الأولى] والدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان رسول الله ﷺ أزهد الناس في
الدنيا وأعظمهم لها طراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته، ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد
في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية
قال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابراهيم النخعي عن علقمة
عن عبد الله هو ابن مسعود قال : اضطجع رسول الله ﷺ على حصير فأثر في جنبه فلهما استيقظ
جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله
ﷺ « مالي والدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كرا كبطال تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذي
وابن ماجه من حديث المسعودي به وقال الترمذي حسن صحيح
وقوله تعالى [واسوف يعطيك ربك فترضى] أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته
وفيما أعده له من الكرامة ومن جعلته نهر السكوثر الذي حافته قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك
أذفر كما سيأتي.

وقال الامام أبو عمرو الاوزاعي عن اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر الخزومي عن علي بن
عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا
كنزا فسر بذلك فانزل الله [واسوف يعطيك ربك فترضى] فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر في كل قصر
ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا اسناد صحيح إلى
ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف وقال السدي عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن

منذ أحببك ﴿ والآخرة خير لك من الأولى ﴾ حدثنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن ابراهيم الصالحاني
أنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم أنا ابو بكر بن أبي شيبة أنا معاوية بن
هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ
« إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا » ﴿ واسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال عطاء عن
ابن عباس هو الشفاعة في أمته حتى يرضى ، وهو قول علي والحسن ، وروينا عن عبد الله بن عمرو بن
العاص أن النبي ﷺ قال « اللهم أنتي أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له انا
سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك فيهم »

وقال حرب بن شريح سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول إنكم معشر أهل العراق تقولون أرحي
آية في القرآن (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وانا أهل البيت نقول

لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر

وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا واسوف يعطيك ربك فترضى »

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه وقبل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كماله جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعته الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الاوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فا قدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فا اختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الانصار من الاوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الانم الاكل فلما وصل اليهم آدوه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضي الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلايته وعنايته به

وقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري

أرجى آية في كتاب الله) (واسوف يعطيك فترضى) قيل واسوف يعطيك ربك من الثواب ، وقيل من النصر والتسكين وكثرة المؤمنين فترضى ، ثم أخبرنا الله عز وجل عن حاله التي كان عليها قبل الوحي وذكره نعمه فقال جل ذكره (ألم يجدك يتيما فآوى)

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي قال أنبأني عبد الله بن حامد الاصفهاني أنا محمد بن عبد الله النيسابوري ثنا محمد بن عيسى أنا أبو عمرو الحوضي وأبو الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسألة ووددت اني لم أكن سأله قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما وآتيت فلانا كذا وآتيت فلانا كذا قال يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك ؟ قلت بلى أي رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك ؟ قلت بلى أي رب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك ؟ قلت بلى أي رب » وزاد غيره عن حماد قال « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك قلت بلى أي رب » ومعنى الآية (ألم نجدك يتيما) صغيرا فقيرا حين مات أبواك ولم يخلفك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تأوى اليه وضمك الى عمك أبي طالب حتى أحسن تربيتك وكفالك المؤنة (ووجدك ضالا فهدى) يعني ضالا عما أنت عليه فهداك للتوحيد والنبوة قال الحسن والضحاك وابن

ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلنا نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبي ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكبا ناقة في الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوي

وقوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أي كنت فقيرا ذاعبال فأغناك الله عن سواه فجمع له بين مقامي الفقر الصابر والغني الشاكر صلوات الله وسلامه عليه ، وقال قتادة في قوله (ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كافا وقنعه الله بما آناه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أي كما كنت يتيما فأواك الله فلا تقهر اليتيم أي لا تذله وتنهره

كيسان (ووجدك ضالا) عن معالم النبوة وأحكام الشريعة غافلا عنها فهداك إليها كما قال (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) وقال (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) وقيل ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب روى أبو الضحى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فردّه إلى عبد المطلب ، وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله ﷺ مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقة جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة وردّه إلى القافلة فن الله عليه بذلك وقيل (وجدك ضالا) نفسك لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك ﴿ ووجدك عائلا فأغنى ﴾ أي فقيرا فأغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقال مقاتل فركبك بما أعطاك من الرزق واختاره الفراء وقال لم يكن غنيا عن كثرة المال ولكن الله راض بما آناه وذلك حقيقة الغني أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن الزيادة أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنه قال أنا أبو هريرة قال قال ﷺ « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس »

أنا عبد الواحد المليحي أنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفراني أنا أحمد بن سعيد أنا أبو يحيى محمد بن عبد الله ثنا أبي حدثني شريح بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « قد أفلح من أسلم ورزق كافا وقنعه الله بما آناه » ثم أوصاه باليتامى والفقراء فقال ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ﴾ قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيما ، وقال الفراء والزجاج لا تقهره على

ومنه ولكن أحسن اليه وتلطف به قال قتادة كن ليتيم كلاب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أي وكما كنت ضالاً فهذا الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد

قال ابن اسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أي فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فخاشاً ولا فظاعلى الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعني رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أي وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوي « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأئمتها علينا »

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا العجاج بن فليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر

ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذا كانت العرب تفعل في أمر اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو إسحاق بن إبراهيم بن الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي عتاب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه » ثم قال بأصبعه « أنا وكافل اليتيم في الجنة » هكذا وهو يشير بأصبعه السبابة والوسطى (وأما السائل فلا تنهر) قال المفسرون يريد السائل على الباب يقول لا تنهره ولا تزجره إذا سألك فقد كنت فقيراً فاما أن تطعمه واما أن ترده رداً لينا يقال نهره وانهره إذا استقبله بكلام يزجره قال قتادة رد السائل برحمة ولين قال إبراهيم بن أدهم : نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة .

وقال إبراهيم النخعي السائل يريد إلى الآخرة يحجي . إلى باب أحدكم فيقول هل توجهون إلى أهليكم بشيء ، وروي عن الحسن في قوله (وأما السائل فلا تنهر) قال طالب العلم (وأما بنعمة ربك فحدث) قال مجاهد يعني النبوة روى عنه أبو بشر واختاره الزجاج وقال أي بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك ، وقال الليث عن مجاهد يعني القرآن وهو قول الكلبي أمره أن يقرأه وقال مقاتل اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة من جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والافتناء بعد العيلة والتحدث بنعمة الله شكرأ

أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن يحيى البسطامي ثنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن محمد بن يحيى بن سختويه أنا عبد الله بن محمد بن الحسين النصر آبادي ثنا علي بن سعيد النسوي « تفسير ابن كثير والبغوي » (٣٠) « الجزء التاسع »

الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب ، واسناده ضعيف . وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الانصار بالاجر كله قال « لا مادعونم الله لهم وأنثنتم عليهم »

وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم وقال صحيح

وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من ألى بلا فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود

وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا حمارة بن غزبة حدثني رجل من قومي عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « من أعطى عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليثن به فن أثني

أنا سعيد بن عفير ثنا يحيى بن أيوب عن حمارة بن غزبة عن شرحبيل مولى الانصاري عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من صنع اليه معروف فليجز به ان وجد فان لم يجد ما يجزيه فليثن عليه فانه اذا أثني عليه فقد شكره وان كتمه فقد كفره ومن نحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور » أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين ثنا أحمد بن محمد بن إسحاق ثنا أبو القاسم بن منيع ثنا منصور بن أبي مزاحم ثنا وكيع عن أبي عبد الرحمن يعني القاسم بن الوليد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » والسنة في قراءة أهل مكة أن يكبر من أول سورة والضحي على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله أكبر كذلك قرأه على الامام المقري . أبي نصر محمد بن أحمد بن علي الحامدي بمرور قال قرأت على أبي القاسم طاهر بن علي الصيرفي قال قرأت على أبي بكر أحمد ابن الحسين بن مهران قال قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفار المقري . قال قرأت على أبي بكر محمد بن موسى الهاشمي قال قرأت على أبي ربيعة والحسين بن محمد الحداد وهما قرآ على أبي الحسين بن أبي بزة وأخبرهما ابن أبي بزة انه قرأ على عكرمة بن سليمان بن كثير المسكي وأخبره عكرمة انه قرأ على شبل بن عباد واسماعيل بن قسطنطين وأخبراه انهما قرآ على عبد الله بن كثير وأخبرهما عبد الله انه قرأ على مجاهد وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي ابن كعب ، وأخبرنا الامام المقري . أبو نصر محمد بن أحمد بن علي وقرأت عليه بمرور وقال أنا الشريف أبو القاسم علي بن محمد الزيدي بالتكبير وقرأت عليه بنفحران قال ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقاش وقرأت عليه بمدينة السلام ثنا أبو ربيعة محمد بن إسحاق الربيعي وقرأت عليه بمكة ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة وقرأت عليه قال لي قرأته على

به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، قال ابو داود : ورواه يحيى بن ايوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به ابو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي اعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ايث عن رجل عن الحسن بن علي [وأما بنعمة ربك فحدث] قال ما علمت من خير فحدث اخوانك ، وقال محمد بن اسحاق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث فيها واذكرها وادع اليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما انعم الله به عليه من النبوة سرا الى من يطعن اليه من اهله واقترصت عليه الصلاة فصلى

﴿ آخر تفسير سورة الضحى وفه الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة ألم نشرح لك وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم نشرح لك صدرك ؟ (١) ووضعنا عنك وزرك (٢) الذي أنقض ظهرك (٣) ورفعنا لك ذكرك (٤) فان مع العسر يسراً (٥) إن مع العسر يسراً (٦) فاذا فرغت فانصب (٧) وإلى ربك فارغب (٨)

يقول تعالى [ألم نشرح لك صدرك] يعني أما شرحنا لك صدرك اي نورناه وجعلناه فسيحاً رحباً واسعاً كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه

عكرمة بن سليمان وأخبرني انه قرأ على ابي ابي بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحي قال لي كبر حتى نختم مع خاتمة كل سورة فانا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك وأخبرنا اننا قرأنا على مجاهد فأمره بذلك وأخبره مجاهد انه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس انه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي بن كعب انه قرأ على النبي ﷺ فأمره بذلك وكان سبب التكبير أن الوحي لما احتبس قال المشركون هجره شيطانه وودعه فأنغم النبي ﷺ لذلك فلما نزل والضحي كبر رسول الله ﷺ فرحاً بالنزل الوحي فأنخذه سنة

سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالايان والنبوة والعلم والحكمة
﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ قال الحسن ومجاهد وقناة والضحاك حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو كقوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)

فسيحوا وسعها سمحا سهلا لا حرج فيه ولا امر ولا ضيق . وقيل المراد بقوله [ألم نشرح لك صدرك] شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فالفه أعلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد بن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، أني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وارواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلي بمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعصدي لأجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجمه فأضجماني بلا قصر ولا عصر فقال أحدهما لصاحبه افلق صدري فهورى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلام ولا وجم فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كثيثة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال اعد واسلم فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ، ورحمة لكبير »

وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) بمعنى [ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر] (الذي أنقض ظهرك) الانقاض الصوت ، وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أنقض ظهرك) أي انقلبك محله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا اذكر إلا ذكرت معي أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله . وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد ان لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ انه قال « اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول كيف رفعت

وقال الحسين بن الفضل يعني الخطأ والسهو ، وقيل ذنوب أمتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بهم (الذي أنقض ظهرك) أثقل ظهرك فأرهته حتى سمع له نقيض أي صوت ، وقال عبد العزيز بن يحيى وأبو عبيدة يعني خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بأمرها (ورفعنا لك ذكرك)

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا أبو القاسم عبد الخالق ابن علي المؤذن ثنا أبو بكر بن حبيب ثنا أبو أماعيل محمد بن اسماعيل ثنا صفوان يعني ابن صالح أبو عبد الملك ثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني عبد الله بن طهعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري

ذكرك؟ قال الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن بونس عن عبد الاعلى به ورواه ابو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا ابو عمر الحرشي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسئلة وددت اني لم اسأله قلت قد كان قبلي انبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيي الموتى قال يا محمد ألم اجدك يتيمًا فأوتيتك؟ قلت بلى يارب قال ألم اجدك ضالًا فهديتك؟ قلت بلى يارب قال ألم اجدك عاتلاً فأغنيتك؟ قلت بلى يارب قال ألم اشرح لك صدرك ألم ارفع لك ذكرك؟ قلت بلى يارب »

(١) وقال ابو نعيم في دلائل النبوة حدثنا ابو احمد الفطري حدثنا موسى بن سهل الجويني حدثنا احمد ابن القاسم بن بهزان الهيثمي حدثنا نصر بن حماد بن عثمان بن عطاء عن الزهري عن انس قال قال رسول الله ﷺ « لما فرغت مما امرني به من امر السموات والارض قلت يا رب انه لم يكن نبي قبلي الا وقد كرمته جعلت ابراهيم خليلاً وموسى كليمًا وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت ايمسى الموتى فما جعلت لي؟ قال أو ليس قد اعطيتك افضل من ذلك كله اني لا اذكر الا ذكرت معي وجعلت صدور امتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم اعطها امة وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الاذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت

أغر عليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي إلى اسمه اذا قال في الخس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية (ورفعنا لك ذكرك) قال « قال الله تعالى إذا ذكرت ذكرت معي » وعن الحسن قال « ورفعنا لك ذكرك » إذا ذكرت ذكرت وقال عطاء عن ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر ولو أن عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به وقال مجاهد يعني بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

ألم تر أن الله أرسل عبده يبرهانه والله أعلى وأمجده
أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه إذا قال في الخس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

(١) من هنا إلى قوله
الآتي: وحكى البغوي
غير موجود بالنسخة
المكية

وقال آخرون رفع الله ذكره في الاولين والاخرين ونوه به حين اخذ الميثاق على جميع النبيين ان يؤمنوا به وأن يأمروا ائمتهم بالايان به ثم شهر ذكره في امته فلا يذكر الله الا ذكر معه، وما احسن ما قال الصرصري رحمه الله

لا يصح الاذان في الفرض إلا باسمه العذب في الغم المرضي

وقال أيضاً: ألم ترأنا لا يصح أذاننا ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما

وقول تعالى (فان مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً (أخبر تعالى ان مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ جالسا وحياله حجر فقال «لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه» فأنزل الله عز وجل (فان مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً (ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه «لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرج» ثم قال (فان مع العسر يسراً) ان مع العسر يسراً ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح (ثالث) وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة

عن رجل عن عبد الله بن مسعود موقوفاً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن

الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي ﷺ

يوماً مسروراً فرحاً وهو يضحك وهو يقول «لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين» فان مع

وقيل رفعه بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم الايمان به والافرار بفضله ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك انه كان بمكة في شدة فقال (فان مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً أي مع الشدة التي أنت فيها من جهاد المشركين يسراً ورخاء. بان يظهر عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جنتهم به (ان مع العسر يسراً) كرهه لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء، وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ «أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين»

قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين، قال المفسرون ومعنى قوله لن يغلب عسر يسرين أن الله تعالى كرر العسر بلفظ المعرفة واليسر بلفظ النكرة، ومن عادة العرب إذا ذكرت اسماً معروفاً ثم أعادته كان الثاني هو الاول وإذا ذكرت نكرة ثم أعادته مثله صار اثنين، وإذا أعادته معرفة فالثاني هو الاول، كقولك إذا كسبت درهما فأنفق درهماً فالثاني هو كسبت درهماً فأنفق درهماً فالثاني هو

العسر يسرا إن مع العسر يسرا » وكذا رواه من حديث عوف الاعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلًا وقال سعيد عن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال « إن يغلب عسر يسرين » ومعنى هذا أن العسر معروف في الحالين فهو مفرد واليسر منكسر فتعدد ولهذا قال « إن يغلب عسر يسرين » يعني قوله (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) فالعسر الاول عين الثاني واليسر تعدد وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثر عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل المعونة من السماء على قدر المؤنة » ونزل الصبر على قدر المصيبة » ومما يروى عن الشافعي أنه قال :

صبرا جيلا ما أقرب الفرجا من راقب الله في الامور نجما
من صدق الله لم ينله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا
وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

(١) إذا اشملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره وأطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لآنكشاف الضر وجهها ولا أغنى بحيلته الاريب
أنالك على قنوط منك غوث بمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فوصول بها الفرج القريب

(١) هذا وما بعده غير
موجود بال نسخة المكية

الاول ، فالعسر في الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسراً واحداً واليسر مكرر بلفظ النكرة فكان يسرين كأنه قال فإن مع العسر يسراً إن مع ذلك العسر يسراً آخر ، وقال أبو علي الحسين بن يحيى ابن نصر الجرجاني صاحب النظم تكلم الناس في قوله ان يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم إن العسر معرفة واليسر نكرة فوجب أن يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول إذا قال الرجل ان مع الفارس سيفاً ان مع الفارس سيفاً فهذا لا يوجب أن يكون الفارس واحداً واليسر اثنين ، فمجاز قوله ان يغلب عسر يسرين أن الله بعث نبيه ﷺ وهو مقل مخف فكانت قرينته بعثته بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأهل مكة فآغتم النبي ﷺ لذلك فظن ان قومه انما يكذبونه لفقره فعدد الله نعمه عليه في هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خاشره من انهم فقال (فإن مع العسر يسراً) مجازة لا يحزنك ما يقولون فإن مع العسر يسرا في الدنيا عاجلاً ثم أنجزه ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع عليه ذات يده حتى كان عطي المئين من الابل ويهب الهبات السنية ، ثم ابتداء فضلاً آخر من أمر الآخرة فقال (ان مع العسر يسراً) والدليل على ابتدائه تعريته من الفناء والوار وهذا وعد لجميع المؤمنين ، ومجازه ان مع العسر يسرا أي ان مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة فربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكره في الآية الاولى ويسر

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كلت فلما استحسنت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى (فاذا فرغت فانصب * والى ربك فارغب) أي اذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها فانصب الى العبادة وقم اليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة، ومن هذا القيل قوله عليه السلام في الحديث المتهق على صحته « لاصلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الاخبثان » وقوله عليه السلام « اذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدؤا بالعشاء » قال مجاهد في هذه الآية اذا فرغت من أمر الدنيا فقامت الى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه اذا قمت الى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وعن ابن عباس نحوه وفي رواية عن ابن مسعود (فانصب والى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فاذا فرغت فانصب يعني في الدعاء، وقال زيد بن أسلم والضحاك (فاذا فرغت) أي من الجهاد (فانصب) أي في العبادة (والى ربك فارغب) قال الثوري اجعل نيتك ورغبتك الى الله عز وجل

﴿ آخر تفسير سورة ألم نشرح والله الحمد والمنة ﴾

الآخرة وهو ما ذكره في الآية الثانية فقوله عليه السلام « لن يغلب عسر يسرين » أي لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعده في الآخرة وإنما يغلب أحدهما وهو يسر الدنيا وأما يسر الآخرة فدائم غير زائل أي لا يجمعهما في الغلبة كقوله عليه السلام « شهرا عبدا لا ينقصان » أي لا يجتمعان في النقصان ﴿ فاذا فرغت فانصب ﴾ أي فاتعب والنصب التعب

قال ابن عباس وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي فاذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة يعطك، وروى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال إذا صليت فاجتهد في الدعاء والمسئلة، وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل، وقال الشعبي إذا فرغت من التشهد فادع لذيالك وآخرتك، وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك، وقال منصور عن مجاهد اذا فرغت من أمر الدنيا فانصب في عبادة ربك فصل، وقال جيان عن الكلبي إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب أي استغفر لذنبك وللمؤمنين ﴿ والى ربك فارغب ﴾ قال عطاء تضرع اليه راهبا من النار راغبا في الجنة، وقيل فارغب اليه في جميع أحوالك قال الزجاج أي اجعل رغبتك الى الله وحده

تفسير سورة التين والزيتون وهي مكية

قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه أخرجها الجماعة في كتبهم

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون (١) وطور سينين (٢) وهذا البلد الأمين (٣) لقد خلقنا الإنسان

في أحسن تقويم (٤) ثم رددناه أسفل سافلين (٥) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم

أجر غير ممنون (٦) فما يكذبك بعد بالدين؟ (٧) أليس الله بأحكم الحاكمين؟ (٨)

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال القرطبي هو مسجد أصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي على الجودي، وقال مجاهد وتينكم هذا (والزيتون) قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم هو مسجد بيت المقدس وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذي تعصرون (وطور سينين) قال كعب الأحبار وغير واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الأمين) يعني مكة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي وابن زيد وكعب الأحبار ولا خلاف في ذلك

(سورة التين مكية وهي ثمان آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والتين والزيتون) قال ابن عباس والحسن ومجاهد وإبراهيم وعطاء بن رباح ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت ، قيل خص التين بالقسم لأنه فاكهة مخلص لا عجم فيها شبيهة بفواكه الجنة ، والزيتون شجرة مباركة جاء بها الحديث وهو نمر ودهن يصلح للاصطباج والاصطباح ، وقال عكرمة هما جبلان ، قال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس لانهما يبتتان التين والزيتون ، وقال الضعك هما مسجدان بالشام ، قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ، وقال محمد ابن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا (وطور سينين) يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وذكرنا معناه عند قوله (وشجرة تخرج من طور سيناء) (وهذا البلد

وقال بعض الأئمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار (فالأول) محله التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام (والثاني) طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران (والثالث) مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا وهو الذي أرسل فيه محمدا ﷺ قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من ساعير - يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله فيها محمدا ﷺ فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا أقسم بالاشرف ثم الاشرف منه ثم بالاشرف منهما

وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوي الأعضاء حسنهما (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى النار قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلى النار إن لم يطعم الله ويتبع الرسل ولهذا قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال بعضهم (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى أرذل العمر وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الحرم قد يصيب بعضهم وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى [والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات]

الأمين) أي الآمن يعني مكة يأمن فيه الناس في الجاهلية والإسلام ، هذه أقسام والمقسم عليه قوله (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) أعدل قامة وأحسن صورة ، وذلك أنه خلق كل حيوان منكبا على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة يتناول ما كوله بيده مزيئا بالعقل والتمييز (ثم رددناه أسفل سافلين) يربد إلى الحرم وأرذل العمر فينقص عقله وبضعف بدنه والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا ، وأسفل سافلين نكرة تعم الجنس كما نقول فلان أكرم قائم وفي مصحف عبد الله أسفل السافلين ، وقال الحسن وقتادة ومجاهد يعني ثم رددناه إلى النار يعني إلى أسفل السافلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض قال أبو العالية يعني إلى النار في شر صورة في صورة خنزير ثم استثنى فقال (إلا الذين آمنوا) فانهم لا يردون إلى النار ومن قال بأن قول الأول قال (رددناه أسفل سافلين) فزالت عقولهم وانقطعت أعمالهم فلا يكتب لهم حسنة إلا الذين آمنوا (وعملوا الصالحات) فإنه يكتب لهم بعد الحرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة وقال ابن عباس ثم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى عذرهم فأخبر أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم

وقوله (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع كما تقدم ، ثم قال (فما يكذبك) أي يا ابن آدم (بعد بالدين ؟) أي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الاولى فأني شي . بمملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟

قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال قلت لمجاهد (فما يكذبك بعد بالدين) غنى به النبي ﷺ قال معاذ الله غنى به الانسان وهكذا قال عكرمة وغيره

وقوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي أما هو أحكم الحاكمين الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا من ظلمه وقد قدمنا في حديث أبي هريرة مرفوعاً « فاذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين »

﴿ آخر تفسير سورة التين والزيتون والله الحمد والمنة ﴾

قال عكرمة لم يضر هذا الشيخ كبره اذ ختم الله له بأحسن ما كان يعمل ، وروى عاصم الاحول عن عكرمة عن ابن عباس قال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال الا الذين قرءوا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ غير مقطوع لانه يكتب له كصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير عمل ثم قال إزاما للحجة ﴿ فما يكذبك ﴾ أيها الانسان ﴿ بعد ﴾ أي بعد هذه الحجة والبرهان ﴿ بالدين ﴾ بالحساب والجزاء ، والمعنى ألا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة بعد هذه الحجج ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ؟ ﴾ أفضى القاضين قال مقاتل يحكم بينك وبين أهل التكذيب يا محمد وروينا ان رسول الله ﷺ قال « من قرأ التين والزيتون فاتى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا أبو الوليد ثنا شعبة عن عدي قال سمعت البراء قال ان النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون



﴿تفسير سورة اقرأ وهي أول شيء نزل من القرآن﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣)

الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥)

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لها حتى تفيء الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ « فقلت ما أنا بقاريء - قال - فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء - فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء - فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم » قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملوني زملوني » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة مالي ؟ وأخبرها الخبر وقال « قد خشيت على نفسي » فقالت له كلاً أبشر فوالله لا ينجز بك

﴿سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ أ كثر المفسرين على أن هذه أول سورة نزلت من القرآن وأول

ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله (ما لم يعلم)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حجب اليه الخلاء فكان يخلو بقار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال « ما أنا بقاريء - قال - فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقاريء - قال - فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ

الله أبداً أنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امراً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعربية من الانجيل ماشاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ « أوخرجني هم ؟ » فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وقتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرأى كي يتردى من رؤوس شواحق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدي له جبريل فقال يا محمد أنك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجم ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدي له جبريل فقال له مثل ذلك . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى فن أراد فوه هناك محرر والله الحمد والمنة

قلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بهار رسول الله ﷺ برجع فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر وقال « لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة وكان امراً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعاً يا ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ « أوخرجني هم ؟ » قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ثم لم ينشب ورقة أن توفي وقتر الوحي ، وروى محمد بن اسماعيل هذا الحديث في موضع آخر من كتابه عن يحيى بن بكير بهذا الاسناد وقال حدثني عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة وذكر الحديث وقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى بلغ - ما لم يعلم) وزاد في آخره فقال وقتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرأى حتى يتردى من رؤوس شواحق

فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركة وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الانسان من علقه وان من كرمه تعالى أن علم الانسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون في الازهان وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبنان ذهني ولفظي ورسمي ، والرسمي يستلزمها من غير عكس فلهذا قال (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم) وفي الاثر قيدوا العلم بالكتابة وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (١) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٢) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (٣) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٤) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (٥) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ (٦) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (٧) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٨) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (٩) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٠) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١١) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٢) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٣) كَلَّا لَا تَطْمَعُ فِيهِ (١٤) وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٥)

يخبر تعالى عن الانسان انه ذو فرح وأثر واطر وطفيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله
الجبيل فكلمنا أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا
فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت طالت عليه فترة الوحي غدا بمثل ذلك فاذا أوفى بذروة
جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أنا عبد الله بن حامد
الوراق أنا مكي بن عبدان أنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن
عروة عن عائشة قالت أول سورة نزلت (اقرأ باسم ربك) قوله عز وجل (اقرأ باسم ربك) قال أبو عبيدة
مجازة اقرأ اسم ربك يعني أن الباء زائدة ، والمعنى اذكر اسمه أمر أن يبتدي القراءة باسم الله تأديبا
(الذي خلق) قال الكلبي يعني الخلاق ثم فسره فقال (خلق الانسان) يعني ابن آدم (من علق)
جمع علقه (اقرأ) كرهه : كيدا ثم استأنف فقال (وربك الاكرم) قال الكلبي الحليم عن جهل
العباد لا يجعل عليهم بالعقوبة (الذي علم بالقلم) يعني الخط والكتابة (علم الانسان ما لم يعلم) من
أنواع الهدى والبيان وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل الانسان ههنا محمد ﷺ بيانه وعلمك ما لم تكن
تعلم (كَلَّا) حقا (ان الانسان ليطغى) ليتجاوز حده ويستكبر على ربه (أن) لأن (رآه استغنى)
ان رأى نفسه غنيا قال الكلبي يرتفع عن منزلة الى منزلة في اللباس والطعام وغيرها

ثم نهده وتوعده ووعظه فقال (ان الى ربك الرجعى) أي الى الله المصير والمرجم وسيعاسبك على مالك من أين جمعته وفيه صرفته

قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن اسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال قال عبد الله: منهمومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى في الطفيان قال ثم قرأ عبد الله (إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقال الآخر (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقد روي هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ منهمومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا »

ثم قال تعالى [أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى] نزلت في أبي جهل لعنه الله توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتأيي هي احسن أولا فقال (أرأيت إن كان على الهدى) أي فما ظنك ان كان هذا الذي تنهى على الطريق المستقيمة في فعله (أو أمر بالتقوى) بقوله وأنت تزجره وتوعده على صلاته ولهذا قال (ألم يعلم بأن الله يرى ؟) أي أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي ان الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء .

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً [كلا لئن لم ينته] أي لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد [لنسفنا بالناصية] أي لنسمنها سواداً يوم القيامة ثم قال [ناصية كاذبة خاطئة] يعني ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها [فليدع ناديه] أي قومه وعشيرته أي ليدعهم يستعصروهم [سندع الزبانية] وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه

وقال مقاتل نزلت في أبي جهل كان اذا أصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿ ان الى ربك الرجعى ﴾ أي المرجم في الآخرة ﴿ أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ﴾ نزلت في أبي جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن معاذ ومحمد بن عبد الاعلى القيسي قالنا ثنا المعتز عن أبيه قال حدثني نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقبل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أولاً عفرن وجهه في التراب قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيده قال فقبل له مالك يا أبا الحكم ؟ قال ان يني وبينه لخنقنا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله ﷺ « لودنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » قال فأنزل الله لاندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه (كلا ان الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * ان الى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى) الآيات ومعنى أرأيت ههنا تعجيب المخاطب

قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال « لئن فعل لأخذته الملائكة » ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعني ابن عمرو عن عبد الكريم . وكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به

وروى احمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فربه ابو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهلك عن هذا ؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال يا محمد بأي شيء تهددني ؟ أما والله أني لأكثر هذا الوادي ناديا فأنزل الله [فليدع ناديه سندع الزبانية] وقال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من سمعته وقال الترمذي حسن صحيح

وقال الامام احمد ايضا حدثنا اسماعيل بن يزيد ابو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لأتدنه حتى أطأ على عنقه قال فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو ان اليهود تمنوا الموت لمااتوا ورأوا مقاعدكم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ رجعوا لا يجدون مالا ولا اهلا »

وقال ابن جرير ايضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح اخبرنا يونس بن ابي اسحاق عن الوليد بن الغيزار عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه فأنزل الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ هذه الآية [لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة

وكرر هذه اللفظة ثلثا كيد » أرايت ان كان على الهدى يعني العبد المنهي وهو محمد ﷺ أو أمر بالتقوى يعني بالاخلاص والتوحيد » أرايت ان كذب يعني أبا جهل » وتولى » عن الايمان وتقدير نظم الآية أرايت الذي ينهى عبدا إذا صلى وهو على الهدى أمر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان أي فما أعجب من هذا » ألم يعلم » يعني أبا جهل » بأن الله يرى » ذلك فيجازه به » كلا » لا يعلم ذلك » لئن لم ينه » عن إبداء محمد ﷺ وتكذيبه » لنسفعا بالناصية » لناخذن بناصيته فلنجرنه الى النار كما قال (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) يقال سفعت بالشيء إذا أخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس ثم قال على البدل » ناصية كاذبة خاطئة » أي صاحبها كاذب خاطي . قال ابن عباس لما نهى أبو جهل رسول الله ﷺ عن الصلاة انتهره رسول الله ﷺ فقال أبو جهل أنتهروني فوالله لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا

قال الله عز وجل » فليدع ناديه » أي قومه وعشيرته أي فليستنصر بهم » سندع الزبانية » جمع زبني مأخوذ من الزبن وهو الدفم قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموها بها لانهم يدفعون أهل

خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية [فجاء النبي ﷺ فصلي فقبل ما بمنعك ؟ قال قد اسود ما بيني وبينه من الكتائب قال ابن عباس والله لو تحرك لآخذته الملائكة والناس ينظرون اليه

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن ابيه حدثنا نعيم بن ابي هند عن ابي حازم عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم ؟ قالوا نعم قال فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولا أعفرن وجهه في التراب فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليأطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي يدبه قال فقبل له مالك ؟ فقال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال فقال رسول الله ﷺ « لودنا مني لآخذته الملائكة عضواً عضواً » قال وأنزل الله لا ادري في حديث ابي هريرة ام لا (كلا ان الانسان ليطغى) الى آخر السورة وقد رواه احمد بن حنبل ومسلم والذائي وابن ابي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به

وقوله تعالى (كلا لا تطعه) يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباليه فان الله حافظك وناصرك وهو بعصمك من الناس (واسجد واقرب) كما ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمر و بن الحارث عن عمارة بن غزيرة عن سمي عن ابي صالح عن ابي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » وتقدم أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسجد في (اذا السماء انشقت — واقراء باسم ربك الذي خلق)

(آخر تفسير سورة اقرأ والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة)

النار اليها قال الزجاج هم الملائكة الغلاظ السداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لآخذته زبانية الله ثم قال (كلا) ليس الامر على ما عليه أبو جهل (لا تطعه) في ترك الصلاة (واسجد) وصل لله (واقرب) من الله

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي ثنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ثنا احمد بن صالح واحد بن عمر بن السرح ومحمد بن سلمة قالوا أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزيرة عن سمي مولى أبي بكر انه سمع أبا صالح ذكوان يحدث عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء »

﴿ تفسير سورة القدر وهي مكية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر (١) وما أدراك ما ليلة القدر (٢) ليلة القدر خير من ألف

شهر (٣) تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر (٤) سلم هي حتى مطلع الفجر (٥)

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل [إنا أنزلناه في ليلة مباركة] وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى «عظما شأن ليلة القدر التي اختصها بأنزال القرآن العظيم فيها فقال (وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر)

قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو دارود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال سودت وجوه المؤمنين أو يامسود وجوه المؤمنين فقال : لا تؤنبنني رحمك الله فإن النبي ﷺ رأى بني أمية على منبره فساء ذلك فزلت [أنا أعطيناك الكوثر] يا محمد يعني نهراً في الجنة ونزلت (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية يا محمد ، قال القاسم فعددتنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وفقه بحج القطان وعبد الرحمن بن مهدي قال وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه

﴿ سورة القدر مكية وهي خمس آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ يعني القرآن كناية عن غير مذكور أنزله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فوضعه في بيت العزة ثم كان ينزل به جبريل عليه السلام نجوماً في عشرين سنة ثم عجب نبيه فقال ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ سميت ليلة القدر لأنها ليلة تقدير الأمور

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي إن يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخاله الحذاء وبونس بن عبيد وقال فيه بحجي بن معين هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين قال هو ثقة ، ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن كذا قال وهذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم

ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جداً قال شيخنا الامام الحافظ الحجة ابو الحجاج المزني هو حديث منكر قلت وقول القاسم بن الفضل الحداني انه حسب مدة بني أمية فوجدتها ألف شهر لا تزيد بوما ولا تنقص ليس بصحيح فان معارضة بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم اليه الحسن بن علي الامرة سنة أربعين واجتمعت البيعة لمعاوية وسمي ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم يخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والاهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدم عن الاسرة بالكافية بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الاف شهر عبارة عن ثلاث وعشرين سنة وأربعة أشهر وكان القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فيقارب ما قاله الصحبة في الحساب والله أعلم ، ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق قدم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جداً والسورة الكريمة إنما جاءت لمجد ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بني أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر إذا أنت فضلت امرأ ذابراة على ناقص كان المديح من النقص

ثم من الذي يفهم من الآية أن الاف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارة والله أعلم

والاحكام يقدر الله فيها أمر السنة في عباده وبلاده الى السنة المقبلة كقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وهو مصدر قولهم قدر الله الشيء بالتخفيف قدرا كالنهر والنهر والشعر والشعر وقدره بالتشديد تقديرأ بمعنى واحد ، قيل للحسين بن الفضل أليس قد قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض؟ قال نعم ، قيل فما معنى ليلة القدر؟ قال سرق المقادير التي خلقها الى المواقيت تنفيذ القضاء المقدر ، وقال الازهري في ليلة العظيمة والشرف من قول الناس لعلان عند الامير قدر أي جاء ومنزلة يقال قدرت فلانا أي عظمته

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا سلم يعني بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فانزل الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثني بن الصباح عن مجاهد قال كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالناهار حتى يمسي ففعل ذلك ألف شهر فانزل الله هذه الآية [ليلة القدر خير من ألف شهر] قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل

قال الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق تعظيمه وقيل لان العمل الصالح فيه يكون ذا قدر عند الله لكونه مقبولا ، واختلفوا في وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله ﷺ ثم رفعت وعامة الصعابة والعلماء على أنها باقية الى يوم القيامة

وروي عن عبد الله بن الحسين مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر قد رفعت قال كذب من قال ذلك ، قلت هي في كل شهر ؟ قال لا بل في شهر رمضان فاستقبله ، وقال بعضهم هي ليلة من ليالي السنة حتى لو علق رجل طلاق امرأته وعتق عبده بليلة القدر لا يقع مالم تمض سنة من حين حلف ، بروى ذلك عن ابن مسعود قال من يتم الحول بصباحها فبانخ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن أما انه علم انها في شهر رمضان ولكن أراد أن لا يتكل الناس ، والجمهور من أهل العلم على أنها في شهر رمضان . واختلفوا في تلك الليلة قال أبو رزين العقيلي هي أول ليلة من شهر رمضان ، وقال الحسن ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها رقعة بدر . والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في العشر الاواخر من شهر رمضان

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن أحمد الحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا هارون بن اسحاق الهمداني ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الاواخر من رمضان ويقول « تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم عن الاسود عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان عن أبي يعقوب عن أبي الضمعي عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي ﷺ اذا دخل العشر الاواخر من رمضان شد مثزره وأحبا ليله وأبغض أهله

وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني سلمة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله ﷺ يوما أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك فأتاه جبريل فقال يا محمد عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد انزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال فسر بذلك رسول الله ﷺ والناس معه وقل سفیان الثوري بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير

واختلفوا في أنها في أي ليلة من العشر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا أبو سهيل عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال « نحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان »

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الوزان أنا مكّي ابن عبدان ثنا عبد الله بن هاشم بن حيان ثنا يحيى بن سعيد القطان ثنا عبيدة بن عبد الرحمن حدثني أبي قال ذكرت ليلة القدر عند أبي بكره فقال ما أنا بطالها بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ إلا في العشر الاواخر سمعت رسول الله ﷺ يقول « التمسوها في العشر الاواخر من تسع يبعين أو سبع يبعين أو خمس يبعين أو ثلاث يبعين أو آخر ليلة » وكان أبو بكره إذا دخل رمضان يصلي كما يصلي في سائر السنة فإذا دخل العشر الاواخر اجتهد

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المنثري حدثني خالد بن الحارث ثنا حميد ثنا أنس عن عبادة بن الصامت قال : خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « خرجت لآخركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة »

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ « إني أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحريها في السبع الاواخر » وروي عن أبي سعيد الخدري أنها ليلة إحدى وعشرين

وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة ابن دعامة والشافعي وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائي عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهو اختيار ابن جرير وهو الصواب لا ما عده وهو كقوله ﷺ «رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل» رواه أحمد وأحمد وكأجاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك

مالك عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري أنه قال كان النبي ﷺ يعتكف العشر الوسطى من رمضان واعتكف عاما حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج صبحها من اعتكافه قال «من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر ، وقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد من صديحتها في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر» فقال أبو سعيد الخدري فطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوق كف المسجد قال أبو سعيد الخدري فبصرت عينا رسول الله ﷺ قد انصرف علينا وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين من صبيحة إحدى وعشرين ، وقال بعضهم هي ليلة ثلاث وعشرين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أحمد بن خالد الحمصي ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم حدثني ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه أنه قال لرسول الله ﷺ اني أكون بيادية يقال لها الوطاة واني بحمد الله أصلي بهم فبرني بليلة من هذا الشهر أنزلها إلى المسجد فأصلبها فيه فقال «انزل ليلة ثلاث وعشرين فصلها فيه وان أحببت أن تستتم آخر الشهر فافعل وان أحببت فكف» قال فكان إذا صلى العصر دخل المسجد فلم يخرج إلا من حاجة حتى يصلي الصبح فإذا صلى الصبح كانت دابته بباب المسجد

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال نذاكرنا ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ «كم مضى من الشهر؟» فقلنا اثنان وعشرون وبقي ثمان فقال «مضى اثنان وعشرون وبقي سبع اطلبوها الليلة الشهر تسع وعشرون» وقال قوم في ليلة سبع وعشرين وهو قول علي وأبي وعائشة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يعلى بن عبيد ثنا سفيان عن عاصم عن زر بن حبیش قال قلت لأبي بن كعب يا أبا المنذر أخبرنا عن ليلة القدر فان ابن مسعود عبد الله يقول من يقم الحول يصحبها فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أما انه قد علم

وقال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ « قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »

أنها في رمضان ولكن كره أن يخبركم فتشكروا هي والذي أنزل القرآن على محمد ﷺ ليلة سبع وعشرين فقلنا يا أبا المنذر أنى علمت هذا ؟ قال بالآية التي أخبرنا النبي ﷺ فحفظنا وعدناها هي والله لا يستثنى قال قلنا لزموا الآية ؟ قال تطلع الشمس كأنها فاس ليس لها شعاع

ومن علاماتها ما روي عن الحسن رفعه أنها ليلة بلجة سمجة لاحارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها ، وفي الجملة أبهم الله هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان طمعا في ادراكها كما أخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمها الاعظم في الاسماء ورضاه في الطاعات ليرغبوا في جميعها وسخطه في المعاصي لينتبهوا عن جميعها وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات حذراً من قيامها

قوله عز وجل ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ قال عطاء عن ابن عباس ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله ﷺ لذلك ونمى ذلك لامتة فقال « يارب جعلت امتي أقصر الامم أعماراً وأقلها أعمالاً » فأعطاها الله ليلة القدر فقال (ليلة القدر خير من ألف شهر) التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة قال المفسرون ليلة القدر خير من ألف شهر معناه عمل صالح في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر ليس فيها ليلة القدر حدثنا ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري املاء ثنا ابو نعيم الاسفرائيني أنا ابو عوانة ثنا ابو اسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا الزهري أخبرني ابو سلمة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال سعيد بن المسيب من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظه من ليلة القدر

وأخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابو بكر بن عبدوس المزكي ثنا ابو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن مكرم ثنا يزيد بن هارون أنا كهمس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت للنبي ﷺ ان وافيت ليلة القدر فما أقول ؟ قال « قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني »

وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر) أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون اجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له، وأما الروح فقل المراد به هبنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ والله أعلم . وقوله تعالى (من كل امر) قال مجاهد سلام هي من كل امر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الاعمش عن مجاهد في قوله (سلام هي) قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الامور وتقدر الآجال والارزاق كما قال تعالى (فيها يفرق كل امر حكيم)

وقوله تعالى (سلام هي حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور حدثنا هشام عن ابي اسحاق عن الشعبي في قوله تعالى (من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر) قال تسلم الملائكة ليلة القدر على اهل المساجد حتى يطلع الفجر

وروى ابن جرير عن ابن عباس انه كان يقرأ (من كل امرى . سلام هي حتى مطلع الفجر) وروى البيهقي في كتابه فضائل الاوقات عن علي اثرأ غريبا في نزول الملائكة ومروهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين

وروى ابن ابي حاتم عن كعب الاحبار اثرأ غريبا عجيبا مطولا جداً في تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صعبة جبريل عليه السلام الى الارض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات

وقال ابو داود الطيالسي حدثنا عمران يعني القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر انها ليلة سابعة او تاسعة وعشرين وان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى

وقال الاعمش عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله (من كل امر سلام) قال لا يحدث فيها أمر . وقال قتادة وابن زيد في قوله (سلام هي) يعني هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام احمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بجبر بن سعد عن خالد ابن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر في العشر البواقي من قامين ابتغاء حسبتهم فان الله يفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر تسم أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » وقال رسول الله ﷺ « ان أمانة ليلة القدر انها صافية بلجة كأن فيها قرأ ساطعاً ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى به حتى يصبح ، وان أمانتها أن الشمس

قوله عز وجل ﴿ تنزل الملائكة والروح ﴾ يعني جبريل عليه السلام معهم ﴿ فيها ﴾ أي في ليلة القدر ﴿ باذن ربهم من كل أمر ﴾ أي بكل أمر من الخير والبركة كقوله (يحفظونه من أمر الله) أي

صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ « وهذا إسناد حسن وفي المتن غرابة وفي بعض ألفاظه ذكرارة

وقال أبو دارود الطيالسي حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر « ليلة سمحة طرفة لاحارة ولا باردة ونصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » وروى ابن أبي عاصم النبيل بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أني رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهي في العشر الاواخر من لياليها وهي ليلة طرفة بلجة لاحارة ولا باردة كأن فيها قرأ لا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها »

(فصل) اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر في الامة السالفة أو هي من خصائص هذه الامة ؟ على قولين . قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار أمة أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر . وقد أسند من وجه آخر ، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الامة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء قاله أعلم . وحكى الخطابي عليه الاجماع ونقله الرازي جازما به عن المذهب ، والذي دل عليه الحديث أنها كانت في الامة الماضية كما هي في أمتنا

قال الامام احمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل ميمالك الحنفي حدثني مالك بن مرثد بن عبد الله حدثني مرثد قال سألت أباذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أني رمضان هي أو في غيره ؟ قال « بل هي في رمضان » قلت تكون مع الانبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي الى يوم القيامة ؟ قال « بل هي الى يوم القيامة » قلت في أي رمضان هي ؟ قال « التمسوها في العشر الاول والعشر الآخر » ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتمت غفلته قلت في أي العشرين هي ؟ قال « ابتغوها في العشر الاواخر لأنسألتني عن شيء بعدها » ثم حدث رسول الله ﷺ ثم اهتمت غفلته فقلت يا رسول الله أفسمت عليك بحتي عليك لما أخبرتني في أي العشر هي فغضب علي غضبا لم يغضب مثله منذ صحبتته وقال « التمسوها في السبع الاواخر لأنسألتني عن شيء بعدها » ورواه النسائي عن الفلاس عن يحيى بن سعيد القطان به ، ففيه دلالة على ما ذكرناه وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي ﷺ لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على

بأمر الله (سلام) قال عطاء يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته

قال الشعبي هو تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد من حين تغيب الشمس الى أن يطلع
« تفسير ابن كثير والبغوي » (٣٣) « الجزء التاسع »

ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من قوله عليه السلام « فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم » لأن المراد رفع علم وقتها عينا . وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روي عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان) حدثنا حميد بن زنجويه السامي أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثر حدثني موسى بن عقبة عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله ﷺ وأنا اسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا اسناد رجاله ثقات الا أن أبا داود قال رواه شعبة وسفيان عن أبي اسحاق فأوقفاه وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى في كل شهر رمضان وهو وجه حكاها المزالي واستغربه الرافعي جدا

(فصل) ثم قد قيل أنها تكون في أول ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي رزين وقيل أنها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبو داود حديثا مرفوعا عن ابن مسعود وروي موقوفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص وهو قول عن محمد بن ادريس الشافعي، ويحكى عن الحسن البصري، ووجهه بأنها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة هي السابعة عشر من شهر رمضان وفي صبيحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه (يوم الفرقان) وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضا رضي الله عنهما، وقيل ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري قال اعتكف رسول الله ﷺ في العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأنا جبريل فقال إن الذي تطلب أمامك فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه فأنا جبريل فقال الذي تطلب أمامك ثم قام النبي ﷺ خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال « من كان اعتكف معي فليرجع فاني رأيت ليلة القدر وإني أنسيتها وإنها في العشر الاخر في وتر وإني رأيت كافي أسجد في طين وماء » وكان سقف المسجد جريدا من النخل وما نرى في السماء شيئا فجاءت جزمة فطرونا فصلى بنا النبي ﷺ حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه وفي لفظ من صبح إحدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات، وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله ابن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد فأنه أعلم، وقيل ليلة أربع وعشرين قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن الجربري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » اسناد رجاله ثقات

الفجر ، قال الكلبي الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة سلموا عليه من ربه حتى يطلع الفجر وقيل تم الكلام عند قوله (باذن ربهم من كل أمر) ثم ابتداء فقال سلام (هي) أى ليلة القدر سلام

وقال احمد حدثنا موسى بن داود: حدثنا ابن لميعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصنابحي عن بلال قال: قال رسول الله ﷺ «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين» ابن لميعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصنابحي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله ﷺ أنها أول السبع من العشر الاواخر فهذا الموقوف أصح والله أعلم. وهكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتاده وعبد الله بن وهب أنها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث وثالة ابن الاسقع مرفوعا «ان القرآن انزل ليلة أربع وعشرين» وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال «النسوها في العشر الاواخر من رمضان في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى» فسرره كثيرون بليالي الاوتار وهو أظهر وأشهر، وحمله آخرون على الاشغاف كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين قال الامام احمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سألت أبي بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يقيم الحول يصيب ليلة القدر قال يرجعه الله لقد علم أنها في شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك؟ قال بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لاشعاع لها يعني الشمس

وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والاوزاعي عن عبدة عن زر عن أبي فذكره وفيه فقال والله الذي لا إله إلا هو إنها في رمضان يحلف ما يستثني والله إنني لأعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها هي ليلة سبع وعشرين، وإما أنها أن تطلع الشمس في صبيحتها بيضاء لاشعاع لها، وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الامام احمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا

وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هي) لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فأنه أعلم

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا اسحاق بن ابراهيم الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فاجمعوا أنها في العشر الاواخر قال ابن عباس فقلت لعمر إنني لأعلم أو إنني لأظن أي ليلة القدر هي فقال عمرو أي ليلة هي؟ فقلت سابعة تمضي - أو سابعة تبقى - من العشر الاواخر فقال

وخير كلها ليس فيها شر قال الضحاك لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة

عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الشهر يدور على سبع وخلق الانسان من سبع وبأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمي الجمار سبع لاشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لامر ما فطناله، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله وبأكل من سبع قال هو قول الله تعالى (فانبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وهذا اسناد جيد قوي ومتن غريب جداً فالحق أعلم وقيل إنها تكون في ليلة تسع وعشرين

وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله ابن محمد بن عقيل عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال رسول الله ﷺ « في رمضان فالتمسوها في العشر الاواخر فانها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة »

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر « انها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين ان الملائكة تلك الليلة في الارض أكثر من عدد الحصى » تفرد به أحمد واسناده لا بأس به ، وقيل انها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث أنفا وما رواه الترمذي والنسائي من حديث عينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال « في تسع يمين أو سبع يمين أو خمس يمين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر » وقال الترمذي حسن صحيح . وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر انها آخر ليلة

(فصل) قال الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جواباً للسائل إذا قيل له أنتم تسعون ليلة القدر في الليلة الغلانية ؟ يقول « نعم » وأما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل فله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تنتقل في العشر الاواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الاشبه والله أعلم

وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر من رمضان فقال رسول الله ﷺ « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحريها في السبع الاواخر » وفيهما أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان » ولفظه البخاري: ويحتاج لشافعي أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال

وقال مجاهد يعني ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ولا أن يحدث فيها

« خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة إذ لو كانت تنقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط اللهم إلا أن يقال إنه أخرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط

وقوله « فتلاحي فلان وفلان فرفعت » فيه استئناس لما يقال إن الماراة تقطع الفائدة والعلم النافع كما جاء في الحديث « أن العبد ليحرم الرزق بالذنب بصيئه » وقوله « فرفعت » أي رفع علم تعيينها لكم لأنها رفعت بالسكينة من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لأنه قد قال بعده « فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وقوله « وعسى أن يكون خيراً لكم » يعني عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتنائها في جميع محال رجائها فكان أكثر العبادة بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت المهم تنقاصر على قيامها فقط وإنما اقتضت الحكمة إيهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر ولهذا كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده . أخرجه من حديث عائشة ، ولها عن ابن عمر كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الاواخر من رمضان ، وقالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحبى الليل وأيقظ أهله وشد المنزر أخرجه ، وسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره وهذا معنى قولها وشد المنزر ، وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الامرين لما رواه الامام احمد حدثنا شريح حدثنا ابو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انفرد به احمد

وقد حكى عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأته في شرح الرافعي رحمه الله . والمستحب الاكثار من الدعاء في جميع الاوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الاخير منه ثم في أوتاره أكثر . والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني لما رواه الامام احمد حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجوهري وهو سعيد بن إياس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فما أدعو ؟ قال « قل اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني »

وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله أرأيت ان علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال « قل اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني » وهذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال صحيح هذا على شرط الشيخين ورواه النسائي ايضا من طريق سفيان الثوري عن علقمة بن

أذى (حتى مطلع الفجر) أي الى مطلع الفجر قرأ الكسائي مطلع بكسر اللام والآخرون بفتحها وهو

مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال « قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني »

(ذكر أثر غريب ونبا عجيب يتعلق بليلة القدر) رواه الامام ابو محمد بن ابي حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا ابي حدثنا عبد الله بن ابي زياد القطواني حدثنا سيار بن حاتم حدثنا موسى بن سعيد يعني الراسبي عن هلال بن ابي جبلة عن ابي عبد السلام عن ابيه عن كعب انه قال ان سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم الا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على اغصانها في كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادي الله جبريل ان ينزل في كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك الا قد اعطي الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر الا وعليها ملك إما ساجد وإما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات الا أن تكون كنيصة او بيعة او بيت نار او وثن او بعض اما كنكم التي تطرحون فيها الخبث او بيت فيه سكران او بيت فيه مسكر او بيت فيه وثن منصوب او بيت فيه جرس معلق أو موبلة أو مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون يلبثون تلك يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع احدا من المؤمنين الا صاحبه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصالحة جبريل

وذكر كعب ان من قال في ليلة القدر : لا اله الا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلنا لكعب الاخبار يا ابا اسحاق صادقا فقال لكعب الاخبار وهل يقول لا اله الا الله في ليلة القدر إلا كل صادق والذي نفسي بيده ان ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الافق الأعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما إلا في تلك الساعة فنصير الشمس لا شعاع لها ثم يدعو ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الارض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك في دعا ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان إيمانا واحتسابا ودعا لمن حدث نفسه ان عاش إلى قابل صام رمضان لله فإذا أمسوا دخلوا الى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجتمع اليهم ملائكة السماء الدنيا فيسألونهم عن رجل ورجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه العام؟ فيقولون وجدنا فلانا عام اول في هذه الايلة متعبداً ووجدناه العام مبتدعا . ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك

الاختبار بمعنى الطلوع على المصدر يقال طلع الفجر طلوعا ومطلعا والكسر موضع الطلوع

ويقولون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راکما وفلانا ساجدا ووجدناه تالياً لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليتهم حتى يصعدون الى السماء الثانية ففي كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى يا سكانني حدثوني عن الناس وسموهم لي فان لي عليكم حقاً واني احب من احب الله فذكر كعب الاحبار انهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبريني بما أخبرك ساكنك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم الي فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان ، ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذي وجدته عام اول على السنة والعبادة ووجدته العام قد احدث حدثاً وتولى عما امر به فيقول الله يا جبريل ان تاب فأعتبني قبل ان يموت بثلاث ساعات غفرت له فيقول جبريل لك الحمد إلهي انت ارحم من جميع خلقك وانت ارحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال فيرتج العرش وما حولها والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم ، قال وذكر كعب انه من صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر رمضان ان لا بعصي الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب

﴿ آخر تفسير سورة ليلة القدر والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة لم يكن وهي مدنية

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن ابي سلمة أخبرنا علي بن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت أبا حبة البصري وهو مالك بن عمرو بن ثابت الانصاري قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها قال جبريل بارسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أيها فقال النبي ﷺ لا بني « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة » قال أبي وقد ذكرت ثم بارسول الله ؟ قال « نعم » قال فبكي أبي

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ لا بني بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) قال وسماني لك ؟ قال « نعم » فبكي ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم المقرئ عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عن أبيه عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا قلت يا رسول الله وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له يا أبا المنذر ففرحت

بذلك؟ قال وما يمنعني والله يقول قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال مؤمل قلت لسفيان القراءة في الحديث؟ قال نعم تفرد به من هذا الوجه

(طريق أخرى) قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالوا حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله ﷺ قال لي « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن - قال فقرأ - (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) - قال فقرأ فيها - ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره » ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

(طريق أخرى) قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا المنذر إني أمرت أن أعرض عليك القرآن؟ » قال بالله أمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت ، قال فرد النبي ﷺ القول ، قال فقال يا رسول الله وذرت هناك؟ قال نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى » قال فقرأ إذا يا رسول الله . هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتا له وزيادة لإيمانه فانه كما رواه أحمد والنسائي من طريق أنس عنه ، ورواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه - كان قد أنكر على إنسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة شيء من القرآن على خلاف ما قرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي ﷺ فاستقرأهما وقال لكل منهما « أصبت » قال أبي فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ في صدره قال أبي ففضت عرقا وكأنا أنظر إلى الله فرقا وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرئ . أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال ان الله يأمرك أن تقرئ . أمتك القرآن على سبعة أحرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه وانقطعه في أول التفسير فلما نزلت هذه السورة وفيها (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) فيها كتب قيمة) قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة ابلاغ وتثبيت وانذار لا قراءة تعلم واستدكار والله أعلم .

وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يوم الحديبية عن تلك الاسئلة وكان فيما قال أولم تكن نخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال « بلى فأخبرتكم أنك تأتية عامك هذا » قال لا

(سورة لم يكن ٩٨ جز ٣٠) منة الله على الكفار من اليهود والنصارى بارسال محمد ﷺ اليهم ٢٦٥

« قال فانك آتبه ومطوف به » فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية كما تقدم

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه أسما الصعابة من طريق محمد بن اسماعيل الجعفري المدني حدثنا عبد الله بن سلمة بن أسلم عن ابن شهاب عن اسماعيل بن أبي حكيم المزني حدثني فضيل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزني لا يمكن لك في الجنة حتى ترضى » حديث غريب جداً

(١) وقد رواه الحافظ أبو موسى المدني وابن الاثير من طريق الزهري عن اسماعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني أو المدني عن النبي ﷺ « ان الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدي فوعزني لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولا يمكن لك في الجنة حتى ترضى »

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة (١)
رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة (٢) فيها كتب قيمة (٣) وما تفرق الذين أوتوا السكت إلا من بعد ما جاءتهم البينة (٤) وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة (٥)

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الاوثان والذيران من العرب ومن العجم وقال مجاهد لم يكونوا (منفكين) يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة (حتى

﴿ سورة لم يكن مدنية وهي ثمان آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ والمشركون ﴾ وهم عبدة الاوثان ﴿ منفكين ﴾ منتهين عن كفرهم وشرهم
وقال أهل اللغة منفكين زائلين منفصلين يقال فككت الشيء فانفك اي انفصل ﴿ حتى تأتيهم البينة ﴾ لفظه مستقبل ومعناه الماضي اي حتى أتتهم الحجة الواضحة يعني محمداً ﷺ أنام بالقرآن فبين (تفسير ابن كثير والبغوي) (٣٤) (الجزء التاسع)

تأتيهم البينة (أي هذا القرآن ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)

ثم فسر البينة بقوله (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) يعني محمداً ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتتب في الملائكة الأعلى في صحف مطهرة كقوله (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة)

وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) قال ابن جرير أي في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة (رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة) يذكر القرآن باحسن الذكر ، ويثني عليه باحسن الثناء وقال ابن زيد (فيها كتب قيمة) مستقيمة معتدلة

وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) كقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيانات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافاً كثيراً كما جاء في الحديث المروي من طرق إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وسنمترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا من هم يا رسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي »

وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) كقوله (وما أرسلنا من قبلك من

لهم ضلالتهم وجهاً لهم ودعاهم إلى الإسلام والابتن بهذه الآية فيمن آمن من الفريقين أخبر أنهم لم يفتنوا من الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فأمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة ثم فسر البينة فقال (رسول من الله يتلو) يقرأ (صحفاً) كتباً يريد ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها وهو القرآن لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لاعت كتاب

قوله (مطهرة) من الباطل والكذب والزور (فيها) أي في الصحف (كتب) يعني الآيات والاحكام المكتوبة فيها (قيمة) عادلة مستقيمة غير ذات عوج ، ثم ذكر من لم يؤمن من أهل الكتاب فقال (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) في أمر محمد ﷺ (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) أي البيان في كتبهم انه نبي مرسل ، قال المفسرون لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في نصديق محمد ﷺ حتى بعث الله فلما بعث تفرقوا في أمره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ، وقال بعض أئمة اللغة معنى قوله (منفكين) أي هالكين من قولهم انفك صلاً المرأة عند الولادة وهو أن ينفصل فلا يلتئم فتهلك ، ومعنى الآية لم يكونوا هالكين معذبين إلا من بعد قيام الحجة عليهم بإرسال الرسول وإنزال الكتاب والاول أصح ، ثم ذكر ما أمروا به في كتبهم فقال (وما أمروا) يعني هؤلاء الكفار (إلا ليعبدوا الله) يعني إلا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) قال ابن عباس ما أمروا في التوراة

رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (حنفاء) أي محتجبين من الشرك الى التوحيد كقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الانعام بما أغنى عن اعادته ههنا (وقيموا الصلاة) وهي أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهي الاحسان الى الفقراء والمحتاجين (وذلك دين القيمة) أي الملة القائمة العادلة أو الامة المستقيمة المعتدلة وقد استدلل كثير من الائمة كالزهري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الاعمال داخلة في الايمان ولهذا قال (وما أمر إلا بالعبادة الله مخلصين له الدين حنفاء وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة

إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خلدين فيها أولئك هم شر البرية (٦)

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية (٧) جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري

من تحتها الأنهار خلدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه (٨)

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفر أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسله أنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدون فيها أي ما كثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية) أي شر الخليقة التي يرأها الله وذراها

ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بآدابهم بأنهم خير البرية وقد استدلل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله (أولئك هم خير البرية) ثم قال تعالى (جزاؤهم عند ربهم) أي يوم القيامة (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا) أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضي الله عنهم ورضوا عنه)

والانجيل إلا باخلاص العبادة لله موحدين (حنفاء) مائلين عن الأديان كلها الى دين الاسلام (وقيموا الصلاة) المكتوبة في أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) عند محلها (وذلك) الذي أمروا به (دين القيمة) أي الملة والشريعة المستقيمة أضاف الدين الى القيمة وهي نعمته لاختلاف اللفظين وأنت القيمة ردأ بها الى الملة وقيل الهاء فيه للمباينة وقيل القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو اليه وتأمر به كما قال (وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) قال النضر بن شميل سألت الخليل بن احمد عن قوله [وذلك دين القيمة] فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد وعجاز الآية وذلك دين القائمين لله بالنوحيد ثم ذكر ما للفريقين فقال (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدون فيها أولئك هم شر البرية) قرأ نافع وابن عامر البرية بالهمزة في الحرفين لانه من قولهم برأ الله الخلق، وقرأ الآخرون مشدداً بغير همز كالذرية ترك همزها في الاستعمال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) جزاؤهم عند ربهم

ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العظيم . وقوله تعالى (ذلك لمن خشي ربه) أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه وعبداه كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه

وقال الامام احمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما كانت هيمة استوى عليه ، ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « رجل في ثلثة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ألا أخبركم بشر البرية ؟ » قالوا بلى قال « الذي يسأل بالله ولا يعطي به »

(آخر تفسير سورة لم يكن والله لحد والمنة)

تفسير سورة اذا زلزلت وهي مكية

وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم العجلي حدثنا ثابت قال الامام احمد حدثنا ابو عبد الرحمن حدثنا سعد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال : أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أقرئني يا رسول الله قال له « اقرأ ثلاثا من ذوات الراء » فقال له الرجل كبر سنني واشتد قلبي وغاظ لسانني ، قال « فاقراء من ذوات حم » فقال مثل مقالته الاولى ، فقال « اقرأ ثلاثا من المسبحات » فقال مثل مقالته ، فقال الرجل ولكن أقرئني يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه (اذا زلزلت الارض زلزالها) حتى اذا فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ « أفلاح الرويجل ، أفلاح الرويجل - ثم قال - علي به - فجاءه فقال له - أمرت بيوم الاضحى جعله الله عيداً لهذه الامة » فقال له الرجل أرايت إن لم أجد إلا منيحة أنثى فأضحي بها ؟ قال لا ولكنك تأخذ من شعرك وتعلم أظفارك وتنص

جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدن فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه » وتناهى عن المعاصي ، وقيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ربا ومديراً والرضا عنه فيما يقضي ويقدر ، قال السري السقطي رحمه الله إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشر ثنا غندر ثنا شعبة سمعت قتادة عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ لا بى « ان الله تعالى أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) قال وسماي ربي ؟ قال « نعم » فبكي ، وقال همام عن قتادة أمرني أن أقرأ عليك القرآن

شاربك وتحلق عاتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل « وأخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ به

وقال الترمذي حدثنا محمد بن موسى الجويني البصري حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلي حدثنا ثابت البناني عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن مسلم ، وقد رواه البزار عن محمد بن موسى الجويني عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد : تعدل ثلث القرآن ، واذا زلزلت تعدل ربع القرآن » هذا لفظه

وقال الترمذي أيضا حدثنا علي بن حجر حدثنا يزيد بن هارون حدثنا يمان بن المغيرة الغزي حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة

وقال أيضا حدثنا عقبة بن مكرم العمي البصري حدثني ابن أبي فديك أخبرني سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان ؟ » قال لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج ؟ قال « أليس معك قل هو الله أحد ؟ - قال بلى ، قال - ثلث القرآن - قال - أليس معك اذا جاء نصر الله والفتح ؟ - قال بلى ، قال ربع القرآن - قال - أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ - قال بلى قال - ربع القرآن - قال - أليس معك اذا زلزلت الارض - ؟ قال بلى ، قال - ربع القرآن تزوج » ثم قال هذا حديث حسن ، تفرد بهن ثلاثين الترمذي لم يروه من أصحاب الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالُهَا (٢) وقال الانسن مالها؟

(٣) يومئذ تحدث أخبارها (٤) بأن ربك أوحى لها (٥) يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليرؤا

أعمالهم (٦) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (٧) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (٨)

قال ابن عباس (اذا زلزلت الارض زلزالها) أي تحركت من أسفلها وأخرجت الارض أنفالها

﴿ سورة الزلزلة مكية وهي ثمان آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا زلزلت الارض ﴾ حركت الارض حركة شديدة لقيام الساعة ﴿ زلزالها ﴾ تحريكها

يعني ألفت مافيا من الموقى قاله غير واحد من الساف وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله (واذا الارض مدت وألفت مافيا وتخلت)
وقال مسلم في صحيحه حدثنا واصل بن عبد الاعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تلقي الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجبي القاتل فيقول في هذا قتلت ، ويجبي القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ، ويجبي السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا »
وقوله عز وجل (وقال الانسان مالها) أي استنكر أمرها بعد ما كانت قارة ساكنة ثابتة رهو مستقر على ظهرها أي تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعد لها من الزلزال الذي لا يحيد لها عنه ثم ألفت مافي بطنها من الاموات من الاولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقوله تعالى (يومئذ تحدث أخبارها) أي تحدث بما عمل العاملون على ظهرها
قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب

﴿ وأخرجت الارض أنفالها ﴾ موناها وكنوزها فتلقيا على ظهرها

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر بن عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا واصل بن عبد الاعلى ثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « تلقي الارض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجبي القاتل فيقول في هذا قتلت ، ويجبي القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ، ويجبي السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » (وقال الانسان مالها) قيل في الآية تقديم وتأخير تقديره ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ فيقول الانسان مالها ؟ أي نخبر الارض بما عمل عليها

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد ابن أبي أيوب ثنا يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله ﷺ

(١) هذا غير موجود
بالنسخة المكية

(١) وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الخدسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تحفظوا من الأرض فإنها أمكم وأنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة »

وقوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) قال البخاري أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أي أوحى إليها ، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس [يومئذ تحدث أخبارها] قال قال لها ربها قولي فقات ، وقال مجاهد أوحى لها أي أمرها وقال القرظي أمرها أن تلتشق عنهم

وقوله تعالى [يومئذ يصدر الناس أشتاناً] أي يرجعون عن موقف الحساب أشتاناً أي أنواعاً وأصنافاً ما بين شقي وسعيد ، وأمور به إلى الجنة وأمور به إلى النار ، قال ابن جريج يتصدعون أشتاناً فلا يجتمعون آخر ما عليهم ، وقال السدي أشتاناً فرقا

وقوله تعالى [ليروا أعمالهم] أي ليعملوا ويحازوا بما عملوه في الدنيا من خير وشر ولهذا قال [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره]

قال البخاري حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « الخيل لثلاثة : رجل أجر ورجل ستر وعلى رجل وزر ، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستقت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأروائها حسنات له ، ولو أنها صرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له ، وهي لذلك الرجل أجر . ورجل ربطها تغنياً وتنعفاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهي على ذلك وزر » فمثل رسول الله ﷺ عن الحر فقال « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة (من يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به

هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل علي كذا وكذا يوم كذا وكذا » قال - فهذه أخبارها « (بأن ربك أوحى لها) أي أمرها بالكلام وأذن لها بأن تخبر بما عمل عليها ، قال ابن عباس والقرظي أوحى إليها ، وبجاز الآية يوحي الله إليها ، يقال أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد

قوله تعالى (يومئذ يصدر الناس) يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض (أشتاناً) متفرقين فأخذ ذات اليمين إلى الجنة وأخذ ذات الشمال إلى النار كقوله (يومئذ يتفرقون - يومئذ

عن أبيه
عن أبيه

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن بن صمصمة بن معاوية عم الفرزدق انه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال : حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها وهكذا رواه النسائي في التفسير عن ابراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا صمصمة عم الفرزدق فذكره

وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعا « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وله أيضا في الصحيح « لانهن من المعروف شيئا ولو أن تغرق من دلوك في اناء المستسقي ولو أن تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط » وفي الصحيح أيضا « يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجاراتها ولو فرسن شاة » يعني ظلفها. وفي الحديث الآخر « ردوا السائل ولو بظلف محرق »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبدالله الانصاري حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبدالله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « يا عائشة استعرجي من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجانم مسدها من الشيطان » تفرد به أحمد

وروي عن عائشة انها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة . وقال الامام احمد : حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر بن عبدالله بن الزبير حدثني عوف بن الحارث بن الطويل ان عائشة أخبرته ان النبي ﷺ كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن يانك به

وقال ابن جرير حدثني أبو الخطاب الحسائي حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا معاذ بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله أتني أجزئ بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال « يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه أبي الخطاب به

يصدعون) (ليروا أعمالهم) قال ابن عباس ليروا جزاء أعمالهم ، والمعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار (فمن يعمل مثقال ذرة) وزن غلة صغيرة أصغر ما تكون من النمل (خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا في الدنيا إلا أراه الله له يوم القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته ، قال محمد بن كعب في هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهل وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال في كتاب أبي قلابة عن أبي ادريس ان أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ فذكره ورواه أيضا عن يعقوب عن ابن عليه عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا بكر وذكره

(طريق أخرى) قال ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حبي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لما نزلت (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى حين أنزلت فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال يبكي في هذه السورة فقال له رسول الله ﷺ «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم»

(حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بعلاء المصري قال حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لهيعة أخبرني هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال لما أنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (قلت يا رسول الله إني لراء عملي؟ قال «نعم» قلت تلك الكبار الكبار؟ قال «نعم» قلت الصغار الصغار؟ قال «نعم» قلت وائسكل أمي قال «أبشر يا أبا سعيد فان الحسنه بعشر أمثالها - يعني الى سبعائة ضعف - وبضاعف الله لمن يشاء، والسيئة بمثلها أو يعفو الله ولن ينجو أحد منكم بعمله» قلت ولا أنت يا رسول الله؟ قال «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة» قال أبو زرعة لم يرو هذا غير ابن لهيعة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وذلك لما نزلت هذه الآية (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)

وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر، قال مقاتل نزلت هذه الآية في رجلين وذلك انه لما نزل (ويطعمون الطعام على حبه) كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحوها بقول ما هذا بشي. أما تؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنوب اليسير كالكدبة والغيبة والنظرة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبار وليس في هذا أثم، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك أن يكثروا ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكثروا فلا أثم الصغير في عين صاحبه اعظم عند الله من الجبال يوم القيامة وجميع محاسنه اقل من كل شيء، قال ابن مسعود أحكم آية في القرآن (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وكان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفاذا حين سئل

كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل اذا أعطوه فيجزي المسكين الى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه النمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشي . إنما تؤجر على ما تعطى ونحن نجبه ، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة والنظرة والغيبة وأشياء ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه فانه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك أن يكثر فنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة) يعني وزن أصغر النمل (خيراً) يره) يعني في كتابه وبسرّه ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فاذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرًا وبمجموعه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « يا أيكم ومحقرات الذنوب قاتهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وان رسول الله ﷺ ضرب لمن مثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صانع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجزي بالعود والرجل يجزي بالعود حتى جمعوا سواداً وأججوا ناراً وأنضجوا ما قدفوا فيها

﴿ آخر تفسير سورة إذا زلزلت ولله الحمد والمنة ﴾

عن زكاة الخير فقال « ما أنزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) » ونصدق عمر بن الخطاب وعائشة بحجة عنب وقال فيها مثاقيل كثيرة ، وقال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعظة

اخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي اخبرنا محمد بن القاسم ثنا ابو بكر ابن محمد بن عبد الله ثنا الحسين بن سفيان ثمال بن حنبل ثنا يزيد بن هارون ثنا اليان بن المنيرة ثنا عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « اذا زلزلت الارض تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن »



تفسير سورة العاديات وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعنيت ضيحا (١) فالمريرات قدحا (٢) فالغيرات صبيحا (٣) فأثرن به نقعا (٤)
فوسطن به جمعا (٥) إن الإنسان لربه لكنود (٦) وإنه على ذلك لشهيد (٧) وإنه لحب الخير
لشديد (٨) أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور؟ (٩) وحصل ما في الصدور (١٠) إن ربهم
بهم يومئذ خبير (١١)

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من الفرس
حين تعدو (فالمريرات قدحا) يعني اصطكاك نعالها بالصخر فتقدح منه النار (فالغيرات صبيحا)
يعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحا ويستمع الاذان فان سمع أذانا وإلا
أغار . وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) يعني غبارا في مكان معترك الخيول (فوسطن به جمعا) أي
توسط ذلك المكان كاهن جمع

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله
(والعاديات ضيحا) قال الابل وقال علي هي الابل وقال ابن عباس هي الخيل فبانغ عليا قول ابن عباس
فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس إنما كان ذلك في سرية بعثت
قال ابن أبي حاتم وابن جرير وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية
البجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا في الحجر جالسا جاءني رجل فسألني عن

﴿ سورة والعاديات مكية وهي إحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعاديات ضيحا ﴾ قال ابن عباس وعطا . ومجاهد وعكرمة والحسن والكلبي وقنادة ومقاتل
وابوالعالية وغيرهم هي الخيل العادية في سبيل الله تضبح والضبح صوت أجوافها إذا عدت ، قال ابن
عباس وإيس شيء من الحيوانات يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات
إذا تغير حالها من تعب أو فزع وهو من قول العرب ضبحته النار إذا غيـرت لونه ، وقوله ضيحا نصب
على المصدر مجازة والعاديات تضبح ضيحا

(العاديات ضبعا) فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانقتل عني فذهب الى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبعا فقال سألت عنها أحدا قبلي؟ قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال اذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال أنفتي الناس بما لا علم لك؟ والله لئن كان أول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس المقداد فكيف تكون العاديات ضبعا؟ إنما العاديات ضبعا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى، قال ابن عباس فتزعت عن قولي ورجعت الى الذي قال علي رضي الله عنه، وبهذا الاسناد عن ابن عباس قال: قال علي إنما العاديات ضبعا من عرفة الى المزدلفة فاذا أوا الى المزدلفة أورو النيران، وقال العوفي وغيره عن ابن عباس هي الخيل، وقد قال يقول علي إنها الابل جماعة منهم ابراهيم وعبيد بن عمير، وقال يقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء، ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبج أح، وقال أكثر هؤلاء في قوله (فالموريات قدحا) يعني بحوافرها وقيل اسمعن الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد فالموريات قدحا يعني مكر الرجال وقيل هو ابقاد النار اذا رجعوا الى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرهما بالخيل هو ابقاد النار بالمزدلفة قال ابن جرير والصواب الاول أنها الخيل حين تقدح بحوافرها

وقوله تعالى (فالمغيرات صبعا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني اغارة الخيل صبعا في سبيل

وقال علي هي الابل في الحج تعدون عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى، وقال كانت أول غزوة في الاسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس المقداد بن الاسود فكيف تكون الخيل العاديات؟ والى هذا ذهب ابن مسعود ومحمد بن كعب والسدي، وقال بعض من قال هي الابل قوله (ضبعا) يعني ضبا حاتم أعناقها في السير (فالموريات قدحا) قال عكرمة وعطاء والضحاك ومقاتل والسكبي هي الخيل توري النار بحوافرها اذا سارت في الحجارة يعني والقادحات قدحا يقدحن بحوافرهن، وقال قتادة هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هي الخيل تغزو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون نارهم ويصنعون طعامهم، وقال مجاهد وزيد بن أسلم هي مكر الرجال يعني رجال الحرب، والعرب تقول اذا أراد الرجل أن يكر بصاحبه أما والله لا قدح لك ثم لا روين لك وقال محمد بن كعب هي النيران نجم (فالمغيرات صبعا) هي الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح هذا قول أكثر المفسرين وقال القرظي هي الابل تدفع بركبانهما يوم النحر من جمع المزدلفة الى منى، والسنة أن لا تدفع حتى تصبح، والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كما تغير (فأرن

الله ، وقال من فسرهما بالابل هو الدفع صبيحا من المزدلفة الى منى وقالوا كلهم في قوله (فأترن به نقعا) هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار اما في حج أو غزو

وقوله تعالى (فوسطن به جمعا) قال العوفي عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقنادة والضحاك يعني جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعهم ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة ، وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جدا فقال : حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا حفص بن جهم حدثنا ميمون عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلا فاشهرت شهرأ لا يأتية منها خبر فنزلت (والعاديات ضبيحا) ضبحت بأرجلها (فالمرديات قدحا) قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا (فالغيرات صبيحا) صبحت القوم بغارة (فأترن به نقعا) أثارت بحوافرها الزراب (فوسطن به جمعا) قال صبحت القوم جميعا

وقوله تعالى (إن الانسان لربه لكنود) هذا هو المقسم عليه بمعنى انه لنعم ربه لكفور جمود قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقنادة والربيع بن أنس وابن زيد الكنود الكفور قال الحسن الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ إن الانسان لربه لكنود قال « الكنود الذي يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفته » ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف ، وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي امامة موقوفا وقوله تعالى (وانه على ذلك لشهيد) قال قنادة وسفيان الثوري وان الله على ذلك لشهيد ويحتمل

٤) أي هيجن بمكان سيرها كناية عن غير مذكور لان المعنى مفهوم (نقعا) غبارا والنقع الغبار (فوسطن به جمعا) أي دخلن به وسط جمع العدو وهم الكتيبة يقال وسطت القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بالتشديد كلها بمعنى واحد قال الفرطني يعني جمع منى أقسم الله به هذه الاشياء (ان الانسان لربه لكنود) قال ابن عباس ومجاهد وقنادة لكنود لكفور جمود لنعم الله تعالى قال الكلبي هو بلسان مضر وربيعة الكفور وبلسان كندة وحضر موت العاصي ، وقال الحسن ه الذي يعد المصائب وينسى النعم ، وقال عطاء هو الذي لا يعطى في النأبة مع قومه ، وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التي لا تثبت شيئا ، وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي أنسته الحصلة الواحدة من الاساءة الحصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذي أنسته الحصلة الواحدة من الاحسان الحصال الكثيرة من الاساءة

(وانه على ذلك لشهيد) قال أكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا شاهد ، وقال

أن يعود الضمير على الانسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وان الانسان على كونه كنودا لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهراً ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر)

وقوله تعالى (وانه لحب الخير لشديد) أي وانه لحب الخير وهو المال لشديد ، وفيه مذهبان [أحدهما] أن المعنى وانه لشديد المحبة للمال [والثاني] وانه لحرص بص بئس من محبة المال وكلاهما صحيح

ثم قال تبارك وتعالى مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة ومنها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الانسان من الاهیال (أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ؟) أي أخرج ما فيها من الاموات (وحصل ما في الصدور) قال ابن عباس وغيره يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) أي عالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة

آخر تفسير سورة العاديات والله الحمد والمنة

ابن كيسان الهاء راجعة الى الانسان أي انه شاهد على نفسه بما يصنع (وانه) يعني الانسان (لحب الخير) أي لحب المال (لشديد) أي لبخل أي انه من أجل حب المال لبخل يقال لبخل شديد ومتشدد وقبل معناه وانه لحب الخير لقوي أي شديد الحب للخير أي المال (أفلا يعلم) هذا الانسان (إذا بعثر) وأثير وأخرج (ما في القبور وحصل ما في الصدور) أي ميز وأبرز ما فيها من خير أو شر (ان ربهم بهم) جمع الكناية لان الانسان اسم الجنس (يومئذ لخبير) عالم قال الزجاج الله خير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم



تفسير سورة القارعة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة (١) ما القارعة ؟ (٢) وما أدراك ما القارعة ؟ (٣) يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (٤) وتكون الجبال كالعهن المنفوش (٥) فأما من ثقلت موازينه (٦) فهو في عيشة راضية (٧) وأما من خفت موازينه (٨) فأما هو عليه (٩) وما أدراك ما هي ؟ (١٠) نار حامية (١١)

القارعة من أسماء يوم القيامة كالخافق والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك . ثم قال تعالى معظما أمرها ومهولا لشأنها ' وما أدراك ما القارعة ؟ ' ثم فسر ذلك بقوله (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيبهم من جبرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى في الآية الأخرى (كأنهم جراد منتشر)

وقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يعني قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذي قد شرع في الذهاب والتمزق قل مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك والسدي (العهن) الصوف

ثم أخبر تعالى عما يؤل إليه عمل العاملين وما يصيرون إليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال (فأما من ثقلت موازينه) أي رجعت حسناته على سيئاته (فهو في عيشة راضية) يعني في الجنة (وأما من خفت موازينه) أي رجعت سيئاته على حسناته

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكية وقيل مدنية وهي إحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القارعة ﴾ اسم من أسماء القيامة لأنها تفرع القلوب بالفزع ﴿ ما القارعة ؟ ﴾ فهو بل وتعظيم ﴿ وما أدراك ما القارعة ؟ ﴾ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴿ الفراش الطير التي تراها تنهات في النار والمبثوث المفرق ، وقال الفراء كغواجر الجراد شبه الناس عند البعث بها يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من الهول كما قال (كأنهم جراد منتشر) ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ كالصوف المندوف ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ رجعت حسناته ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ مرضية في الجنة قال الزجاج ذات رضا برضاها صاحبها ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ رجعت سيئاته على حسناته

٢٨٠ مقدار حرارة جهنم وبيان أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءا منها (نفسيرا ابن كثير والبغوي)

وقوله تعالى (فأمة هاوية) قيل معناه فهو ساقط هاو بأمر رأسه في نار جهنم وعبر عنه بأمة يعني دماغه روي نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح وقتادة قال قتادة يهوي في النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهويون في النار على رؤوسهم ، وقيل معناه فأمة التي برجم اليها وبصبر في المعاد اليها هاوية وهي اسم من أسماء النار

قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمة لانه لا مأوى له غيرها ، وقال ابن زيد الهاوية النار هي أمة ومأواه التي يرمي اليها ويأوي اليها وقرأ (ومأواهم النار) قال ابن أبي حاتم وروي عن قتادة أنه قال هي النار وهي مأواهم ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية (وما أدراك ما هي ؟ نار حامية)

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الأعشى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا قال ويسألونه ما فعل فلان ؟ فيقول مات أو ما جاءكم فيقولون ذهب به إلى أمة الهاوية وقد رواه ابن مردويه عن طريق انس بن مالك مرفوعاً بأبسط من هذا وقد أوردناه في كتاب صفة النار أجازنا الله تعالى منها بمنه وكرمه

وقوله تعالى [نار حامية] أي حارة شديدة الحرارة قوية الاله والسمير . قال أبو بصير عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال « أنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا » ورواه البخاري عن اسماعيل بن أبي أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتبية عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به ، وفي بعض ألفاظه « أنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كهن مثل حرها »

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبي زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت ابا القاسم ﷺ يقول « نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » فقال رجل إن كانت لكافية فقال « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا أخرها » تفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم

وروى الامام احمد أيضاً حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وعمره عن يحيى بن جعدة « ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجه من هذا الوجه وقد رواه مسلم في صحيحه من طريق (١) ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا »

(١) هنا يابض بالأصل

(فأمة هاوية) مسكنه النار سمي المسكن أما لان الأصل في السكون الى الامهات والهاوية اسم من أسماء جهنم وهي المهواة لا يدرك قعرها ، وقال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد

وقد قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا عبدالعزيز هو ابن محمد الدراوردي عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة (رض) عن النبي ﷺ قال «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم» تفرد به أيضاً من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضاً

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى الفزاز عن مالك عن عمه أبي سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم؟ لمي اشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً» وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه

وروى الترمذي وابن ماجه عن عباس الدوري عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «أوقد على النار الف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها الف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب

وجاء في الحديث عند الامام احمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة المعدي عن أبي سعيد ومجملان مولى المشمعل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلي منهما دماغه»

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها» وفي الصحيحين «إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم»

﴿ آخر تفسير سورة القارعة والله الحمد ﴾

يقال هوت أمه وقبل أراد أم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رؤسهم وإلى هذا التأويل ذهب قتادة وأبو صالح ﴿وما أدراك ما هي﴾ يعني الهاوية وأصلها ما هي أدخل الماء فيها للوقوف، ثم فسر لها فقال ﴿نار حامية﴾ أي حارة قد انتهت حرها

تفسير سورة التكاثر وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوْنها عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ

عَنِ النَّعِيمِ (٨)

يقول تعالى أشغلكم^(١) حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتنادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها

(١) كذا في الأصل بالهمز وقال أهل اللغة أنه بالهمز لغة رديئة

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «ألهاكم التكاثر» عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت «وقال الحسن البصري ألهاكم التكاثر في الأموال والأولاد

وفي صحيح البخاري في الرقائق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ابن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب»

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت الى رسول الله ﷺ وهو يقول (ألهاكم التكاثر) «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟» ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به، وقال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى، وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس» تفرد به مسلم

﴿سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألهاكم التكاثر﴾ شغلكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ﴿حتى زرتم المقابر﴾ حتى منم ودفنتم في المقابر وقال قتادة نزلت في اليهود قالوا نحن أكثر من

وقال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « يوم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والامل » أخرجاه في الصحيحين
وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الاحنف بن قيس واسمه الضحاك انه رأى في بدرجل درهما فقال لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل لي فقال إنما هو لك إذا أنفقت في أجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الاحنف ممثلاً قول الشاعر

أنت المال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابو اسامة قال صالح بن حبان حدثني عن ابن بريدة في قوله (أهلكم التكاثر) قال نزلت في قبيلتين من قبائل الانصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالاحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله (أهلكم التكاثر حتى زرتم المقابر) لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل

وقال قتادة (أهلكم التكاثر حتى زرتم المقابر) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى اخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور

بني فلان وبني فلان أكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً ، وقال مقاتل والكلبي نزلت في حين من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو كان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف أيهم أكثر عدداً فقال بنو عبد مناف نحن أكثر سيداً وأعز عزباً وأعظم أمراً وأكثر عدداً ، وقال بنو سهم مثل ذلك فكبرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكبرهم بنو سهم بثلاثة آيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عدداً فأنزل الله هذه الآية

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا النضر بن شميل أنا شعبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية (أهلكم التكاثر) قال « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ »

كلهم، والصحيح أن المراد بقوله زرم المقابر أي صرتم اليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعود فقال «لا بأس طهور إن شاء الله» فقال قلت طهور بل هي حى تغور، على شيخ كبير، تزيره القبر، قال «فنعم اذن»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن سعيد الأصبغاني أخبرنا حكام بن سالم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبیش عن علي قال مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر حتى زرم المقابر) ورواه الترمذي عن أبي كريب عن حكام ابن سالم به وقال غريب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سلمة بن داود العرضي حدثنا أبو المليح الرقي عن ميمون ابن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ (ألهاكم التكاثر حتى زرم المقابر) فلبث هنية ثم قال يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله. قال أبو محمد يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى الجنة أو إلى نار وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يثلو هذه الآية حتى زرم المقابر فقال بعث اليوم ورب الكعبة أي ان الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره

وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن البصري هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعني أيها الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعني أيها المؤمنون وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال (لنرونها الجحيم * ثم لنرونها عين اليقين) هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحديدي ثنا سفيان ثنا عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله ﷺ «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» ثم رد الله عليهم فقال (كلا) ليس الأمر بالتكاثر (سوف تعلمون) وعيد لهم، ثم كرره تأكيداً فقال (ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت، وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعني الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعني المؤمنين وكان يقرأ الأولى بآتاء والثانية بالياء. (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي علمائنا فأضاف العلم إلى اليقين كقوله (هو حق اليقين) وجواب لو محذوف أي لو تعلمون علمائنا لتعلمكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نتحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت (لنرونها الجحيم) قرأ ابن عامر والكسائي لنرون بضم الناء، من أريته الشيء. وقرأ الآخرون بفتح الناء، أي نرونها بإبصاركم من بعد (ثم لنرونها) مشاهدة (عين اليقين * ثم لنرونها يومئذ عن النعم)

التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاناة
الاهوال على ما جاء به الاثر المروي في ذلك

وقوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أي ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة
والامن والرزق وغير ذلك ما اذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المرقى حدثنا عبد الله بن عيسى
ابو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول :
خرج رسول الله ﷺ عند الظهر فوجد أبا بكر في المسجد فقال « ما أخرجك هذه الساعة ؟ » فقال
أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال « ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ »
قال أخرجني الذي أخرجكما قال فبعد عمر وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما ثم قال « هل بكما من قوة
تنطلقان الى هذا النخل فتصبيان طعاما وشربا وظلا ؟ » قلنا نعم قال « صروا بنا الى منزل ابن التيهان ابي
لهيثم الانصاري » قال فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا فلم واستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم من
وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت
أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت يا رسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن أردت أن تزيدني من
سلامك فقال لها رسول الله ﷺ خيرا ثم قال « ابن أبو الهيثم لا أراه » قالت يا رسول الله هو قريب
ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتي الساعة إن شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء أبو الهيثم
ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله ﷺ « حسبك يا أبا الهيثم »
فقال يا رسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه ومن مذنوبه ثم أتاكم بما فسر بوا عليه فقال رسول الله
ﷺ « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » هذا غريب من هذا الوجه

قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيستلثون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه
ولم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر هذا قول الحسن، وعن ابن مسعود
رفعه قال (لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال الامن والصحة ، وقال قتادة ان الله يسأل كل ذي نعمة
عما أنعم عليه

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي انا عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسي ثنا ابراهيم بن خزيمة
الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا شاذان بن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عزم الاشعري
قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « ان أول ما يسئل عنه العبد يوم
القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد »

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا ابو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا
أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي أنا ابو عيسى الترمذي أنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم بن أبي اياس

وقال ابن جرير حدثني الحسين بن علي الصديقي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي ﷺ فقال « ما أجلسكما ههنا؟ » قالا والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال « والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره » فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الانصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ « أين فلان؟ » فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد شي أفضل من نبي زارني اليوم فعاق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذوق فقال النبي ﷺ « ألا كنت اجنيت؟ » فقال أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبي ﷺ « إياك والحبوب » فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبي ﷺ « لتسئلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعيم » ورواه م- لم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو بهلى وابن ماجه من حديث المكارى عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة

وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبي نضرة عن أبي عبيد يعني مولى رسول الله ﷺ قال خرج رسول الله ﷺ ليلا فرقي فدعاني فخرجت اليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط « أطعمنا » فجاء بعذوق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعاهم بارد فشرب وقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » قال فأخذ عمر العذوق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يا رسول الله إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة قال « نعم إلا من ثلاثة : خرقه لف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جعر يدخل فيه من الحر والقر » تفرد به أحمد وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول :

ثنا شيان أبو معاوية ثنا عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ في ساعة لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد فأناه أبو بكر فقال « ما جاء بك يا أبا بكر؟ » فقال خرجت لآتي رسول الله ﷺ وأنظر الى وجهه ولتلم عليه فلم يلبث أن جاء عمر فقال « ما جاء بك يا عمر؟ » قال الجوع يا رسول الله قال النبي ﷺ « وأنا قد وجدت بعض ذلك فانطلقوا الى منزل أبي الهيثم بن التيهان الانصاري » وكان رجلا كثير النخل والشاة ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لا مرأته أين صاحبك؟ فقالت انطلق ليستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة زعيبا ماء فوضعهما ثم جاء يلتزم رسول الله ﷺ ويغذيه بآية وأمه ثم انطلق بهم الى حديثه فبسط لهم بساطا ثم انطلق الى نخلة فجاء بقنو فوضعه فقال النبي ﷺ « أفلا تنقبت لنا من رطب وبسره؟ » فقال يا رسول الله إني أردت أن

أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطباً وشربوا ماء فقال رسول الله ﷺ « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به
وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت (أهلأكم التكاثر) فقرأ حتى بلغ (لنستلن يومئذ عن النعيم) قالوا يا رسول الله عن أي نعيم نسئل؟ وإنما هما الاسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسئل قال « اما إن ذلك سيكون »

وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله ابن حبيب عن أبيه عن عمه قال كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس قال « أجل » قال ثم خاض حاضر والناس في ذكر الغنى فقال رسول الله ﷺ « لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به

وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شعبة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عزم الاشعري قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال النبي ﷺ « إن أول ما يسئل عنه - يعني يوم القيامة - العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونرويك من الماء البارد » تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير به
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير لما نزلت (ثم لنستلن يومئذ عن النعيم) قالوا يا رسول الله لاي نعيم نسئل عنه وإنما هما الاسودان التمر والماء؟ قال « إن ذلك سيكون » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذي حسن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبراني حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان

تخبروا من رطبه وبسره فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال النبي ﷺ « هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم اقيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد » فانطلق ابو الهيثم ليصنع لهم طعاما فقال النبي ﷺ « لا تدبجن ذات در » فذبح لهم عناقا أو جديا فأناهم بها فأكلوا فقال النبي ﷺ « هل لك خادم؟ » قال لا قال النبي ﷺ « فإذا أتانا سبي فائتنا » فأتى النبي ﷺ برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبي [ص] « اختر منهما » فقال يابني الله اختر لي فقال النبي [ص] « ان المستشار مؤتمن خذ هذا فاني رأيته يصلي واستوص به معروفنا » فانطلق به ابو الهيثم الى امرأته فأخبرها بقول رسول الله [ص] فقالت امرأته ما أنت ببالغ فيه ما قال رسول الله [ص] إلا ان تعتقه قال فهو عتيق فقال النبي [ص] « ان الله تبارك وتعالى لم يبعث نبيا ولا خليفة الا

عن عكرمة قال لما أنزلت هذه الآية (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قالت الصحابة يا رسول الله وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: قل لهم أليس تحتدون النعال وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصهباني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال: «الأمْن والصحة» وقال زيد بن أسلم عن رسول الله ﷺ (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الحاق ولذة النوم، رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة.

وقال سعيد بن جبيرة حتى عن شربة عسل. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا، وقال الحسن البصري من النعيم القداء والعشاء، وقال أبو قلابة: من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي. وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيها استعمالوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)

وثبت في صحيح البخاري وصنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» ومعنى «هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون برأيهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون»

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما فوق الأزار وظل الحائط وجر بحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه» ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

وله بطاقتان بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر وبطانة لا تألوه إلا خيالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقى.

وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيها استعمالوها وهو أعلم بذلك منهم وذلك قوله (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا) قال عكرمة عن الصحة والفراغ، وقال سعيد بن جبيرة عن الصحة والفراغ والمال.

أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي ثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى

وقال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحاق بن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة (رض) عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل - قال عفان يوم القيامة - يا ابن آدم حملتك على الخيل والابل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ »
تفرد به من هذا الوجه

﴿ آخر تفسير سورة التكاثر والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة العصر وهي مكية

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يـلم عمرو فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال وما هي فقال (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلة هنيهة ثم قال وقد أنزل علي مثلها فقال له عمرو وما هو ؟ فقال : ياوبر ياوبر انما أنت أذنان وصدر وسائر كحفر نقر ثم قال كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو والله انك تعلم اني أعلم انك تكذب

وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف (بمساوي الاخلاق) في الجزء الثاني منه شيئاً من هذا أو قريباً منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلة أن يركب من هذا الهذيان ، ما يعارض به القرآن ، فلم يرج ذلك على عابد الاوثان في ذلك الزمان وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حصن قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم

ابن الصات ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن بمكة ثنا عبد الله بن المبارك والفضل بن موسى قالا ثنا عبد الله بن سعيد ابن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصلحة والفراغ » قال محمد بن كعب يعني عما أنعم عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية عن الاسلام والسنن وقال الحسين بن الفضل تخفيف الشرائع وتيسير القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر (١) ان الإنسان لفي خسر (٢) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (٣)

العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو العصر والمشهور الاول فأقسم تعالى بذلك على أن الانسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى من جنس الانسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء الطاعات ، وترك المحرمات [وتواصوا بالصبر] أي على المصائب والأقدار وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر

آخر تفسير سورة العصر والله الحمد

﴿ سورة العصر مكية وقيل مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر ﴾ قال ابن عباس والدهر قيل أقسم به لأن فيه عبرة للناس وقيل معناه ورب العصر وكذلك في أمثاله ، وقال ابن كيسان أراد بالعصر الليل والنهار يقال لما العصر ان ، وقال الحسن من بعد زوال الشمس الى غروبها ، وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار ، وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى ﴿ ان الانسان لفي خسر ﴾ أي خسران ونقصان قيل أراد به الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين والخسران ذهاب رأس المال والانسان في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي وهما أكبر رأس ماله ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم ليسوا في خسران ﴿ وتواصوا ﴾ أوصى بعضهم بعضا ﴿ بالحق ﴾ بالقرآن قاله الحسن وقاتل بالايمن والتوحيد ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على أداء الفرائض وإقامة أمر الله ، وروى ابن عوف عن ابراهيم قال أراد أن الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع الا المؤمنين فانهم يكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة (١) الذي جمع مالا وعدده (٢) يحسب أن ماله أخذه (٣) كلا
لئن بذل في الحطمة (٤) وما أدراك ما الحطمة (٥) نار الله الموقدة (٦) التي تطلع على
الافتدة (٧) انها عليهم مؤصدة (٨) في نهم ممددة (٩)

الهماز بالقول والهماز بالفعل يعني يزدرى الناس وينقص بهم وقد تقدم بيان ذلك في قوله تعالى
(هماز مشا. بنهم) قال ابن عباس همزة لمزة طعان معياب
وقال الربيع بن أنس الهمزة بهمزة في وجهه والهمزة من خلفه . وقال قتادة الهمزة والهمزة لسانه
وعينه وبأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين والهمزة باللسان وهكذا قال
ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الاخنس بن
شريق وقيل غيره وقال مجاهد هي عامة

(سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل لكل همزة لمزة) قال ابن عباس هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراءة
العنت ومعناها واحد وهو العياب ، وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب ، والهمزة الذي يعيبك
في الوجه ، وقال أبو العالية والحسن بضده

وقال سعيد بن جبيرة وقتادة الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتلبهم ، والهمزة الطعان عليهم ،
وقال ابن زيد الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم ، والهمزة الذي يلزمهم بلسانه ويعيبهم ، وقال
سفيان الثوري يهزم بلسانه ويلزم بعينه ، ومثله قال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ
والهمزة الذي يوبيه بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفعل نحو سخرة وضحكة للذي
يسخر ويضحك من الناس وأصل الهمز الكسر والعرض على الشيء . بالعنف ، واختلفوا فيمن نزلت هذه
الآية قال السكبي نزلت في الاخنس بن شريق بن وهب الثنفي كان يقع في الناس ويغتلبهم
وقال محمد بن اسحاق مازلنا نسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجهمي ، وقال مقاتل
نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه ، وقال مجاهد هي

وقوله تعالى [الذي جمع مالا وعدده] أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدي وابن جرير وقال محمد بن كعب في قوله (جمع مالا وعدده) ألماء ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة

وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخذه) أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار (كلا) أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب

ثم قال تعالى (لينبذن في الحطمة) أي ليلقين هذا الذي جمع مالا فعدده في الحطمة وهي اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة) قال ثابت البناني نحرهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي وقال محمد بن كعب تأكل كل شيء من جسده حتى إذا بلغت فؤاد حذو حلقه ترجع على جسده ، وقوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد

وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا علي بن سراج حدثنا حماد بن حرزاذ حدثنا شعيب بن أسلم حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (إنها عليهم مؤصدة) قال مطبقة . وقد رواه أبو بكر ابن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن اسماعيل ابن خالد عن أبي صالح قوله ولم يرفعه

وقوله تعالى (في عمد ممددة) قال عطية العوفي عمد من حديد ، وقال السدي من نار ، قال شبيب

عامة في حق كل من هذه صفته ثم وصف فقال (الذي جمع مالا) قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص وحمزة والكسائي جمع بتشديد الميم على التكثير وقرأ الآخرون بالتخفيف (وعدده) أحصاه ، وقال مقاتل استعدده وأدخره وجعله عداداً له يقال أعددت الشيء وعددته إذا أمسكته (يحسب أن ماله أخذه) في الدنيا يظن أنه لا يموت مع بساره (كلا) رد عليه أي لا يخلده ماله (لينبذن) ليطرحن (في الحطمة) في جهنم والحطمة من أسماء النار مثل مقر وأظى سميت حطمة لأنها تحطم العظام وتكسرها (وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة) أي التي يبلغ ألمها ووجعها إلى القلوب والاطلاع والبلوغ والتطلع بمعنى واحد يحكى عن العرب متى طلعت أرضنا أي بلغت ، ومعنى الآية أنها تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده قاله القرطبي والسكبي

وقوله (إنها عليهم مؤصدة) مطبقة مغلقة (في عمد ممددة) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر في عمد بضم العين والميم وقرأ الآخرون بفتحهما كقوله تعالى (رفم السموات بغير عمد ترونها) وهما جميعا جمع عمود مثل آدم وأدم وأدم قاله الفراء ، وقال أبو عبيدة جمع عماد مثل اهلب وأهب وأهب ، قال ابن عباس أدخلهم في عمد فمدت عليهم بهما وفي أعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الأبواب وقال قتادة بلغنا أنها عمد يعذبون بها في النار ، وقيل هي أوتاد الاطباق التي تطبق على أهل النار

ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس [في عمد ممددة] يعني الابواب هي الممددة ، وقال قتادة في قراءة عبدالله بن مسعود انها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفي عن ابن عباس ادخلهم في عمد مدت عليهم بهاد في أعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب ، وقال قتادة كنا نحدث انهم يهذبون بعمد في النار واختاره ابن جرير ، وقال ابو صالح (في عمد ممددة) يعني القيود النقال
﴿ آخر تفسير السورة والله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الفيل وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟ (١) ألم يجعل كيدهم في تضليل؟ (٢) وأرسل عليهم

طيرا أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصفٍ ما كول (٥)

هذه من النعم التي اتى الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة

أى انها مطبقة عليهم بأوناد ممددة وهي في قراءة عبد الله بعمد بالباء ، قال مقاتل أطبقت الابواب عليهم ثم سدت بأوناد من خديد من نار حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد أى مطولة فتكون أرسخ من القصيرة

(تفسير سورة الفيل مكية وهي خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ ﴾ وكانت قصة أصحاب الفيل على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي أن النجاشي ملك الحبشة كان قد بعث أرباطا إلى أرض اليمن فقلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة بن الصباح أبو مكتوم فساخط أرباط في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين وكانت طائفة مع أرباط وطائفة مع أبرهة فتزاحفوا فقتل أبرهة أرباط واجتمعت الحبشة لأبرهة وغلب على اليمن وأقره النجاشي على عمله ثم ان أبرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله فبنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشي إني قد بنيت لك كنيسة لم يكن لها مثلها واست منتهيا حتى أصرف إليها حج

الاوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه في ذلك العام ولد على أشهر الاقوال ولسان حال القدر يقول لم ينصركم يامعشر قريش على الحبشة خير يتكم عليهم ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء وهذه قصة اصحاب الغيل على وجه الاختصار والتقريب

قد تقدم في قصة اصحاب الاخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذي قتل اصحاب الاخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم الا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرا نيا فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب اليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاءوا اخلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذونواس غريقا في البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الاميران أرياط وأبرهة فاختلعا في أمرهما وتصاولا وتقاتلا ونصافا فقال أحدهما للآخر انه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز إلي وأبرز اليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجاباه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما ثناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب اليه النجاشي يلومه على ما كان منه ويتوعد ويخلف لبطان بلاده ويجزن

العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج مستخفيا فدخلها ليلا فقمع فيها وأغروط بها ولطخ بالعدرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي ولطخ كنيسة بالعدرة؟ فقبل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع بالذي قلت فخاف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بغيته وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسا وقوة فبعث به اليه فخرج أبرهة من الحبشة سائرا إلى مكة وأخرج معه الغيل فسمعت العرب بذلك فاستعظموه ورأوا جهاد حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذر نغير بن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذانغير فقال أيها الملك لا تقتلي فإن استبقائي خير لك من قتلي فاستجاباه وأوقفه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيل فقال نفيل أيها الملك اني دليل بارض العرب وهانان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث في رجال من ثيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس لك عندنا خلاف وقد علمنا أنك تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدك عليه فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره

وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله وأمره

ناصيته فأرسل اليه أبرهة يترقق له وبصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبرق سمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها اليك فلما وصل ذلك اليه أعجبه منه ورضي عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للجاشي اني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الغناء مزخرفة الارحاء سمعها العرب القليس لارتفاعها لان الناظر اليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها وعزم أبرهة الاشرم على أن يصرف حج العرب اليها كما يحجج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقمطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راها فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له انما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذي ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخر به حجرا حجرا

وذكر مقاتل بن سليمان ان فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يومافيه هواء شديد فأحترقت وسقطت إلى الارض فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عرمرم لئلا يصدده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكل قد بعثه اليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره قاله أعلم ، يعني ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل في الاركان وتوضع في عنق الغيل ثم بزرجر ليلقي الحائط جملة واحدة فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا أن حقا عليهم المحاجة دون البيت ورد من أراد به بكيده فخرج اليه

بالفارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه أموال الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان أبرهة بعث حياطة الحيرة إلى أهل مكة فقال سل عن شربها ثم أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال ان الملك أرسلني اليك لأخبرك انه لم يأت لقتال إلا أن تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا له عندنا إلا أن نخلي بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا قوة به قال فانطلق معي إلى الملك فرعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفير صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال ياذا نفير هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ماغناء رجل أسير لا يأمن ان يقتل بكرة أو عشيا ولكن سأبعث لك إلى أنيس سائس الغيل فانه لي صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رومن العبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه

رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذونفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريد الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأمر ذونفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بارض خشم اعترض له نفيل بن حبيب الحثعمي في قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأمر نفيل بن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات فأكرمهم وبهشوا معه بأرغال دليلا فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الابل وغيرها فأخذوه، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب، وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الاسود بن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن اسحاق وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف قريش وأن يخبره أن الملك لم يجي. لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمة، وان يخلي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معي إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجهل وكان عبد المطلب رجلا جميلا حسن المنظر، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط، وقال لترجمانه قل له ما حاجتك؟ فقال لترجمانه إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتي حين رأيتك ثم قد زهدت فيك

صديق لي أحب ما وصل إليه من الخير فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال يستأذن اليك وأحب أن تأذن له فيكلامك وقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له، وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه وكره أن يجلس معه على سريره وأن يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك؟ فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي إلى الملك أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتي حين رأيتك ولقد زهدت فيك قال لم؟ قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لا هدمه لم نكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصبتها، قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل وان لهذا البيت ربا سيمنع عنه من يقصده بسوء، قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذلك فأمر بابله فردت عليه فلما ردت الابل إلى عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر الذي وقع بينه وبين أبرهة وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب ويتحزروا في رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرفة الجيش فيهم ففعلوا وأتى عبد المطلب الكعبة وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

حين كلمتني أنكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه
لأنكلمني فيه؟ فقال له عبد المطلب إني أنارب الابل وإن للبيت ربا سيمنعه، قال ما كان ليمتنع مني قال
أنت وذاك، ويقال أنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال
نهاية على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش
فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رءوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب
فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده فقال
عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان المرء يـمنع رحله فامنع رحالك

لايفلـبن صليهم ومحالمهم أبداً محالك

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رءوس الجبال، وذكر مقاتل
ابن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله
منهم فلما أصبح أبرهة نهياً للدخول مكة وهياً فيله وكان اسمه محمود وعياً جيشه فلما وجهوا الفيل نحو
مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث
جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في

يارب لا أرجو لهم سواك يارب فامنع منهم حماك

ان عدو البيت من عاداك امنهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضاً لا م إن المرء يـمنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

لا يفلبن صليهم ومحالمهم أبداً محالك

جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك

قصودا حماك بكيدهم جهلوا وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكهـمبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح أبرهة بالمغمس قد نهياً
للدخول وعياً جيشه وهياً فيله وكان فيلاً عظيماً لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلاً
فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه فقال ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك في
بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه
ومراقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك

الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فصره في رأسه بالطيرزين وأدخلوا محاجن لهم في مرافقه فنزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحص والعنبر لا يصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق هذا ونفيل على رأس الجبل مع قرش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة وجعل نفيل يقول

أين المفسر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب
قال ابن اسحاق وقال نفيل في ذلك أيضاً
ألا حبيت عنايا ودينا نعمناكم مع الاصباح عينا
ودينة لو رأيت ولا تربه لدى جنب المحصب مارأينا
إذا اهذرتني وهدت أمري ولم تأسي على ما فات يينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نفيل كأن علي لأحبشان دينا

ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصره إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد في أعلى الجبل وأرسل الله إليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحص والعنبر فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت ، وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذي جاءوا منه وهم يتسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن ونفيل ينظر إليهم من بعض تلك الجبال فصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء في بسده فجعل تتساقط منه أنامله كلما سقطت أنملة أبعثها مدة من قيح ودم ، فانتفى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيمن بقي من أصحابه ، وما مات حتى انصدع صدره من قلبه ثم هلك قال الواقدي وأما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجأ ، والفيل الآخر شجع فخصب ، وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذي جرأ أصحاب الفيل أن فتيه من قرش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي ، فدنوا من ساحل البحر ، وتم ببيعة للنصارى تسميها قرش الهيكل فنزلوا فأججوا ناراً فاصطلوا ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل ناراً فانطلق الصرخ إلى النجاشي فأسف واغتاظ غيظاً شديداً فبعث أبرهة لهدم الكعبة ، وقال فيه انه كان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر بصيف بالطائف وبشتو بمكة وكان رجلاً نبياً نبيلاً

وذكر الواقدي باسناده اهم لما نهبوا لدخول الحرم وهبوا الفيل جعلوا لا بصرة من فونه الى جوار سائر الجهات إلا ذهب فيها فاذا وهبوا الى الحرم ربح وصاح، جعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقتل الفيل على دخول الحرم وطال الفصل في ذلك، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشرف مكة فيهم المظم بن عدي وعمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون وماذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجيب، فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل أي قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فخلقت عليهم وأرسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا

وقال محمد بن اسحاق جازوا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فخصب. وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقمدي به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فخصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة بل منهم من هلك من بعد ما ومنهم من جعل ينساقط عضواً عضواً وهم هاربون وكان أبرهة ممن نساقت عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم وقال ابن اسحاق فخرجوا ينساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أكلة أكلة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى

نستقيم الامور برأيه وكان خليلاً لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك؟ هذا يوم لا يستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل، فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلاها نعلاتم أرسلها في الحرم لعل هذه السودان يعقر منها شيئاً فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم، ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود، ان لهذا البيت رباً يمنه، فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت وأراد هدمه فنهه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه ونحر له جزوراً ثم قال أبو مسعود انظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال أرى طيراً بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها يبصرك أين قرارها فقال أراها قد دارت على رؤسنا قال فهل تعرفها؟ قال فوالله ما أعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا غربية ولا شامية، قال ما قدرها؟ قال أشباه اليعاسيب في منقارها حصى كأنها حصى الخزف قد أقبلت كالليل يكسح بعضها بعضاً أمام كل رفة طير يقودها، أحر المقار أسود الرأس طويل العنق فجأت حتى اذا حاذت بعسكر القوم كدت فوق رؤوسهم، فلما توافقت الرجال كلها أهالت الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب في كل حجر اسم صاحبه، ثم انها انصاعت راجعة من حيث جاءت فلما أصبحت انحطت من ذروة الجبل فشيابرة فلم يؤنس أحد، ثم دنوا ربوة فلم يسمعوا حساً فقالا بات القوم سامرين فأصبحوا نياماً، فلما دنوا من عسكر القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة أحدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويحرق

انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب مائلا حفرة قال ابن اسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة انه حدث ان أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول مارؤي به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد

قال ابن اسحاق فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما بعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف * أكرل — لا يلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أي لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الابايل الجماعات ولم تسلك العرب بواحدة قال وأما السجيل فآخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلاب

قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل يعني بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجر من هذين الجنسيتين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذي لم يقضب واحده عصفه انتهى ما ذكره

وقد قال حماد بن سلمة عن عامر عن زر عن عبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصري وقتادة الابايل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الابايل المختلفة تأتي من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائي سمعت بعض النحويين يقول واحد الابايل ايبيل

وقال ابن جرير حدثني عبد الأعلى حدثني داود عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال في قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هي الاقاطيع كالابل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال لها

الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فأخذ فأسا من فؤوسهم فحفر حتى أعمق في الارض حفرة فلأها من أموالهم من الذهب الاحمر والجوهر ، وحفر لصاحبه حفرة فلأها كذلك ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان شئت فهما لك معا ، قال ابو مسعود اختر لي على نفسك ، فقال عبد المطلب اني لم أر أن أجعل أجود المتاع في حفرتي فهو لك ، وجلس كل واحد منهما على حفرتة ، ونادى عبد المطلب في الناس فتراجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا به ذرعا ، وساد عبد المطلب بذلك قريشا وأعطته المقادة ، فلم يزل عبد المطلب

خرطوم كخرطوم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله تعالى (طيراً أبابيل) قال كانت طيراً أخضرأ خرجت من البحر لها رؤوس كرووس السباع، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن عبيد ابن عمير (طيراً أبابيل) قال هي طيور سود بحرية في مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيراً أخضرأ لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الابايل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشأت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين في رجله وحجرأ في منقاره قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناكيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يبق على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً ، وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس حجارة من سجيل قال طين في حجارة سنك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (فجعلهم كعصف ما كؤل) قال سعيد بن جبير يعني التبن الذي تسميه العامة هبور وفي رواية عن سعيد ورق الخنطة ، وعنه أيضاً العصف التبن والمأكول القصيل يحز للدواب وكذلك قال الحسن البصري ، وعن ابن عباس العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الخنطة وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل اذا أكلته البهائم فرائثه فصار درينا ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردمهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيراً وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى للملكهم أبرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات فلذلك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة ثم خرج سيف بن ذي يزن الجبيري إلى كسرى فاستعان به على الحبشة فأفذه معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله إليهم ملكهم وما كان في آباءهم من الملك وجاءته وفود العرب بالتهنئة

وأبو مسعود في أهليهما في غنى من ذلك المال ودفع الله عن كعبته وبيته واختلفوا في تاريخ عام الفيل ، فقال مقاتل كان قبل مولد النبي ﷺ بأربعين سنة ، وقال الكلبي ثلاث وعشرين سنة ، والآخرين على أنه كان في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ قوله عز وجل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال مقاتل كان معهم فيل واحد ، وقال الضحاك كانت الفيلة ثمانية وقيل اثني عشر سوى الفيل الأعظم وانما وحده لأنه نسبهم إلى الفيل الأعظم وقيل لو فاق رؤس الآي (ألم يجعل كبدهم في تضليل ؟) كبدهم يعني مكرهم وسعيهم في تخريب

وقد قال محمد بن اسحاق حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان .
ورواه الواقدي عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت كأنهم مقعدون يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم قلت كان اسم قائد الفيل أنيساً
وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له شمر بن مقصود وكان الجيش عشرين ألفاً وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جداً وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة الاثرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار

وهكذا روي عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الاسود بن مقصود على كتية معهم الزيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه، والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله أعلم ثم ذكر ابن اسحاق شيئاً من أشعار العرب فيما كان من قصة أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبيري

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ أَنَهَا	كَانَتْ قَدِيمًا لَا يَرَامُ حَرَمُهَا
لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى لِيَالِي حَرَمَتْ	إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا
سَأَلْتُ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى	فَلَسَوْفَ يَنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا
سَتُونَ أَلْفًا لَمْ يُؤْبُوا أَرْضَهُمْ	بَلْ لَمْ يَعْشَ بَعْدَ الْآيَاتِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجَرَمٌ قَبْلَهُمْ	وَاللَّهِ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يَقِيهِهَا

وقال أبو قيس بن الأسلت الانصاري المدني :

وَمَنْ صَنَعَهُ يَوْمَ فِيلِ الْحَبِوِ	شَئْ إِذْ كُلُّ مَا بَعَثُوهُ رَزَمَ
مَحَاجِنَهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ	وَقَدْ تَرَمَوْا أَنْفَهُ فَانْخَرَمَ
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَطَهُ مَغُولًا	إِذَا يَمُومُوهُ قَفَاءَ كُلِّ

الكعبة ، وقوله (في تضليل) عما أرادوا ضلل كيدهم حتى لم يصلوا إلى الكعبة وإلى ما أرادوه بكيدهم قال مقاتل في خسارة وقيل في بطلان (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضاً وقيل أقاطيع كالابل المؤبلة قال أبو عبيدة أبابيل جماعات في تفرقة ، يقال جاءت الخيل أبابيل من ههنا وههنا ، قال الفراء لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة

وقال الكسائي اني كنت أسمع النحويين يقولون واحدها أبول مثل عجول وعجاجيل ، وقيل واحدها من لفظها أبيل ، قال ابن عباس كانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأ كف السكلاب ، وقال عكرمة لها رؤس كرؤس السباع ، قال الربيع لها أنياب كانياب السباع ، وقال سعيد

فولى وأدير أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم
 فأرسل من فوقهم حصبا يلفهم مثل لف القزم
 يحض على الصبر أحبارهم وقد تأجوا كئؤاج الغنم
 وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ويروى لأمية بن أبي الصلت بن ربيعة
 إن آيات ربنا باقيات ما يساري فيهن إلا الكفور
 خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
 ثم يحلو النهار رب رحيم بمهابة شعاعها منشور
 حبس الفيل بالمغمس حتى صار يحبو كأنه معقور
 لازما حلقه الجران كاقطر من ظهر ككبك محذور
 حوله من ملوك كندة أبطال ملاويث في الحروب صقور
 خلفوه ثم ابذعروا جميعا كلهم عظم ساقه مكسور
 كل دين يوم القيامة عندال له إلا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أطل يوم الحديبية على
 الثنية التي تهبط به على قريش بركت نافته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أي حرنت فقال
 رسول الله ﷺ « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بمخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذي
 نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أجبتهم اليها » ثم زجرها فقامت
 والحديث من أفراد البخاري

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها
 رسوله والمؤمنين وأنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب »
 (آخر تفسير سورة الفيل والله الحمد والمنة)

ابن جبير طبر خضر لها مناقير صفر ، وقال قتادة طيور سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل
 طائر ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره لا تصيب شيئا إلا هشمته (ترجمهم بحجارة
 من سجل) قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهن بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها
 شدة فما وقع منها حجر على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وإن وقع على رأسه خرج من دبره
 (فجمعهم كعصف ما كول) كزرع وتبن أكلته الدواب فرائته فيبس وتفرقت أجزاءه ، شبه
 تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ، قال مجاهد العصف ورق الحنطة ، وقال قتادة هو التبن ،
 وقال عكرمة كالحب إذا أكل فصار أجوف ، وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على
 حب الحنطة كهيئة الغلاف له

﴿ تفسير سورة لا يلاف قريش وهي مكية ﴾

﴿ ذكر حديث غريب في فضلها ﴾ قال البيهقي في كتاب الخلافات حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزيني حدثنا بقر بن محمد الزهري حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ، بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا سبع خلال : إني منهم وإن النبوة فيهم والحجبة والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل وإنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبدونه غيرهم وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن ثم تلا رسول الله ﷺ - (بسم الله الرحمن الرحيم لا يلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يلاف قريش (١) ألهم رحلة الشتاء والصيف (٢) فليعبدوا رب هذا البيت (٣) الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٤)

هذه السورة مفصولة عن التي قبلها في المصحف الامام كتبوا بينها سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى

﴿ تفسير سورة قريش مكية وهي أربع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا يلاف قريش ﴾ قرأ أبو جعفر إيلاف بغير همز الالف طلبا للخفة ، وقرأ ابن عامر لالاف بهمزة مختلصة من غير ياء بعدها ، وقرأ الآخرون بهمزة مشبعة وياء بعدها ، واتفقا غير أبي جعفر في إيلافهم أنها ياء بعد الهمزة لا عبد الوهاب بن فليح عن بن كثير فإنه قرأ ألهم ساكنة اللام بغير ياء ، وعد بعضهم سورة الفيل وهذه السورة واحدة منهم أبي بن كعب لافصل بينها في مصحفه وقالوا اللام في لا يلاف تتعلق بالسورة التي قبلها ، وذلك أن الله تعالى ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فبما صنع بالحبشة ، وقال لا يلاف قريش ، وقال الزجاج المعنى جعلهم كحصف ما كول لا يلاف قريش أي أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف ، وقال مجاهد ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف ، والعامية على أنهما سورتان

عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لا يلاف قريش أي لا ثلثلافهم واجتماعهم في بلد آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون الى بلد آمنين في أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفي اليهم وسار معهم آمن بهم وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال اقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى [لا يلاف قريش ايلافهم] بدل من الاول ومفسر له ولهذا قال تعالى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف)

واختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله (لا يلاف) قال الكسائي والاختفش هي لام التعجب يقولوا لا يلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم أمرهم بعبادته كما تقول في الكلام تزيد واكرامنا إياه على وجه التعجب أي اعجبوا لذلك ، والعرب اذا جاءت بهذه اللام اکتفوا بها دليلا على التعجب من اظهار الفعل منه

وقال الزجاج هي مردودة إلى ما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف ، وقال ابن عيينة لنعمتي على قريش ، وقريش هم ولد النضر بن كنانة وكل من ولد النضر فهو قرشي ، ومن لم يولد النضر فليس بقرشي

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجور بذي ثنا يونس بن عبد الأعلى الصدي أنا بشر بن بكر عن الازاعي حدثني شداد أبو عمار ثنا واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله ﷺ « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » وسموا قريشا من القرش والنقرش وهو التكسب والجمع ، يقال فلان يقرش لهياله ويقترش أي يكتسب وهم كانوا تجارا حراصا على جمع المال والافضال وقال أبو ريجانة سأل معاوية عبد الله ابن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون في البحر من أعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الفث والسمين الا أكلته وهي تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعل ، قال وهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم فأنشده شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر — ر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر — ر على سائر البحور جيوشا
تأكل الفث والسمين ولا تت — رك فيه لدى الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش — يا كلون البلاد أكلا كيشا
ولهم في آخر الزمان نبي — يكثر القتل فيهم والخنوشا

وقال ابن جرير : الصواب ان اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لا يلايف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، قال وذلك لاجتماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشدني إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال [فليعبدوا رب هذا البيت] أي فليؤدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيننا محرماً كما قال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء . وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى (الذي أطعمهم من جوع) أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أي تفضل عليهم بالأمن والرخص فليؤدوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا ندأ ولا وثناً ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبها منه كما قال تعالى [ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون *] ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن عمرو الغزي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن إيث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « ويل انكم قريش لتألف

قوله تعالى ﴿ إياهم ﴾ بدل من الإيلاف الأول ﴿ رحلة الشتاء والصيف ﴾ رحلة نصب على المصدر أي ارتحلهم رحلة الشتاء والصيف

روى عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فأمرهم الله تعالى أن يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت ، وقال لا خرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة أحدهما في الشتاء إلى اليمن لأنها أدناً والآخرى في الصيف إلى الشام وكان الحرم وادياً جدباً لا زرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارنتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم أحد بسوء كانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولادة بيته فولوا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وشق عليهم الاختلاف إلى اليمن والشام فأخصبته تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة أهل الساحل من البحر على السفن وأهل البر على الإبل والحير فألقى أهل الساحل بجدة وأهل البر بالحصب وأخصب الشام فحملوا الطعام إلى مكة فألقوا بالابطح فامتاروا من قريب وكفأهم الله مؤنة الرحلتين وأمرهم بعبادة رب البيت فقال ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ أي الكعبة ﴿ الذي أطعمهم من جوع ﴾ أي من بعد جوع بحمل الميرة إلى مكة ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ بالحرم وكونهم من أهل مكة حتى لم يتعرض لهم في رحلتهم

وقال عطاء عن ابن عباس أنهم كانوا في ضرر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ، وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم ، قال الكلبي وكان أول من حمل السمراء من الشام ورحل إليها الإبل هاشم ابن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والنسدى هلا مررت بآل عبد مناف

قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا المؤمل بن الفضل الحراشي حدثنا عيسى يعني ابن يونس عن عبد الله ابن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسامة بنت يزيد بن السكن أم سلمة الانصارية رضي الله عنها فلهذه وقم غلط في النسخة أوفي أصل الرواية والله أعلم

﴿ آخر تفسير لا يلاف قريش والله الحمد والمنة ﴾

✽ تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون وهي مكية ✽

بسم الله الرحمن الرحيم

أرأيت الذي يكذب بالدين (١) فذلك الذي يدعُ اليتيم (٢) ولا يحض على طعام المسكين (٣) فويل للمصلين (٤) الذين هم عن صلاتهم ساهون (٥) الذين هم رآءون (٦) ويمنعون الماعون (٧)

يقول تعالى أرأيت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب (فذلك الذي يدع اليتيم) أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام

هـلا صرت بهم تريد قراهم	منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش	والقائلين هلم الاضياف
والخاطلين غنيهم بفقيرهم	حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق	والراجلين برحلة الايلاف
عمرو العلاء هشم التريد لقومه	ورجال مكة مستنون عجاف
سفربن سنهما له ولقومه	سفر الشتاء ورحلة الاضياف

وقال الضحاك والربيع وسفيان (وآمنهم من خوف) من خوف الجذام فلا يصيبهم بيلدهم الجذام

﴿ سورة الماعون مكية وهي سبع آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أرأيت الذي يكذب بالدين ﴾ قال مقاتل نزلت في العاص بن وائل السهمي ، وقال السدي

المسكين) كما قال تعالى (كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته

ثم قال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعني المنافقين الذين يصلون في العلانية ولا يصلون في السر ولهذا قال (للمصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، اما عن فعلها بالكسبية كما قاله ابن عباس واما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكسبية كما قاله مسروق وابو الضحى

وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل في صلاتهم ساهون ، واما عن وقتها الاول فيؤخرونها الى آخره دائما او غالبا ، واما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، واما عن الخشوع فيها والتدبير لمعانيتها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعة لا يذكر الله فيها الا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص الى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام اليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها الا قليلا وله انما حمله على القيام اليها مرة واحدة للناس لا بتغافل وجه الله فهو كما اذا لم يصل بالكسبية

قال الله تعالى (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون)

وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « ان في جهنم لواديان تسعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمصدق في غير ذات الله وللحاج الى بيت الله وللخارج في سبيل الله

وقال الامام أحمد حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بابي يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره »

ومقاتل بن حيان وابن كيسان في الوليد بن المغيرة ، قال الضحاك نزلت في عمرو بن عائذ المخزومي وقال عطاء عن ابن عباس في رجل من المنافقين ومعنى يكذب بالدين أي بالجزاء والحساب (فذلك الذي يدع اليتيم) يقهره ويدفعه عن حقه والدرع الدفع بالهفوة والجفوة (ولا يحض على طعام المسكين) لا يطعمه ولا يأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)

ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطم عليه الناس فأعجبه ذلك أن هذا لا بعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا محمد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجني ذلك فذكرته لرسول الله ﷺ فقال « كتب لك أجران أجر السر وأجر العلانية » قال أبو علي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للمرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة أو قد رواه غيره عنه

قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثني بن موسى حدثنا داود حدثنا أبو سنان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل بسره فإذا اطلم عليه أعجبه قال قال رسول الله ﷺ « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثني وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسل

وقد قال أبو جعفر ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية بن هشام عن شيبان النخعي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطي كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي أن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم بسم والله أعلم

وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالسكينة ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا وتأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن سنان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار أنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ثنا حرمي بن حفص التميمي^(١) ثنا عكرمة بن إبراهيم الأزدي ثنا عبد الكريم بن عمير عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال سئل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « إضاعة الوقت » قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية إذا حضروا

(١) هكذا في الأصول ولكن في تقريب التهذيب أنه العتيقي

ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح اسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أي لا احسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه اليهم، فهو لا يمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى وقد قال ابن أبي نجيع عن مجاهد قال علي الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روي من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري ان صلى رأى وان فاتته لم يأس عليها ويمنم زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها، وخفيت الزكاة فمنعوها

وقال الاعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الخراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الغأس والقدر وقال المسعودي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين انه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الغأس والقدر والدلو وأشياء ذلك وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الاحوص عن أبي اسحاق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والغأس والقدر لا يستغنى عنهم وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي ﷺ مثله

وقال الاعمش عن ابراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الغأس والدلو وشبهه

وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم ابن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منم الدلو وأشياء ذلك وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بأسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال كل معروف صدقة وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله

لقوله تعالى (الذين هم براؤن) وقال في وصف المنافقين (وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا تسالي براؤن الناس) وقال قتادة ساء عنها لا يبالي صلى أم لم يصل، قيل لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عتابا إن تركوا، وقال مجاهد غافلون عنها يتهاونون بها، وقال الحسن هو الذي إن صلاها صلاها رياء وإن فاتته لم يندم، وقال أبو العالية لا يصلونها لمواقبتها ولا يتمون ركوعها وسجودها (ويمنعون الماعون) روى علي رضي الله عنه أنه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة

قال الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (يمنعون الماعون) يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد وابراهيم النخعي وسعيد بن جبيرة وأبو مالك وغير واحد أنها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبي سليم ومجاهد عن ابن عباس (يمنعون الماعون) قال لم يجبي أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس (يمنعون الماعون) قال اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير

ثم روى عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبي سليم عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي الماعون منع الناس الفاس والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي قاله عكرمة حسن فانه يشمل الاقوال كلها وترجم كلها الى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد بن كعب (يمنعون الماعون) قال المعروف ولهذا جاء في الحديث « كل معروف صدقة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيم عن ابن أبي ذئب عن الزهري (يمنعون الماعون) قال بلسان قريش المال

وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا في اسناده ومثله فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا ليث بن حفص الدارمي حدثنا دهم بن دهم العجلي حدثنا عائذ بن ربيعة النخري حدثني قرة بن دعووس النهيري أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ما نعهد اليك ؟ قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يا رسول الله وما الماعون ؟ قال « في الحجر وفي الحديد وفي الماء » قالوا فأبي الحديد ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد الفأس الذي تمتنون به » قالوا ما الحجر ؟ قال « قدوركم الحجارة » غريب جدا ورفع منكر وفي اسناده من لا يعرف والله أعلم

(١) وقد ذكر ابن الاثير في الصحابة ترجمة علي النخري فقال روى ابن مانع بسنده الى عامر بن ربيعة ابن قيس النخري عن علي بن فلان النخري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « المسلم أخو المسلم اذا اقيه جاء بالسلام وبرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يا رسول الله ما الماعون ؟ قال « الحجر والحديد واشباه ذلك » والله أعلم

﴿ آخر تفسير السورة والله الحمد والمنة ﴾

والضجاء ، وقال عبد الله بن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر وأشباه ذلك وهي رواية سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس ، قال مجاهد الماعون العارية ، وقال عكرمة أعلاها الزكاة المعروفة وأدناها عارية المتاع ، وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ، قال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا معنة أي شيء قليل فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقبل الماعون ما لا يحل منه مثل الماء والملح والنفار

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شئت هو الأبر (٣)

قال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلعل عن انس بن مالك قال أغنى رسول الله ﷺ اغفائة فرغم رأسه متبسما إما قال لهم وأما قالوا له لم ضحكك فقال رسول الله ﷺ « أنه أنزلت علي آتفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتي ، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الامام احمد بهذا الاسناد الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلعل عن انس بن مالك

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة انه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وان آتيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلعل عن انس ، ولفظ مسلم قال بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذ أغنى اغفائة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما ضحكك يا رسول الله ؟ قال « لقد أنزلت علي آتفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شئت هو الأبر) ثم قال « أتدرون ما الكوثر ؟ - قلنا الله ورسوله أعلم قال - فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم في السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك »

وقد استدلل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وانها منزلة معها

فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم في هذا الحديث انه نهر في الجنة وقد رواه الامام

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ أخبرنا اصماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر

أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر) قال قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فإذا هون به يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي في تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل » ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وهو لفظ البخاري رحمه الله

وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أمرني رسول الله ﷺ مضى به جبريل إلى السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال « يا جبريل ما هذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذي خبا لك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء في سورة سبعمان من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو مخرج في الصحيحين

وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « فيما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقل للملك الذي معه أندري ما هذا ؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله ، وضرب يده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعه وهام وغيرهم عن قتادة به

قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك ، أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجوز قال أبو بكر يارسول الله انها لناعمة قال أكلها أنعم منها »

عن المختار يعني بن فلعل عن أنس قال بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى اغفاه ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يارسول الله ؟ قال « نزلت علي آتفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبر » ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال « فانه نهر وعديني ربي فيه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب أنه مني فيقول ما تدري ما أحدث بهك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا الألبان عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله ما الكوثر؟ قال «هو نهر في الجنة أعطانيه ربي هو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» قال عمر يا رسول الله إنها لناعمة قال — أكلها أنعم منها يا عمر — ورواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكوثر فذكر مثله سواء

وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى [إنا أعطيناك الكوثر] قالت نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آينه كهذه النجوم، ثم قال البخاري رواه زكريا أبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف، وقال إسرائيل نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء. وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال قلت لعائشة يأم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت نهر في بطنان الجنة، قلت وما بطنان الجنة؟ قالت وسطها حافاه قصور اللاؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصابؤه الأؤلؤ والياقوت وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: من أحب أن يسمي خير الكوثر فليجعل أصبعه في أذنيه وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة، وفي بعض الروايات عن رجل عنها، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لأنه يسمعه نفسه والله أعلم قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعاً من طريق لك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم

ثنا عمرو بن محمد ثنا هشام ثنا أبو بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير إن أناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه، قال الحسن هو القرآن العظيم قال عكرمة النبوة والكتاب وقال أهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنو فل فوعل من النفل والعرب تسمي كل شيء كثيراً في العدد أو كثيراً في القدر والخطر كوثرًا. والمعروف أنه نهر في الجنة أعطاه الله رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحزقي أنا أبو الحسن علي بن عبيد الله الطيسفوني أنا عبد الله ابن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا حميد عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري، بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل

ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في الكوثر هو الخير الذي أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد ابن جبير فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه ، ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبي بشر وعطاء بن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الكوثر الخير الكثير

وقال الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبي الحسن البصري حتى قال مجاهد هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة

وقد صح عن ابن عباس انه فسر به بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر في الجنة حافته ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو ذلك

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر انه قال الكوثر نهر في الجنة حافته ذهب وفضة يجري على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذي عن ابن حميد عن جرير عن عطاء بن السائب به مثله موقوفا وقد روي مرفوعا فقال الامام احمد حدثنا علي بن حفص حدثنا ورقاء قال وقال عطاء بن محارب ابن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب والماء يجري على الاؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير عن طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح .

وحافته خيام الاؤلؤ ، فضربت بيدي فاذا ترى منك أذفر ، فقلت لجبريل ما هذا قال : الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى الصلت ثنا ابواسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو سعيد الاشج ثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافته الذهب مجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وأشد بياضا من الثلج »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا نافع عن ابن عمر وعن ابن أبي مليكة قال قال عبد الله بن عمر قال رسول

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر ؟ قلت حدثنا عن ابن عباس انه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله انه الخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (انا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر في الجنة حافظه من ذهب يجري على الدر والياقوت »

وقال ابن جرير حدثني ابن البرني حدثنا ابن ابي مرجم حدثنا محمد بن جعفر بن ابي كثير أخبرني حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الاعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجدته فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يا بني الله آتفاً عامداً نحوك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار أو لا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل فقدمت اليه حيساً فأكل منه فقالت يا رسول الله هنيئلاً لك ومريثاً لقد جئت وأنا أريد أن آتيك أهنيك وأمر بك أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرأ في الجنة يدعى الكوثر فقال « أجل وعرضه - يعني أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد وؤلؤ » حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض . ولنذكرها هنا

وهكذا روي عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة ، وقال عطاء هو حوض في الجنة

وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فإخاص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والريسم وعطاء الخراساني والحكم وسعيد بن أبي خالد وغير

الله ﷺ « حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكبشانه كنجوم السماء من يشرب منها لا يظمأ أبداً »

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد ابن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن معدان بن ابي طلحة عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « أنا عند عقر حوضي أذرد الناس عنه لأهل الجن اي - أضربهم بعصاي - حتى يرفضوا عنه وانه ليقت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق والآخر من ذهب طوله ما بين بصرى وصنعاء - أو ما بين ايلة ومكة - أو من مقامي هذا الى عمان » قوله عز وجل (فصل لربك وانحر) قال محمد بن كعب بن أناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون

واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير الله كما قال تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) وانه لفسق الآية ، وقيل المراد بقوله وانحر وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن علي ولا يصح ، وعن الشعبي مثله وعن أبي جعفر الباقر (وانحر) يعني رفع اليدين عند افتتاح الصلاة ، وقيل (وانحر) أي استقبل بنحرك القبلة ذكر هذه الاقوال الثلاثة ابن جرير

وقد روى ابن أبي حاتم مهنا حديثاً منكراً جداً فقال حدثنا وهب بن ابراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا اسرائيل بن حاتم المروزي حدثنا مقاتل بن حيان عن الاصمعي بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ (إنا أعطيناك الكوثر) فصل لربك وانحر (قال رسول الله ﷺ) يا جبريل ما هذه النخيرة التي أمرني بها ربي ؟ فقال لي - ت بنخيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت للصلاة ارفع يديك اذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وان لكل شي زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة « وهكذا رواه الحاكم في المستدرک من حديث اسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراساني وانحر أي ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وبرز تحرك يعني به الاعتدال رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الاقوال غريبة جداً . والصحيح القول الاول ان المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » فقام ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله إني نسكت شاتي قبل الصلاة وعرفت ان اليوم يوم يشتهد فيه اللحم قال « شاتك شاة لحم » قال فان عندي عناقاً هي أحب إلي من شاتين أفنجزني . غني قال « تجزئك ولا تجزي . أحداً بعدك »

قال ابو جعفر بن جرير والصواب قول من قال ان معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ماسواه من الانداد والآلهة وكذلك تحرك اجعله له دون الاوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كذا . له وخصك به وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء .

وقوله تعالى (إن شاتك هو الابتر) أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى

لغير الله فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي وينحر لله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلوات المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى ، وروى عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال (فصل لربك وانحر) قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة عند النحر

قوله تعالى (إن شاتك) عديك ومبغضك (هو الابتر) هو الاقل الاذل المنقطع دابره نرات

والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبرّ الأقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت في العاص بن وائل

وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة وقال شمر بن عطية نزلت في عقبة بن أبي معيط ، وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت في كعب ابن الأشرف وجماعة من كفار قريش

وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبت من قومهم ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحبيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال فنزلت (إن شانتك هو الأبرّ) هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد القيلة فأنزل الله في ذلك (إن شانتك هو الأبرّ)

وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه ان شانتك يعني عدوك وهذا يعم جميع من انصف بذلك ممن ذكر وغيرهم ، وقال عكرمة الأبرّ الفرد ، وقال السدي كانوا اذا مات ذكر الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (ان شانتك هو الأبرّ) وهذا يرجع الى ما قلناه من أن الأبرّ الذي اذا مات انقطع ذكره فتوهّموا لجهلهم أنه اذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الاشهاد ، وأرجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرّاً على دوام الآباد ، الى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً الى يوم التناد ،

(آخر تفسير سورة السكوتر والله الحمد والمنة)

في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى النبي ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه ؟ قال ذلك الأبرّ يعني النبي ﷺ وكان قد توفي ابن لرسول الله ﷺ من خديجة رضي الله عنها وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان قال كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله ﷺ قال دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله تعالى هذه السورة ، وقال عكرمة عن ابن عباس نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب مكة قالت له قريش نحن أهل السقاية والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فمن خير أم هذا الصنبر المنبت من قومهم ؟ فقال بل أنتم خير منه فنزلت (ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية ونزل في الذين قالوا انه أبتر (ان شانتك هو الأبرّ) أي المنقطع عن كل خير

﴿ تفسير قل يا أيها الكافرون وهي مكية ﴾

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال رقت النبي ﷺ أربعاً وعشرين أو خمناً وعشرين مرة يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري حدثنا سفيان هو الثوري عن أبي اسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال رقت النبي ﷺ شهراً وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أحمد الزبيري وأخرجه النسائي من وجه آخر عن أبي اسحاق به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد تقدم في الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له « هل لك في ربيعة لنا تكفلها ؟ » قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي ﷺ عنها قال « ما فعلت الجارية ؟ » قال تركتها عند أمها قال « فمجيء ما جاء بك » قال جئت لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال « اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » تفرد به أحمد

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو القطراني حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن جميلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي ﷺ قال « إذا أويت الى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تمر بأخرها فانها براءة من الشرك »

(١) وروى الطبراني من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدي عن عبد الرحمن بن (٢) أن (١) هذا وما بعده غير موجود بالنسخة المكية رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يخلعها

وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبي اسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث ابن جبلة قال قلت يا رسول الله علمني شيئاً أقوله عند منامي قال « إذا أخذت مضجعتك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك » والله أعلم

(٢) كذا بالاصل

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا أيها الكافرون (١) لا أعبد ما تعبدون (٢) ولا أنتم عبدة ما أعبد (٣) ولا أنا

عابد ما عبدتم (٤) ولا أنتم عبدة ما أعبد (٥) لكم دينكم ولي دين (٦)

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمل المشركون وهي آمرة بالاخلاص فيه فقوله (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض والكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة وبعبدون معبوده سنة فانزل الله هذه السورة وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالسكية فقال «لا أعبد ما تعبدون» يعني من الاصنام والانداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له، فهاهنا بمعنى من ثم قال (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أنتم عابدون ما أعبد (أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقندي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه وبرضاه ولهذا قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي لا تقعدون بأوامر الله وشرعه في عبادته بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال (إن يقبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ففبراً منهم في جميع مام فيه فإن العابد لا بد له من معبود يعبد وعبادة يسلكها إليه فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان

﴿سورة الكافرون مكية وهي ست آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة نزلت في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يثوث والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا يا محمد ألم فاتبع ديننا وتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة وتعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً كنا قد شركناك فيه وأخذنا حظنا منه وإن كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فقال «معاذ الله أن أشرك به غيره» قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك وتعبد إلهك فقال «حتى أنظر ما يأتي من عند ربي» فانزل الله عز وجل (قل يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملائكة من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه ومعنى الآية «لا أعبد ما تعبدون» في الحال «ولا أنتم عابدون ما أعبد» في الحال «ولا أنا عابد ما عبدتم» في الاستقبال «ولا أنتم عابدون ما أعبد» في الاستقبال وهذا الخطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون

كلمة الاسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أي لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول ﷺ والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول ﷺ (لكم دينكم ولي دين) كما قال تعالى (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون - وقال - لنا أعمالنا ولكم أعمالكم)

وقال البخاري يقال (لكم دينكم) الكفر (ولي دين) الاسلام ولم يقل ديني لان الآيات بالنون خذف الياء كما قال (فهو يهدين - ويشقين) وقال غيره لا أعبد ما تعبدون إلا أن ولا أجيئكم فيما بقي من عمري ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم الذين قال (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) انتهى ما ذكره . ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله فان مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) وكقوله انزولون الجحيم * ثم اترونها عين اليقين وحكامه بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتيبة قاله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال (أولها) ما ذكرناه أولا (الثاني) ما حكاه البخاري وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد في الماضي ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد) في المستقبل

(الثالث) أن ذلك تأكيد محض (وتم قول رابع) نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفي الفعل لانها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفي قبوله لذلك بالكلية لان النفي بالجملة الاسمية أكد فكانه نفي الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفي الوقوع ونفي الامكان الشرعي أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم

وقد استدلل الامام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة (لكم دينكم ولي دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصراني وبالعكس اذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لان الاديان ما عدا الاسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصراني من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى »

﴿ آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون ﴾

وقوله (ما أعبد) أي من أعبد؟ لكنه ذكره لمقابلة ما تعبدون ، ووجه التكرار قال أكثر أهل المعاني هو ان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهمم التكرار وإرادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهمم الاختصار وإرادة التخفيف والابحاز ، وقال القتيبي تكرار الكلام لتكرار الوقت ، وذلك أنهم قالوا ان شرك أن ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة ﴿ لكم دينكم ﴾ الشرك ﴿ ولي دين ﴾ الاسلام قرأ ابن كثير ونافع وحفص ولي بفتح الياء والآخرين بأسكانها

﴿ تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية ﴾

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي أخبرنا محمد بن اسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر عن أبي العيمس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العيمس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس يا ابن عتبة أعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم إذا جاء نصر الله والفتح قال صدقت

وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحته القصوا . فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة وقال الحافظ البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصنفار حدثنا الاسفاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « انه قد نعت إلي نفسي » فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرني انه نعت اليه نفسه فبكت ثم قال « اصبري فانك أول أهلي لحاقا بي » فضحكت وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاء نصر الله والفتح (١) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا (٢) فسبح

بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (٣)

قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن

﴿ سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ أراد فتح مكة وكانت قصته على ما ذكر محمد بن اسحاق وأصحاب الاخبار أن رسول الله ﷺ لما صالح قريشا عام الحديبية واصطاحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ وكان بينهما شر قديم ثم إن بني بكر عدت على

ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فأرايت انه دعاني فيهم يومئذ إلا لبرهم فقال ماتقولون في قول الله عز وجل [اذا جاء نصر الله والفتح] فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت لا ، فقال ماتقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال [اذا جاء نصر الله والفتح] فذلك علامة أجلك [فبجح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا] فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ماتقول . تفرد به البخاري

(١) وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس (١) هذا غير موجود بال نسخة المكية فذكر مثل هذه القصة أو نحوها

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما نزلت [اذا جاء نصر الله والفتح] قال رسول الله ﷺ « نعت إلى نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة تفرد به احمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وابر العالية والضحاك وغير واحد انها أجل رسول الله ﷺ نعي اليه

وقال ابن جرير حدثني اسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفى عن معمر عن الزهري

خزاعة وهم على ما لهم بأسفل مكة يقال له الوثير فخرج نوفل بن معاوية الدثلي في بني الدثل من بني بكر حتى يبت خزاعة فأصابوا منهم رجلا ونحاروا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل مستخفيا بالليل حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن أعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلئذ بأنفسهم متكرين صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيد بن مسعود فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يانوفل إنا دخلنا الحرم إهلك إهلك ، فقال كلمة عظيمة انه لا إله الا اليوم أصيبوا ثأركم فيه فلما نظاهرت قريش على خزاعة وأصابوا منهم ونقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

لاهم إني ناشد محمدا حلف أينا وأيه الأتلا

أن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

الآيات كما ذكرنا في سورة التوبة فقال رسول الله ﷺ « قد نصرت يا عمرو بن سالم » ثم عرض لرسول الله ﷺ عنانة بين السماء فقال « إن هذه السحابة لذة تهل بنصر بني كعب » وهم رهط عمرو ابن سالم ثم خرج بدبل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فاخبروه بما

عن أبي حازم عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال «الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل ابن - قيل يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال - قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية» ثم رواه عن عبد الأعلى عن أبي عن معمر عن عكرمة مرسلًا وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت [إذا جاء نصر الله والفتح] حتى ختم السورة قال نعت رسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ما كان قط اجتهدا في أمر الآخرة، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك «جاء الفتح ونصر الله، وجاء أهل اليمن» فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال «قال قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان»

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزبن عن ابن عباس قال: لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي ﷺ أن قد نعت إليه نفسه فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزبن أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعت إلى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيحي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن

أصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكة وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس كأنكم يا بني سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة ومضى بديل بن ورقاء فلقي أباسفيان بعسفان قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدد العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا الذي صنعوا فلما لقي أبو سفيان بديلا قال من ابن أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ قال صرت إلى خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال أو ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل إلى مكة قال أبو سفيان أين كان جاء المدينة تقدم علف ناقته بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته فأخذ من بهرها ففته فرأى النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على أمته أم حبيبة بنت أبي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه فقال يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت إلى هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ فقال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شيء ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلما فلم يرد عليه شيئا ثم ذهب إلى أبي بكر فكلما أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال ما أنا بفاعل ثم أتى عمر بن الخطاب فكلما فقال لا أشنع لكم إلى رسول الله ﷺ فوالله لو لم أجد إلا الدر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب (رض) وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعندهما الحسن بن علي رضي الله عنهما غلام يدب بين يديهما فقال بأعلي إنك أمس القوم بي رحما وأقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا أرجع فاجئمت خائبا: اشغم لنا إلى

أبي العباس عن أبي بكر بن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا إذا جاء نصر الله والفتح)

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البحتري الطائي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس خير وأنا وأصحابي خير » وقال - لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية « فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاهدان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قال لصدق . تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم الفتح « لا هجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استغفرتم فافزعوا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلسا . عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى ملبح صحيح

وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمان ركعات فقال قائلون

رسول الله ﷺ فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله ﷺ على امر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، فالتفت إلى قاطمة فقال يا بنت محمد هل لك أن تأمرني بنيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت والله ما بلغ بني أن يجبر بين الناس وما يجبر على رسول الله ﷺ أحد فقال يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحنى ، قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك ، قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟ قال لا والله ما أظن ولكن لا أجعلك غير ذلك ، فقام ابوسفيان في المسجد فقال يا أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك ؟ قال : جئت محمدا فكلمته والله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجده خيرا فجئت ابن الخطاب فوجدته أعدى القوم ثم أتيت علي بن أبي طالب فوجدته ألين القوم وقد أشار علي بشي . صنعت فوالله لا أدري هل يغنيني شيئا أم لا قالوا وماذا أمرك ؟ قال امرني ان أجبر بين الناس ففعلت ، قالوا فبل اجاز ذلك محمد ﷺ قال لا قالوا والله ان زاد علي أن لعب بك فلا يغني عنا ما قلت ، قال لا والله ما رجدت غير ذلك ، قال وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاد وأمر أهله أن يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تصلح بعض جهاز رسول الله ﷺ فقال اي بنية أمركم رسول الله ﷺ بأن يجهزوه قالت نعم فتجهز قال فأين تربته يريد قالت ما أدري

هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافراً لم ينو الإقامة بمكة؟ ولهذا قام فيها إلى آخر شهر رمضان قريباً من تسع عشرة يوماً يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحواً من عشرة آلاف قال هؤلاء، وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لامير الجيش إذا فتح بلداً أن يصلي فيه أول ما يدخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم بصليها كلها بـ تسعة وأحدة، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين، وأما ما فسره ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنها من أن هذه السورة نهي فيها إلى رسول الله ﷺ روحه السكرية وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتنبأ للقدوم علينا والوفود اليناء فالآخرة خير لك من الدنيا، وسوف يعطيك ربك فترضى، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) قال النسائي أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعت لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت فأخذ في أشد ما كان اجتهد في أمر الآخرة وقال رسول الله ﷺ بها ذلك «جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن» فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال «قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم الإيمان يمان والحكمة يمانية والفتنة يمان»

ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتبؤ وقال «ألقم خذ العيون والاعبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها» فتجهز الناس وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ذكرناه في سورة الممتحنة

ثم استخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري وخرج عامداً إلى مكة لعشر مضي من رمضان سنة ثمان فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه حتى إذا كان بالكديد ما بين عسفان وأمع فاطر

ثم مضى حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه أحد، فلما نزل بمر الظهران وقد عمت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ ولا يدرون ما هو فاعل؟ فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا يتجسسون الاخبار هل يجدون خبراً؟

وقد قال العباس بن عبد المطلب ليلتذ واصباح قريش والله لئن بغتها رسول الله ﷺ في بلادها فدخل مكة عنوة أنها لهلك قريش إلى آخر الدهر، فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ وقال أخرج إلى الأراك لعلني أرى خطاباً أو صاحب ابن أو داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول

وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال قالت عائشة كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وقال ان ربي كان أخبرني أنني سأرى علامة في أمي وأمرني اذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره انه كان توابا فقد رأيتها (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به

وقال ابن جرير حدثنا ابو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن ام سلمة قالت كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال «سبحان الله وبحمده» فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجي ولا تقوم ولا تقعد الا قلت «سبحان الله وبحمده» قال «اني أمرت بها فقال (اذا جاء نصر الله والفتح)» إلى آخر السورة غريب وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب ههنا

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن امراة عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت

الله ﷻ فيأتونه فيستأمنونه قبل أن يدخلها عنوة

قال العباس فخرجت واني لأطوف في الاراك ألتبس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وقد خرجوا يتجسسون الخبر فسمعت ابا سفيان يقول والله ما رأيت كالأيلة قط نيرانا وقال بديل هذه والله نيران خزاعة خشتها الحرب فقال ابو سفيان: خزاعة الأم من ذلك وأذل، فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال يا أبا الفضل فقلت نعم فقال مالك فذاك ابي وأمي، قلت ويحك يا أبا سفيان هذا والله رسول الله ﷺ قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين، قال وما الحيلة اقلت والله لئن ظفرت بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البعلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه فردفني ورجع أصحابه فخرجت أركض به بعلقة رسول الله ﷺ كلما مررت بنار من نيران المسلمين فنظروا إلي قالوا هذا هم رسول الله ﷺ على بعلقة رسول الله ﷺ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب (رض) فقال من هذا؟ وقام إلي فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ فركضت البعلة وسبقته بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطي. فاقترعت عن البعلة فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ

على رسول الله ﷺ (إذا جاء نصر الله والفتح) كان بكثرا إذا قرأها وركم أن يقول «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم» ثلاثا نفرد به أحمد ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به والمراد بالفتح هنا

فأخذت برأسه وقلت والله لا بناجيه الليلة أحد دوني فلما أكثر فيه عمر رضي الله عنه قلت مهلا يا عمر فوالله ما نصنع هذا إلا أنه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، قال مهلا يا عباس فوالله لا سلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم وذلك لأنني أعلم أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ «أذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأنفني به قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ فلما رآه قال «وبحك يا أبا سفيان ألم بأنك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» قال بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كن مع الله لغيره لقد أغنى عني شيئا بعد، قال «وبحك يا أبا سفيان ألم بأنك أن تعلم أني رسول الله؟» قال بآبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئا قال العباس قلت له وبحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك قال فشهد شهادة الحق وأسلم قال العباس قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا قال «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن» فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ يا عباس احبسهم بضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنودك فبرأها قال فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال من هؤلاء يا عباس؟ قال أقول سليم قال يقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء؟ فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفذت القبائل لا تمر قبيلة إلا سألتني عنها فإذا أخبرته يقول مالي ولبنى فلان حتى مر رسول الله ﷺ في الخضراء كتيبة رسول الله ﷺ فيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد قال سبحان الله من هؤلاء يا عباس؟ قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار فقال والله مالا أحد به هؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال وبحك أنها النبوة فقال نعم إذا قلت الحق الآن بقومك فخذهم فخرج سريراً حتى أتى مكة فصرخ في المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيها لا قبل لكم به قالوا فمه؟ قال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا وبحك وما نغني عنا دارك؟ قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فنفروا ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله ﷺ يمر الظهران فأسلما وبايعاه فلما بايعاه بهنما رسول الله ﷺ بين يديه إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام ولما خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام من عند النبي ﷺ عائدين إلى مكة بعث في أثرهما

فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تنلوم بإسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ولم يقب في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام والله الحمد والمنة

الزبير وأعطاه رايته وأمره على خيل المهاجرين والانصار وأمره أن يركز رايته بأعلى مكة بالحجون قال « لا تبرح حيث أمرتك أن تركز رايتي حتى آتيك » ومن ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك قبته، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من قضاة وبني سليم أن يدخل من أسفل مكة وبها بنو بكر قد استغفروهم قريش وبني الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة، وإن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناساً بالخذقة ليقاتلوا وقال النبي ﷺ لخالد والزبير حين بعثهما « لا تقانلا إلا من قانلكم » وأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كداء فقال سعد حين توجه داخلا : اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله اسمع ما قال سعد بن عباد وما نأمن أن يكون له في قريش صولة فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب أدركه فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال ، وأما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش بأسفل مكة فقاتلهم فهزمهم الله ، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، وقتل من المشركين قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر ولم يقتل من المسلمين إلا رجل من جبهة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد كانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً ، وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى امرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة أن لا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم إلا في نفر سماهم أمر بقتلهم وأن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي مروح وإنما أمر بقتله لانه كان قد أسلم فارتد مشركاً ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاعة ففقيه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن أطمأن أهل مكة فاستأمن له ، وعبد الله بن خطل كان رجلاً من بني تميم بن غالب وإنما أمر بقتله لانه كان مسلماً فبعثه رسول الله ﷺ مصداقاً وكان له مولى بخدمة وكان مسلماً فتول منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركاً وكانت له قيتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ فأمر بقتلها معه ، والحويرث بن نفيل بن وهب كان ممن يؤذيه بمكة ، ومقيس بن ضبابه وإنما أمر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مرتداً ، وسارة مولاة كانت لبعض بني المطلب كانت ممن يؤذيه بمكة ، وعكرمة بن أبي جهل فأما عكرمة فهرب إلى اليمن واسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله ﷺ فامنه فخرجت في طلبه حتى أتت به رسول الله ﷺ

وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح يادر كل قوم باسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الاحياء تلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظروعايهم فهو نبي الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا (السيرة) فمن اراد فليراجع هناك والله الحمد والمنة

فاسلم، وأما عبد الله بن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وأبو برزة الاملي اشتركا في دمه، وأما مقيس بن ضبابة فقتله نائلة بن عبد الله رجل من قومه وأما قيننا بن خطل فقتلت احداها وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ فآمنها، وأما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها فآمنها فعاثت حتى أوطأها رجل من الناس فرسالة في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها، وأما الحويرث بن نفيل فقتله علي بن أبي طالب، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة وقف قائما على باب الكعبة وقال « لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن كل مأثرة أو دم أو مال في الجاهلية يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سداية البيت وسقاية الحاج، يا معشر قریش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم خلق من تراب — ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية — يا أهل مكة ماذا ترون أني فاعل بكم؟ — قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال — اذهبوا فأنتم الطلقاء، فأتهم رسول الله ﷺ وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء، ثم اجتمع الناس للبيعة فجلس لهم رسول الله (ص) على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيها امتطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء فقال عروة بن الزبير خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هاربا منك ليقتل نفسه في البحر فآمنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « هو آمن » قال يا رسول الله أعطني شيئا يعرف به أمانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى أدركه بجدة وهو يريد أن يركب البحر فقال يا صفوان فذاك أبي وأمي أذكرك الله في نفسك أن تهلكها فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتكم به فقال وبذلك أغرب عني فلا تكلمني قال أي صفوان فذاك أبي وأمي أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ابن عمك عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكك ملكك قال إني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان إن هذا يزعم أنك أمتي قال صدق قال فاجعلني في أمري بالخيار شهرين قال أنت فيه بالخيار أربعة أشهر قال ابن امحقا وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقرين من رمضان سنة ثمان وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج إلى هوازن وثقيف وقد نزلوا حينئذ

وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابو اسحاق عن الازاعي حدثني ابو عمار حدثني جابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاؤني جابر بن عبد الله فسلم علي فجهلت أحدثه عن افتراق

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا شيبان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن خزاعة قتلوا رجلا وقال محمد بن إسماعيل قال عبد الله بن رجاء ثنا حرب عن يحيى ثنا أبو سلمة أنا أبو هريرة أنه قال عام فتح مكة قتل خزاعة رجلا من بني ليث بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله ﷺ فقال « إن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنما لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار ألا وإنما ساعتي هذه حرام لا يختلي شوكما ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساقطها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما يودوا وإما يفادوا فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال اكتب لي يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ « اكتبوا لا بي شاه » ثم قام رجل من قريش فقال يا رسول الله إلا الأذخر فأنانجه في بيوتنا وقبورنا فقال رسول الله ﷺ « إلا الأذخر » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هاني، بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هاني، بنت أبي طالب تقول ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يفتسل وفاضمة ابنته تستره بثوب قالت فسلمت فقال « من هذه » فقلت أنا أم هاني، بنت أبي طالب فقال « مرحبا بأم هاني، » فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا في ثوب واحد ثم انصرف فقلت له يا رسول الله زعم ابن أمي علي بن أبي طالب أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة فقال رسول الله ﷺ « قد أجرنا من أجرته بأم هاني، » وذلك ضمي، قوله عز وجل (إذا جاء نصر الله) يا محمد علي من عاداك وهم قريش (والفتح) فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) زمرا وارسالا القبيلة بأسرها والقوم باجمعهم من غير قتال

قال الحسن لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت العرب بعضها لبعض إذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا بعد أن كانوا يدخلون واحدا واحدا اثنين اثنين

وقال عكرمة ومقاتل أراد بالناس أهل اليمن أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « أناكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا، وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية » (فسيح محمد ربك واستغفره انه كان توابا) فانك حينئذ لاحق به

الناس وما أحدثوا فجعل جابر يسي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا »

﴿ آخر تفسير سورة النصر وهي مكية ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو النعمان ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال انه ممن قد علمه ، قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، قال وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليربهم مني ، فقال ما تقولون في قوله (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ حتى ختم السورة فقال بعضهم أمرنا ان نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندرى ولم يقل بعضهم شيئا ، فقال لي يا ابن عباس أكن ذلك تقول قلت لا قال فما تقول ؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله به (إذا جاء نصر الله والفتح) فتح مكة فذلك علامة اجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) فقال عمر ما أعلم منها إلا ما تعلم

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا جابر عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر ان يقر في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأول القرآن

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثني حدثني عبد الأعلى ثنا داود عن عامر عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر من قول « سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه » قالت فقلت يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقال « أخبرني ربي اني سأرى علامة في أمي فاذا رأيته أكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقد رأيته » (إذا جاء نصر الله والفتح) فالفتح فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي (ص) انه نعت اليه نفسه . قال الحسن أعلم انه قد اقترب اجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالزيادة في العمل الصالح قال قتادة ومقاتل عاش النبي (ص) بعد نزول هذه السورة سبعين يوما



تفسير سورة تبت وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت يدا أبي لهب وتب (١) ما أغنى عنه ماله وما كسب (٢) سيصلى نارا ذات لهب (٣)

وامرأته حمالة الحطب (٤) في جيدها حبل من مسد (٥)

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا ابو معاوية حدثنا الامش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى الطلحاء فصعد الجبل فنادى «يا صبا حاه» فاجتمعت اليه قريش فقال «أرايتم ان حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا نعم قال -فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب ألهذا جمعنا؟ تبا لك فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها وفي رواية فقام ينفذ يديه وهو يقول تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعنا؟ فأنزل الله (تبت يدا أبي لهب وتب) الأول دعاء عليه والثاني خبر عنه فأبولهب هذا هو أحد أعمام رسول الله ﷺ واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عيبة وانما سمي أبولهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله ﷺ والبغضة له والازدراء به والتنقص له ولدينه

قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني الدليل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ورواه رجل وضيء الوجه أحول ذو غبرتين يقول إنه صابي كاذب، يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبولهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال ابو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيراً؟ قال لا والله إني يومئذ لأعقل أني أفر القربة ففرد به أحمد

(سورة أبي لهب مكية وهي خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبت يدا أبي لهب وتب) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب ابن أحمد الطومى ثنا محمد بن حماد ثنا ابو معاوية عن الامش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال صعد رسول الله (ص) ذات يوم على الصفا فقال «يا صبا حاه» قال فاجتمعت اليه قريش فقالوا له مالك؟ قال «أرايتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا بلى قال «فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعونا جميعاً فأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبي لهب وتب) إلى آخرها قوله (تبت) أي خابت وخسرت (يدا أبي لهب) أي هو، أخبر عن يديه والمراد به نفسه

(١) هذا الحديث غير

موجود بالنسخة المكية

(٢) الحجة بالضم

مجمع شعر الرأس

(١) وقال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلمي يقول إني لم أكن أبى رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يذبح القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جهة (٢) ينف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول «يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أئذ عن الله ما يشئني به» وإذا فرغ من مقاتله قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم أن تملحوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لابن من هذا؟ قال عمه أبو لهب رواء أحمد أبصار الطبراني بهذا اللفظ، فقوله تعالى «تبت يدا أبي لهب» أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وتب) أي وقد تب بتحقيق خسارته وهلاكه

وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن عباس وغيره (وما كسب) يعني ولده، وروي عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فاني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب)

وقوله تعالى (سيعلى ناراً ذات لهب) أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وامرأته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قرش وهي أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلها تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابها في نار جهنم، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها يزيداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له (في جيدها حبل من مسد) قال مجاهد وعروة من مسد النار، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثوري والسدي حمالة الحطب كانت تمشي بالنخلة واختاره ابن جرير

على عادة العرب في التعبير ببعض الشيء عن كله، وقيل اليد صلة كما يقال يد الدهر ويد الزايا والبلايا. وقيل المراد به ماله وماله. يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المسال. وانتباب الخسار والهلاك وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي (ص) واسمه عبد العزى

قال مقاتل: كني بأبي لهب لحسنه وإشراق وجهه، وقرأ ابن كثير (أبي لهب) ساكنة الهاء وهي لغة مثل نهر ونهر وانفقوا في ذات لهب أنها مفتوحة الهاء لوافق الفواصل (وتب) أبو لهب وقرأ عبد الله (وقد تب) قال الفراء الأول دعاء والثاني خبر كما يقال أهلكت الله وقد فعل

(ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن مسعود: لما دعا رسول الله ﷺ أقرباه إلى الله عز وجل قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فاني أفندي نفسي بمالي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله) أي ما يغني وقيل أي شيء يغني عنه ماله؟ أي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع من المال وكان صاحب مواش [وما كسب] قيل يعني ولده لأن ولداً لا انسان من كسبه كما جاء في الحديث «أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وإن ولده من كسبه»

وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجسدي والضحاك وابن زيد كانت تضم الشوك في طريق رسول الله [ص] قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي [ص] بالفقر وكانت تحتطب فغيرت بذلك كذا حكاه ولم يهزه إلى أحد والصحيح الأول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لانفقها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جيدها من مسد النار

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد سلسلة ذرعا سبعون ذراعا ، وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا ، وقال الجوهري المسد الليف والمسد أيضا جبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الأبل أو أوبارها ومسدت الجبل أمسده مسداً إذا أجدت فتله

وقال مجاهد (في جيدها جبل من مسد) أي طوق من حديد لا يرى أن العرب يسمون البكرة مسداً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبي بدر عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول

مذمما أيدينا * ودينه قليلنا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ «انها لن تراني» وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى [واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إني أخبرتك أن صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجك فقلت وهي تقول قد علمت قريش أنني ابنة سيدها قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت فقالت نعم مذم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب إني لحصان فما أكرم ، وثقاف فما أعلم ، وكثافنا من بني العم ، وقريش بعد أعلم ،

ثم أوعده بالنار فقال ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ أي ناراً تلهب عليه ﴿ وامرأته ﴾ أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان ﴿ حمالة الحطب ﴾ قال ابن زيد والضحاك كانت تحمل الشوك والعضاء فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم ، وهي رواية عطية عن ابن عباس وقال قتادة ومجاهد والسدي : كانت تمشي بالقميص وتنفل الحديث فتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب . يقال فلان يحطب على فلان إذا كان يعري به

وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا دليله قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) قرأ عاصم حمالة بالنصب على القدم كقوله [ملعونين] وقرأ الآخرون بالرفع وله وجهان [أحدهما] سيصلى ناراً هو وامرأته حمالة الحطب [والثاني] وامرأته حمالة الحطب في النار أيضا ﴿ في جيدها ﴾ في عنقها وجمعه

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن اسحاق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت [نبت يدا أبي لهب] جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشيء فقال رسول الله ﷺ « أنه سيحال بيني وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت انك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رأتك ؟ قال « لا مزال ملك يسترني حتى ولت » ثم قال البزار لانه يروى بأحسن من هذا الاسناد عن أبي بكر رضي الله عنه

وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى (في جدها جبل من مسد) أي في عنقها جبل في نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائماً ، قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير : روى ذلك وعبر بالمسد عن جبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد في ذلك :
وبكرة ومحوراً صراراً ومسداً من أبق مقاراً

قال والابق القنب . وقال آخر :

يامسد الحوض تعوذ مني * ان تك لدنا لينا فاني * ماشئت من أشمط مكسث
قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جدها جبل من مسد) فأخبر عنها بالشقاء وعدم الايمان لم يقبض لها أن يؤمنوا ولا واحد منها لا باطناً ولا ظاهراً ، لا مسراً ولا معلناً فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة

﴿ آخر تفسير السورة وفيه الحمد والمنة ﴾

أجباد ﴿ جبل من مسد ﴾ واختلفوا فيه . قال ابن عباس وعروة بن الزبير : سلسلة من حديد ذرعا سبعون ذراعاً تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها ، وأصله من المسد وهو القتل والمسد ما قتل وأحكم من أي شيء كان ، يعني السلسلة التي في عنقها قتلت من الحديد فتلاحمها وروى الاعمش عن مجاهد (من مسد) أي من حديد . والمسد الحديد التي تكون في البكرة يقال لها المحور وقال الشعبي ومقاتل من ليف

قال الضحاك وغيره في الدنيا من ليف وفي الآخرة من نار وذلك الليف هو الجبل الذي كانت تحتطب به ، فينما هي ذات يوم حاملة حزمة فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها ملك فحبسها من خلفها فأهلكها قال ابن زيد جبل من شجر ينبت باليمن يقال له مسد

قال قتادة فلاذ من ودع ، وقال الحسن كانت خرزات في عنقها ، وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة في عنقها فاخرة فقالت لا نفقها في عداوة محمد ﷺ

تفسير سورة الاخلاص وهي مكيت

(ذكر سبب نزولها وفضلها)

قال الامام احمد حدثنا ابو سعيد محمد بن ميسر الصاغاني حدثنا ابو جعفر الرازي حدثنا الربيع ابن أنس عن أبي العالبة عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد) وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منبج زاد ابن جرير ومحمود بن خدش عن أبي سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذي قال (الصمد) الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفواً أحد ، ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كنهه شيء . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالبة فذكره مرسلًا ولم يذكر حدثنا ثم قال الترمذي وهذا أصح من حديث أبي سعيد

(حديث آخر في معناه) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا شريح بن يونس حدثنا اسماعيل ابن محالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر رضي الله عنه أن اعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها اسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن شريح فذكره وقد أرسله غير واحد من السلف

وروى عبيد بن اسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قالت قریش لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد * الله الصمد ، والصمد ليس بأجوف

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد هو الذهلي حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبيد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ « أخبروه إن الله تعالى يجبه » هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر

(الجزء التاسع)

(٤٣)

(تفسيرا ابن كثير والبغوي)

محمد الذهلي ويجمعه من روايته عن أحمد بن صالح ، وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث عبد الله ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلهم أصحابه فقالوا انك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزئك حتى تقرأ بالآخرى فلما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال ما أنا بشاركها ان أحببتكم أن تؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون انه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أنام النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمر بك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة ؟ » قال اني أحبها ، قال « حبك اياها ادخلك الجنة » هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به

وقد رواه ابو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن اسماعيل بن أبي أويس عن عبد العزيز ابن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر بإسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت

قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله اني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « ان حبك اياها ادخلك الجنة » وهذا الذي علته الترمذي قد رواه الامام احمد في مسنده متصلا فقال حدثنا ابو النضر حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال اني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله ﷺ « حبك اياها ادخلك الجنة »

﴿ حديث في كونها تعدل ثلث القرآن ﴾ قال البخاري حدثنا اسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء الى النبي ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتقاربا فقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن » زاد اسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي سعيد قال أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن يوسف والقعني ، ورواه ابو داود عن القعني والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن اسماعيل بن جعفر عن مالك به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الاعمش حدثنا ابراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أبهج أحكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم وقالوا آينا يطبق ذلك يا رسول الله ؟ فقال الله الواحد

الصمد ثلث القرآن » تفرد باخراجه البخاري من حديث ابراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرق كلاهما عن ابي سعيد قال الفربري سمعت ابا جعفر محمد بن ابي حاتم وراق ابي عبد الله قال : قال ابو عبد الله البخاري عن ابراهيم مرسل وعن الضحاك مسند

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث ابن يزيد عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « والذي نفسي بيده انها لتعدل نصف القرآن — أو ثلثه »

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حيي بن عبد الله عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن ابا أيوب الانصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فان (قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع ابا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

(حديث آخر) قال ابو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد ابن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ [قل هو الله أحد] ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » اني لأرى هذا خبراً جاء من السماء ثم خرج نبي الله ﷺ فقال « اني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وانها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به وقال الترمذي حسن صحيح غريب ، واسم ابي حازم سلمان

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن عمرو بن ميمون عن ابي عبد الرحمن بن ابي ليلى عن امرأة من الانصار عن ابي ايوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فانه من قرأ قل هو الله أحد * الله الصمد في ليلة فقد قرأ بثلث ثلث القرآن » هذا حديث نسائي الاسناد للامام احمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بن بشار زاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصار لهما عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة ابي ايوب عن ابي ايوب به وحسنه ثم قال في الباب عن ابي الدرداء ، وأبي سعيد وقتادة بن النعمان وابي هريرة وانس وابن عمرو ابي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحداً روى هذا الحديث احسن من رواية زائدة وتابعه على روايته اسرايل والفضيل بن عياض . وقد روى شعبة وغير واحد من الثقة هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه

٢٤٠ كون قراءة سورة الاخلاص توجب الجنة وما ورد في ذلك (تفسير ابن كثير والبغوي

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا هشيم عن حسين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الانصار قال قال رسول الله ﷺ «من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن» ورواه النسائي في اليوم واليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به ولم يقم في روايته هلال بن يساف

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود (رض) قال قال رسول الله ﷺ «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم واليلة من طرق آخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن أبي السميط حدثنا قتادة عن سالم بن ابني الجعد عن معدان بن ابني طلحة عن ابني الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن؟» قالوا نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز قال «فإن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن» ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» وكذا رواه النسائي في اليوم واليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله

ورواه النسائي أيضا في اليوم واليلة من حديث محمد بن اسحاق عن الحارث بن الفضيل الانصاري عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن أن نفرا من أصحاب محمد ﷺ حدثوه عن النبي ﷺ أنه قال «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها»

(حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة) قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبي ﷺ فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «وجبت وما وجبت» قال الجنة» ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث «حبك إياها أدخلك الجنة»

(حديث في تكرار قراءتها) قال الحافظ أبو بهلى الموصلي حدثنا قطن بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشي حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات في ليلة فانهما تعدل ثلث القرآن » هذا اسناد ضعيف وأجود منه

(حديث آخر) قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا ابن أبي ذئب عن أسيد مولى أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تسمي وحين تصبح ثلاثا تكفيك كل يوم مرتين » ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن أبي ذئب به وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائي من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عتبة بن عامر فذكره ولفظه « تكفيك كل شيء »

(حديث آخر في ذلك) قال الامام احمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثني ليث بن سعد حدثني الخليل بن مرة عن الازهر بن عبد الله عن نعيم الداري (رض) قال قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتب الله له أربعين الف حسنة » تفرد به احمد والخليل بن مرة ضعفه البخاري وغيره بمرة

(حديث آخر) قال الامام احمد ايضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لميعة حدثنا زبان بن مائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة » فقال عمر إذا نسيكثير يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب » تفرد به احمد ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا عقيل وغيره عن معبد قال الدارمي وكان من الابدال انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نكثت قصورنا فقال رسول الله (ص) « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد

(حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا نصر بن علي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرني أم كثير الانصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله (ص) قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف

(حديث آخر) قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص) « من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتي مرة كتب الله له الف وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناده ضعيف حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق

البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه « من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد محي عنه ذنوبه خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين »

قال الترمذي وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدي ادخل على يمينك الجنة » ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روي من غير هذا الوجه عنه

وقال ابو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا ابي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » ثم قال لانعم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والاغلب بن نعيم وهما متقاربان في سوء الحفظ

(حديث آخر) في الدعاء بما تضمنته من الاسماء قال النسائي عند تفسيره احدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد قال « والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب » وقد أخرجه بقية اصحاب السنن من طرق عن مالك ابن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب

(حديث آخر) في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ ابو يعلى الموصلي حدثنا عبد الاعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن ابي شداد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من جابهن مع الايمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينه خفياً وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد » قال فقال ابو بكر أو احدها ينزل الله قال « أو احدها »

(حديث) في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله ابن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفث الفقر عن أهل ذلك المنزل والعجيران » اسناده ضعيف

(حديث) في الاكثار من قراءتها في سائر الاحوال قال الحافظ ابو يعلى حدثنا محمد بن اسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت انس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله (ص) ببيتوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل الى النبي (ص) فقال « يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى » قال ان ذلك معاوية بن معاوية القتيبي مات بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين ألف

ملك يصلون عليه قال « وفيه ذلك ؟ قال كان بكثرة قراءة قل هو الله أحد في الليل والنهار وفي مشاء وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله أن أقبض الأرض فتصلي عليه ؟ قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله حدثنا عثمان بن المهيم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود أبي عبد الله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي (ص) فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة الا تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون الف ملك فقال النبي (ص) « يا جبريل يم نال هذه المنزلة من الله تعالى ؟ » قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته اياها ذاهباً وجائياً قائماً وقاعداً وعلى كل حال . ورواه البيهقي من رواية عثمان بن المهيم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روي هذا من طرق أخر تركناها اختصاراً وكلها ضعيفة

﴿ حديث آخر ﴾ في فضلها مع المعوذتين قال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله (ص) فابتدأته فأخذت بيده فقلت يا رسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال « يا عقبة اخرس لسانك ولا سمعك بيتك وابك على خطيئتك » قال ثم أقبني رسول الله (ص) فابتدأني فأخذ بيدي فقال « يا عقبة ابن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم » قال قلت بلى جعلني الله فداك قال فاقرائني (قل هو الله أحد - وقل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس) ثم قال « يا عقبة لا تنسهن ولا تبتن ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتهن منذ قال لا تنسهن وما بت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم أقبني رسول الله (ص) فابتدأته فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الاعمال فقال « يا عقبة صل من قطمك وأعط من حرمك واعرض عن ظلمك » روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن

وقد رواه احمد من طريق آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن الحمصي عن فروة بن مجاهد الاخمي عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثله سواء تفرد به احمد

﴿ حديث آخر ﴾ في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان النبي (ص) كان اذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما

قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد (١) الله الصمد (٢) لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفواً أحد (٤)

قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزير بن الله ، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح بن الله ، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالت المشركون نحن نعبد الاوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الاحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عدل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات الا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله

وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد اليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كل في سؤدده والشريف الذي قد كل في شرفه ، والعظيم الذي قد كل في عظمته ، والحليم الذي قد كل في حلمه ، والعليم الذي

(سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل هو الله أحد) روى أبو العالية عن أبي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى هذه السورة

وروى أبو ظبيان وأبو صالح عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أنيا النبي ﷺ فقال عامر إلام تدعونا يا محمد ؟ قال « إلى الله » قال صفة لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب ؟ فنزلت هذه السورة فأهلك الله أربد بالصاعقة وعامر بن الطفيل بالطاعون ذكراً في سورة الرعد ، وقال الضحاك وقتادة ومقاتل جاء ناس من أجبار اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا صف لنا ربك يا محمد لعلنا نؤمن بك فان الله أنزل نعتة في التوراة فآخبرنا من أي شيء هو وهل يأكل ويشرب ويموت ويرث ومن يرثه ؟ فأنزل الله هذه السورة (قل هو الله أحد) أي واحد ولا فرق بين الواحد والاحديدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود (قل هو الله الواحد الله الصمد) قال ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة الصمد الذي لا جوف له . قال الشعبي الذي لا يأكل ولا يشرب وقيل تفسيره ما بعده

قد كل في علمه ، والحكيم الذي قد كل في حكمته ، وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كف ، وليس كمثل شيء ، سبحانه الله الواحد القهار ، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده ، ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد ، وقال الحسن وقناة هو الباقي بعد خلقه ، وقال الحسن أيضاً الصمد الحلي الفيوم الذي لا زوال له ، وقال عكرمة الصمد الذي لم يخرج منه شيء . ولا بطعم ، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه ، وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضاً وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي (الصمد) الذي لا جوف له . قال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لا جوف له ، وقال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب . وقال عبد الله بن بريدة أيضاً (الصمد) نور يتلأأ روى ذلك كله وحكاها ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيد

وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش

روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال الصمد الذي لم يلد ولم يولد لأن من يولد سيموت ومن يرث يورث منه قال أبو وائل شقيق بن سلمة هو السيد الذي قد انتهى سؤدده وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : هو السيد الذي قد كل في جميع أنواع السؤدد ، وعن سعيد بن جبير أيضاً هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وقيل هو السيد المقصود في الخوانج . قال السدي هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب تقول العرب صمدت فلانا أصمده صمداً بسكون الميم إذا قصده والمقصود صمد بفتح الميم

وقال قتادة الصمد الباقي بعد فناء خلقه ، وقال عكرمة الصمد الذي ليس فوقه أحد وهو قول علي وقال الربيع الذي لا تعثر به الآفات قال مقاتل بن حيان الذي لا عيب فيه (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) قرأ حمزة وإسماعيل كفواً ساكنة الفاء مهموزاً ، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز ، وقرأ الآخرون بضم الفاء مهموزاً وكلها لغات صحيحة ، ومعناه المثل (أحد) أي هو أحد وقيل هو على التقديم والتأخير مجازاً لم يكن له أحد كفواً أي مثلاً . قال مقاتل ، قال مشركو العرب الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود عزيز بن الله ، وقالت النصارى المسيح بن الله فأكذبهم الله ونفى عن ذاته الولادة والمثل

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل

حدثني صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قدر فعه قال «الصمد الذي لا جوف له» وهذا غريب جداً والصحيح انه موقوف على عبد الله بن بريدة وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إبراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد اليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ، ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه . وقال البيهقي نحو ذلك

وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة قال مجاهد (لم يكن له كفواً أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى [بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء] أي هو مالك كل شيء وخاتمه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى [وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا اداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأً * أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدم عدا * وكلهم آتية يوم القيامة فرداً] وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبعا نه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا *)

ثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال قال الله تعالى « كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقله ان يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من أعادته وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة الانصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد ويردها فلما أصبح أتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتفألها فقال له رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو بكر محمد بن الحسن الاصفهاني أنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود الطيالسي ثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء ان النبي ﷺ قال « ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك ؟ قال اقرأ قل هو الله أحد » وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن

ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون (وفي الصحيح صحيح البخاري) لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيههم »
وقال البخاري حدثنا ابو الثمان حدثنا شعيب حدثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال « قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقله ان يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته ، وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولداً وأنا الاحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد » ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعاً بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين
(آخر تفسير سورة الاخلاص والله الحمد والمثنة)

تفسير سورتي المعوذتين وهما مدنيتان

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش قال قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قل له قل أعوذ برب الفلق فقلتها ، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ ورواه ابو بكر الحيدري في مسنده عن سفيان بن عيينة حدثنا عبدة بن ابي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبیش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال اني سألت رسول الله ﷺ فقال « قيل لي قل فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين

مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن جبير مولى آل زيد بن الخطاب انه قال سمعت أبا هريرة يقول أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فقال رسول الله ﷺ « وجبت » فسأته ماذا يارسل الله ؟ فقال « الجنة » فقال أبو هريرة فأردت أن أذهب الى الرجل فأبشره ثم فرقت أن يفوتني الفداء ، مع رسول الله ﷺ فأثرت الفداء ، ثم ذهبت الى الرجل فوجدته قد ذهب

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيمري أنا حاجب بن أحمد الطوماني ثنا عبد الرحيم بن منيب ثنا يزيد بن هارون ثنا المبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس قال : قال رجل لرسول الله ﷺ إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « حبك إياها أدخلك الجنة »

فقال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال « قبل لي فقلت لكم فقولوا »، قال أبي فقال لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنحن نقول

وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش ،
وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا
فقال في سألت النبي (ص) فقال « قبل لي فقلت » فمحن نقول كما قال رسول الله (ص) ورواه
البخاري أيضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر
ابن حبيش عن أبي بن كعب به

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم بن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول أما أمر رسول الله (ص) أن يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول أنها ليستا من كتاب الله قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال سألتنا عنها رسول الله (ص) قال «قبيل لي فقلت» وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فاعلم لم يسمعها من النبي (ص) ولم يتواتر عنده ثم لعلمه قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك والله الحمد والمنة

وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله (ص) «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط» (قل أعوذ برب الفلق) *
وقل أعوذ برب الناس) ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبه بن عامر والترمذي حسن صحيح

«طريق أخرى» قال الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عتبة بن عامر قل بينا أنا أقود برسول الله (ص) في نقب من تلك النقاب إذ قال لي «يا عتبة ألا تركب؟» فلما شفت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله (ص) وركبت هنية ثم ركب ثم قال «يا عقيب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس؟» قلت بلى يا رسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله [ص] فقرأ بهما ثم مر بي فقال «كيف رأيت يا عقيب؟» قرأ بهما كلانمت وكلماقت» ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث ابن وهب عن يمين بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عتبة به

(طريق أخرى) قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن

عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال :
أمرني رسول الله [ص] أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من
طريق عن علي بن أبي رباح وقال الترمذي غريب

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن اسحاق حدثنا ابن أبي ليثة عن مشر عن هاعان عن عقبة
ابن عامر قال قال لي رسول الله (ص) « اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلها » تفرد به أحمد

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بجير بن سعد عن خالد بن
معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر انه قال ان رسول الله (ص) أهديت له بغلة شبيهة فركبها
فأخذ عقبة يقودها له فقال رسول الله [ص] « اقرأ قل أعوذ برب الفلق » فأعادها له حتى قرأها فعرف
اني لم أفرح بها جدا « فقال له لك نهاوت بها فهاقت نصلي بشي مثله » ورواه النسائي عن عمرو بن
عثمان عن بقية به ، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن زفير
عن أبيه عن عقبة بن عامر انه سأل رسول الله (ص) عن المعوذتين فذكر نحوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن
زياد بن الاسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله [ص] قال ان الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ
برب الفلق وقل أعوذ برب الناس)

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي عجلان عن سعيد المقبري عن
عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله (ص) فقال « يا عقبة قل » قلت ماذا أقول ؟ فسكت عني
ثم قال « قل » قلت ماذا أقول يا رسول الله ؟ قال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأتها حتى أتيت على آخرها ثم
قال - قل - فقلت ماذا أقول يا رسول الله ؟ قال « قل أعوذ برب الناس » فقرأتها ثم أتيت على آخرها
ثم قال رسول الله (ص) عند ذلك « ما سألت سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيز بمثلها »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء
ابن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله (ص) قرأ بهما في صلاة الصبح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي جيب عن أبي هريرة
أسلم عن عقبة بن عامر قال أتيت رسول الله (ص) وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت
أقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال « ان تقرأ شيئا أنفع عبد الله من قل أعوذ برب الفلق »
﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الاوزاعي

عن يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله عن ابن عباس الجبني أن
النبي (ص) قال له « يا ابن عباس ألا أدلك - أو - ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المؤمنون ؟ » قال بلى
يا رسول الله قال « قل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان » فهذه طرق
عن عقبة كالمواثرة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية صدي بن عجلان وفروة بن مجاهد عنه « ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد - وقل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس) »

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال قال رجل كنا مع رسول الله (ص) في سفر والناس يعتقدون وفي الظهر قلة فخانث فرلة رسول الله (ص) ونزاني فلهفتي فضرب منكبي فقال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأها رسول الله (ص) فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله (ص) فقرأتها معه فقال « اذا صليت فاقرأ بهما » الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم ورواه النسائي عن يعقوب بن ابراهيم عن ابن علية به (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الاسلمي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال « قل » فلم أدر ما أقول ثم قال لي « قل » قلت « هو الله أحد » ثم قال لي قل قلت [أعوذ برب الفلق من شر ما خلق] حتى فرغت منها ثم قال لي قل قلت [أعوذ برب الناس] حتى فرغت منها فقال رسول الله ﷺ « هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط »

(حديث آخر) قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ يا جابر » قلت وما اقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال « اقرأ قل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس » فقرأتهما فقال « اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما » وتقدم حديث عائشة أن رسول الله (ص) كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده

وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله (ص) كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتبية ، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر بن ثابت عن مالك به. وتقدم في آخر سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله (ص) كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الانسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما . رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح



بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢) ومن شر غاسق إذا وقب (٣) ومن شر النفاثات في العقد (٤) ومن شر حاسد إذا حسد (٥)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال الفلق الصبح ، وقال العوفي عن ابن عباس (الفلق) الصبح ، وروي عن مجاهد وسعيد بن جبيرة وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظي وابن زيد وابن جرير وهي كقوله تعالى [فلق الاصباح] وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله ، وقال كعب الاحبار (الفلق) بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم

ثم قال حدثنا أبي حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سمع عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا (الفلق) جب في قعر جهنم عليه غطاء فاذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه ، وكذا روي عن عمرو بن عنبسة وابن عباس والسدي وغيرهم

وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثني إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني عن شعيب بن صفوان عن

(تفسير سورة الفلق مكية وقيل مدنية وهي خمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق) قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فحببت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك ليبيد بن الأعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه

أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصبري ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا انس بن عياض عن هشام عن أبيه عن عائشة ان النبي (ص) طب حتى أنه ليخيل اليه أنه قد صنع شيئا وما صنعه وأنه دعاربه ثم قال « أشعرت أن الله قد افتاني فيما استفتيته فيه؟ » فقالت عائشة وما ذاك يا رسول الله؟ قال - جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل؟ قال الآخر هو مطرب قال من

محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي [ص] قال «الفلق جب في جهنم مغطى» إسناده غريب ولا يصح رفعه

وقال أبو عبد الرحمن الحلي (الفلق) من أسماء جهنم . قال ابن جرير والصواب القول الأول أنه فلُق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى

وقوله تعالى [من شر ما خلق] أي من شر جميع المخلوقات ، وقال ثابت البناني والحسن البصري جهنم وإبليس وذريته مما خلق [ومن شر غاسق إذا وقب] قال مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة أنه الليل إذا أقبل بظلامه

وقال الزهري [ومن شر غاسق إذا وقب] الشمس إذا غربت ، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل إذا ذهب ، وقال أبو المهزم عن أبي هريرة [ومن شر غاسق إذا وقب] الكوكب وقال ابن زيد : كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها

قال ابن جرير ولطؤلا من الأثر ما حدثني نصر بن علي حدثني بكار بن عبد الله بن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب — النجم الغاسق» [قلت] وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر

[قلت] وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله ﷺ يدي فأراني القمر حين طلع وقال «تعوذني بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير

طبه قال ليبد بن الأعصم قال في ماذا؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فابن هو؟ قال في ذروان وذرو أن بئر في بني زريق — قالت عائشة فأناها رسول الله ﷺ ثم رجع إلى عائشة فقال — والله لكان ماها نقاعة الحناء. ولكان نخلها رءوس الشياطين «قالت فقلت له يا رسول الله فهلا أخرجه؟ فقال «أما أنا فقد شفاني الله فكرهت أن أمير على الناس به شرا» وروي أنه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه فيها

أخبرنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن إبراهيم الصالحاني ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ الحافظ أنا ابن أبي عاصم ثنا أبو بكر ابن أبي شعبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد ابن حبان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك أياما قال فأنابه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله ﷺ عليا فاستخرجها

من سننهما من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه «تعوذني بالله من شر هذا فان هذا الفاسق إذا وقب» ولفظ النسائي «تعوذني بالله من شر هذا» هذا الفاسق إذا وقب» قل أصحاب القول الاول وهو أنه الايل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا لان القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان إلا فيه وكذلك النجوم لا تنضي إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم

وقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقنادة والضحاك: يعني السواحر قال مجاهد إذا رقيين ونفنن في العقد

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ما من شيء أقرب إلى الشرك من رقية الحية والمجانين

وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي (ص) فقال اشتكيت يا محمد؟ فقال «نعم» فقال «بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، ومن شر كل حاسد وعين، والله يشفيك» ولعل هذا كان من شكواه (ص) حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدميرهم وفضحهم، ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله (ص) يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن يزيد بن حبان عن يزيد بن أرقم قال سحر النبي (ص) رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فأرسل اليها من يجي بها فبعث رسول الله (ص) فاستخرجها فجاء بها فخلها قال فقام رسول الله (ص) كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير

فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهود ولا رآه في وجهه قط

قال مقاتل والكلي كان في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة وقيل كانت العقد مغروزة بالابرة فانزل الله هاتين السورتين وهي إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال وروي انه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث ليال قنرات المعوذتان

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد القافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا بشر بن هلال الصواف ثنا عبد الوارث ثنا عبد العزيز

وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال « يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أناني رجلان فقعدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوع، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا، قال وفيه؟ قال في مشط ومشاطة، قال وأين؟ قال في جف طلعة ذكر نحت راعوفة في بئر ذروان » قالت فأني البئر حتى استخرجه فقال « هذه البئر التي أوتيتها وكان ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها روم الشياطين » قال فاستخرج فقلت أفلا تذرته؟ فقال « أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرأ » وأسندته من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض وأبي اسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، وعنده فأمر بالبئر فدققت

وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد وأبيث بن سعد، وقد رواه مسلم من حديث أبي اسامة حماد بن اسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأناه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله؟ قال مطبوع، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود

ابن صهيب عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن جبريل عليه السلام أتى النبي (ص) فقال « يا محمد اشتكت؟ قال نعم » قال بسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله بشهيك بسم الله أرقبك » قوله عز وجل (قل أعوذ برب الفلق) أراد بالفلق الصبح وهو قول جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبيرة ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وهي رواية العوفي عن ابن عباس بدليل قوله (قالق الاصباح) وروى عن ابن عباس أنه سجن في جهنم وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحاك يعني الخلق وهي رواية الوالبي عن ابن عباس والاول المعروف (من شر ما خلق) ومن شر غاسق اذا وقب » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا جعفر بن محمد المغلس ثنا هارون بن اسحاق الهمداني ثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن خالد بن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت أخذ النبي ﷺ بيدي فنظر الى القمر فقال « يا عائشة استعيني بالله من شر غاسق اذا وقب هذا غاسق اذا وقب » فعلى هذا المراد بالقمر اذا خسف واسود (وقب) أي دخل في الخسوف أو

يخدم رسول الله ﷺ فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاهم اليهود فسمحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان ففرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه الذي عند رأسه ما بال الرجل؟ قال طب، قال وما طب؟ قال سحره، قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي، قال وأين هو؟ قال في جف طلعة ذكرك تحت راعوفة في بئر ذروان، والحف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر تأتي، يقوم عليه الماتج، فأتته رسول الله ﷺ مذعوراً وقال «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي؟» ثم بعث رسول الله ﷺ عليا والزبير وعمار بن ياسر فترحوا ماء البئر كأنه نقاعة الخناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الحف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالابر، فأنزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول بسم الله أريك من كل شيء. يؤذك من حاسد وعين، الله يشفيك» فقالوا يا رسول الله أفلا تأخذ الخبيث نقتله؟ فقال رسول الله ﷺ «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً» هكذا أوردته بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة وبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

أخذ في الغيبوبة وأظلم وقال ابن عباس الفاسق الليل إذا أقبل بغلته من المشرق ودخل في كل شيء. وأظلم والغسق الظلمة يقال غسق الليل وأغسق إذا أظلم وهو قول الحسن ومجاهد يعني الليل إذا أقبل ودخل والوقوب الدخول وهو دخول الليل بغروب الشمس قال مقاتل يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار وقيل سمي الليل غاسقا لانه أبرد من النهار والغسق البرد وقال ابن زيد يعني الثريا إذا سقطت ويقال ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الحيط حين يرقين عليها قال أبو عبيدة هن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي (ص) (ومن شر حاسد إذا حسد) يعني اليهود فأنهم كانوا يحسدون النبي (ص)



بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس (١) ملك الناس (٢) إله الناس (٣) من شر الوسواس الخناس (٤)

الذي يوسوس في صدور الناس (٥) من الجنة والناس (٦)

هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والالهية فهو رب كل شيء ومليكه وإله جميع الاشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعبد أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالانسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخيال والمعصوم من عصمه الله

وقد ثبت في الصحيح أنه «ما منكم من أحد الا قد وكل به قرينه» قالوا وأنت يا رسول الله قال «نعم الا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»

وثبت في الصحيحين عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي (ص) وهو معتكف وخروجه معها ابلا ليردها إلى منزلها فلقية رجلاً من الانصار فلما رأيا النبي (ص) امرعا فقال رسول الله (ص) «علي رسلكما أنها صفية بنت حبي» فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال «ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت أن يقدف في قلوبكما شيئا — او قال شراً —»

﴿سورة الناس مكية وقيل مدنية وهي ست آيات﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس * من شر الوسواس الخناس﴾ يعني الشيطان يكون مصدره وأما قال الزجاج يعني الشيطان ذا الوسواس الخناس الرجاء وهو الشيطان جائئ على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس واذا غفل وسوس قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمينه ويحدته فاذا ذكر الله خنس وإذا لم يذكر يرجع ويبضع رأسه فذلك قوله ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير مماع ﴿من الجنة والناس﴾ يعني يدخل في الجن كما يدخل في الانمي ويوسوس الجنني كما يوسوس الانمي قاله الكلبي وقوله (في صدور الناس) أراد بالناس ما ذكر من بعد وهو الجنة والناس فسمي الجن ناسا كما سماهم رجالا فقال (وأنة كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن)

وقد ذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقعوا فقيلاً من أنتم قالوا

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدي بن أبي حمارة حدثنا زياد النميري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي النقم قلبه فذلك الوسواس الخناس » غريب

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا نيممة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبي ﷺ حمارة فقلت نعس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا نقل نعس الشيطان فانك اذا قلت نعس الشيطان تعظم وقال بقوتي صرعه واذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » تفرد به احمد اسناده جيد قوي وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان ومغلب وإن لم يذكر الله تعظم وعاب

وقال الامام احمد حدثنا ابو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان أحدكم اذا كان في المسجد جاء الشيطان قابس به كما يدس الرجل بدايته فاذا سكن له زقه أو ألجمه » قال أبو هريرة رضي الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق قترأ ماثلا كذا لا يذكر الله ، وأما الملجم فثانح فاه لا يذكر الله عز وجل . تفرد به احمد ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (الوسواس الخناس) قال الشيطان جائم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله خنس ، وكذا قال مجاهد وقناة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فاذا ذكر الله خنس وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فاذا أطيع خنس

اناس من الجن ، وهذا معنى قول الفراء قال بعضهم ثبت أن الوسواس الانسان من الانسان كالوسوسة للشيطان من الشيطان فجعل الوسواس من فعل الجنة والنام جميعا كما قال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) كانه أمر أن يستعبد من شر الجن والانس جميعا

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جويرية عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة ابن عامر قال : قال رسول الله (ص) « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط ؟ قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق احمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن ابراهيم العدل ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أبو العباس بن الوليد بن مرثد أخبرني أبي ثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمي عن عقبة بن عامر الجبني أن رسول الله ﷺ قال « ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟ قلت بلى قال - قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس »

وقوله تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) هل يخص هذا ببني آدم كما هو الظاهر أو يعم بني آدم والجن ؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تفلية وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع في إطلاق الناس عليهم

وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) ثم بينهم فقال (من الجنة والناس) وهذا يقوي القول الثاني ، وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الانس والجن كما قال تعالى [وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا]

وكما قال الامام احمد حدثنا وكيم حدثنا المسعودي حدثنا ابو عمرو الهمشقي حدثنا عبيد بن الحشاخ عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ قلت لا قال - قم فصل - قال فقامت فصليت ثم جلست فقال - يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الانس والجن - قال فقلت يا رسول الله وللانس شياطين ؟ قال - نعم - قال فقلت يا رسول الله الصلاة ؟ قال - خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر - قلت يا رسول الله فالصوم ؟ قال - فرض مجزي ، وعند الله مزيد - قلت يا رسول الله فالصدقة ؟ قال - أضعاف مضاعفة - قلت يا رسول الله أيها أفضل ؟ قال - جهد من مقل أو صر إلى فقير - قلت يا رسول الله أي الانبياء كان أول ؟ قال - آدم - قلت يا رسول الله ونبياء كان ؟ قال - نعم نبي مكلم - قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال - ثمانمائة وبضعة عشر جها غفيرا - وقال مرة - خمسة

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجرجاني أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشامي أنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا الفضل بن فضالة عن عقیل عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي وابو حامد احمد بن عبد الله الصالحى قالا ثنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن احمد بن معقل الميداني أنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار »

(عشر قلت يا رسول الله أبا أنزل عليك أعظم ، قال آية الكرسي (الله لا إله الا هو الحي القيوم)
ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جداً أبو حاتم بن حبان
في صحيحه بطريق آخر ونغظ آخر مطول جداً فالحمد لله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن زر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله
ابن شداد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشئ
لأن آخر من السما أحب إلي من أن أتكلم به قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر
الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد
النسائي والاعمش كلاهما عن زر به

﴿ آخر التفسير والله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين ﴾

(و يتلوه فضائل القرآن للمؤلف أيضاً وبه تم الكتاب ان شاء الله والله الحمد والمنة على التمام ، انه ولي الانعام)

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل
نا ابراهيم بن حمزة حدثني ابن أبي حازم عن يزيد يعني ابن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أبي سلمة
ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة انه سمع النبي ﷺ يقول « ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي حسن الصوت
بالتقرآن يجر به » و (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ
هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين

—* تم طبع التفسير بن محمد الله وفضله *—

﴿ وبليها كتاب فضائل القرآن المتتم لتفسير ابن كثير بعون الله ونوفيقه ﴾



فَضَائِلُ الْفَرِيدِ

وهو ذيل

تفسير الحافظ ابن كثير

وضعه في آخر التفسير وجعله متمماً له

وجدناه في آخر النسخة المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف

ولكنه غير موجود في النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحبي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز بن آل سعود

ملك الحجاز ونبينا ومخلصنا

أشرف على تصحيحه وعلق عليه بعض الفوائد

السيد محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن

من مشيخ المجتهد

مطبعة الميناء بمصر

١٣٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فضائل القرآن

قال البخاري رحمه الله ^(١) (كيف ينزل الوحي ؟ وأول ما نزل) قال ابن عباس :
المهيمن الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ،
عن يحيى ، عن أبي سلمة ، قال أخبرني عائشة ، وابن عباس ، قال لبث النبي ﷺ بمكة عشر
سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرًا . اهـ

ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم
فلهذا بدأ به ، فخر بنا على منواله وسنته مقتدين به . وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما
يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل (وأزلنا إليك الكتاب
بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه) قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله :
ثنا المثنى ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن علي - يعني ابن أبي طلحة - عن ابن عباس
قوله (ومهيماً عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفي رواية
شبهاً عليه . وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي اسحاق السبيعي عن التميمي
عن ابن عباس (مهيماً عليه) قال مؤتمناً ، وبحوزة ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج
والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف . وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاء ، يقال
إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه
مهيمن . وفي أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء ^(٢)
وأما الحديث الذي أسنده البخاري أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه

(١) أي في كتاب فضائل القرآن في أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب

(٢) هذا تفسير اللفظ ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الانبياء أو عليها هي الحق ومن شهادته أن
أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مماذكروا به وإنهم أوتوا نصيباً منه ، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع
كتبهم وأنهم حرفوا بعض ما حفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها

القرآن وبالمدينة عشر آفوه مما انفرد به البخارى دون مسلم وإنما رواه النسائى من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبي سلمة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) هذا اسناد صحيح .

أما أقامته بالمدينة عشر آفوهذا مما لا خلاف فيه . وأما أقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لأنه عليه السلام أوحى اليه وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام لأن العرب كثيراً ما يحذفون الكسور في كلامهم أو انهما إنما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فإنه قد روى الامام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الامر يلقي اليه الكرامة والشيء ثم قرن به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه في زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب كثرة تلاوة القرآن في شهر رمضان ، لأنه ابتدئ بنزوله . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله في كل سنة في شهر رمضان فلما كانت السنة التي توفي فيها غارضه مرتين تأكيذاً وتثبيتاً . وأيضاً ففي الحديث بيان أنه ^(١) من القرآن مكي ، ومنه مدني . فالمكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو غيرها من أي البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من المكي ، وآخر أنها من المدني ، واختلفوا في آخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (يا أيها الذين آمنوا) فهي مدنية . وما فيه (يا أيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنياً كما في البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي

(١) كذا في الاصل والمراد أن الشأن والا لقال: ان من القرآن مكيّاً الخ أو: أن القرآن منه مكي الخ

خالقكم والذين من قبلكم لعلمكم تنقون - يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شيء في القرآن (يا أيها الذين آمنوا) فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (يا أيها الناس) فإنه أنزل بمكة . ثم قال ثنا علي بن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران ، قال ما كان في القرآن (يا أيها الناس - و - يا بني آدم) فإنه مكّي ، وما كان (يا أيها الذين آمنوا) فإنه مدني .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثني من المكّي آيات ، يدعى أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح فإله أعلم

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والانفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والاحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والمتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) ، و (يا أيها النبي لم تحرم) والفجر ، (والبل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ، ولم يكن ، و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر ، وما به الحجرات والمعوذات

﴿ الحديث الثاني ﴾ (١)

وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبي ، عن أبي عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ « من هذا ؟ » ^٢ أو كما قال ، قالت هذا حذيفة ، فلما قام قالت ^٣ والله ما حسبته

(١) الحديث الاول هو الذي بدأ به الكتاب ولم يضع له عنوانا (٢) عبارة البخاري : فقال لام سلمة الخ ولم يذكر القائل (ص) والمراد أنه (ص) سألتها ليعلم هل لكونه جبريل أو لكونه ملك مثل بصورة حذيفة بن خليفة الكلبي (رض) (٢) أي فلما قام النبي (ص) من عندها أي وذهب الى المسجد كما قالوا

إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل - أو كما قال - قال أبي (١) فقلت لابي عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال من أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراد هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام، وهو ملك كريم، ذو وجاهة وجلالة ومكانة، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون) الآيات

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوله جبريل ومحمد صلى الله وسلم عليهما، وسنستقصي الكلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضي الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضاً لدحية بن خليفة الكلبي، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية، وكان جميل الصورة رضي الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة، وهم قبيلة من قضاة وقضاة قيل أنهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم

﴿ الحديث الثالث ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث، ثنا سعيد المقبري عن أبيه، عن أبي هريرة، قال قال النبي ﷺ « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »

ورواه أيضاً في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبري به

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي إلا أعطي - أي من

المعجزات - ما آمن عليه البشر، أي ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من أتباعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فانما كان معظم ما آناه الله وحياً منه إليه منقولاً إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل. فهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وكذلك وقع. فان أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لمعوم رسالته. ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته. ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فمعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية. كما ذكرنا في المدنية أيضاً كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضرابه لكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والخبار الصادقة، عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة المحكمة، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الامام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الاثور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلا سأله عما سمعت العشي، قال بختته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث، قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أنا نبي جبريل فنال يا محمد أمتك مختلفة بعدك »

قال « فقلت له فأين المخرج يا جبريل ؟ » قال فقال في كتاب الله ، به يقسم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك — مرتين — قول فصل ، وليس بالهزل ، لا تخلقه الألسن ، ولا تقني عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذي : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن علي الجمعي . ثنا حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور ، عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة » فقلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال - كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فأمنابه) من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم » خذها إليك يا أعور . ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال (قلت) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهده . على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه تمتد الكذب في الحديث فلا والله أعلم وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان

ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن أبي إسحاق الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «ان هذا القرآن مادة الله فتعلموا من مادته ما استطعتم، ان هذا القرآن جبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعيب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخاف عن كثرة الرد، فاتلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنة، أما اني لأقول الم حرف، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر»

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق الهجري، واسمه ابراهيم بن مسلم وهو أحد التابعين ولكن تكلموا فيه كثيراً، وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس بالقوي وقال أبو الفتح الأزدي: رفاع كثير الوم. (قلت) فيحتمل والله أعلم أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وانما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم وقال أبو عبيد أيضاً ثنا حجاج عن اسراييل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال لا يسأل عبد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخاري: ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله ﷺ بعد.

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلواني وعبد بن حميد والنسائي عن إسحاق بن منصور الكوسج اربعتهم عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهري به ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسوله ﷺ شيئاً بعد شيء كل وقت بما يحتاج اليه ولم تقع فترة بعد الفترة الاولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فانه استلث الوحي بعدها حينما يقال قريبا من سنتين او أكثر ثم حي الوحي وتتابع وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر قم فأندر)

﴿الحديث الخامس﴾

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والضحي والليل إذا سجي * ما ودعك ربك وما قلى)

وقد رواه البخاري في غير موضع أيضا ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر عن سفيان وهو الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلي به . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحي متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفردا ليكون ذلك أبلغ في العناية والاکرام

قال البخاري رحمه الله " : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرأنا عريبا بلسان عربي مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني أنس بن مالك قال : فأمر عثمان ابن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم اتم وزيد في عريضة من عريضة القرآن فكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتي قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخاري منه ظاهر وهو ان القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خالد ثنا يزيد بن شيبان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يملن في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا اسناد صحيح

وقال أيضا حدثنا اسماعيل بن أسد ثنا هوزة ثاؤف عن عبد الله بن فضالة قال لما

(١) في البخاري هنا كلمة (باب) والمؤلف لا يذكر الابواب فيما ينقله هنا عن البخاري كما تقدم مثله

أراد عمر أن يكتب الامام أقمده نفرأ من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل بلغة رجل من مضر عليه السلام وقد قال الله تعالى (قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون) وقال تعالى (ولأنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى (ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته * أءعجمي وعربي) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك

ثم ذكر البخاري رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : ليتني أرى رسول الله عليه السلام حين ينزل عليه الوحي فذكر الحديث في الذي سأل عن أحرم بعمره وهو متضمخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم جاءه الوحي فأشار عمر الى يعلى أي تعال جاء يعلى فأدخل رأسه فاذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال «أبن الذي سألتني عن العمرة آنفا؟» فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه في كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين والله اعلم



جمع القرآن

قال البخاري حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد ابن السباق ان زيد بن ثابت قال ارسل الي أبو بكر مقتل أهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب اتاني فقال إن القتل قد استحر^(١) بقاء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراءة في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا تهتك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتدفع القرآن فاجمه ، والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان علي أثقل مما أمرني به من جمع القرآن : قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتبعت القرآن أجمعه من العصب والخاف^(٢) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري لم أجدها مع غيره^(٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم .

وقد روى البخاري هذا في غير موضع من كتابه . ورواه الامام احمد والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به

وهذا من أحسن واجل وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وسلم مقاما لا ينبغي لأحد من بعده : قاتل الأعداء من ماني الزكاة

(١) استحر اشتد (٢) اللخاف بكسر اللام جمع لحفة وهي صفائح الحجارة الرقاق . وتجمع على لحف بضمين كما في رواية أخرى (٣) يعني انه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحي لانه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلوها في الصلاة وغيرها

والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعث والسرايا ، ورد الامر الى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من اماكنه المتفرقة حتى تمكن القاري من حفظه كله . وكان هذا من سر قوله تعالى (انانحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون)
 بجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضي الله عنه وارضاه ، ولهذا روي عن غير واحد من الائمة منهم وكيع وابن زبد وقبيصة عن سفيان الثوري عن اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عبد خير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين .
 هذا اسناد صحيح

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن اسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ يقول : ختمه صحيح ايضاً وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أي اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة .
 يعني يوم قتال مسيلة الكذاب وأصحابه بني حنيفة ، بأرض اليمامة في حديفة الموت

وذلك أن مسيلة التف معه من المرتدين قريب من مائة الف ، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر الفا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الاسلامي لكثرة من فيه من الاعراب . فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الاعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الجملة وقتلوا قتلاً شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعهم السيوف المسلمة في أقتيهم قتلاً وأسراً ، وقتل الله مسيلة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا الى الاسلام

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضي الله عنهم . فلهذا أشار عمر عـ الصديق ، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال . فاذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظاً ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجع الصديق قليلاً ليستبنت الامر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعها يزيد

ابن ثابت في ذلك. ثم صار الى ما رآياه رضى الله عنهم أجمعين. وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الانصاري. ولهذا قال أبو بكر بن أبي دارد: ثنا عبد الله بن محمد بن خلاد، ثنا يزيد بن مبارك، عن فضالة عن الحسن، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال إنا لله، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف. وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر. ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع. ولهذا كان ميمنا على حفظه وجمعه، كما رواه ابن أبي داود حيث قال: ثنا أبو الطاهر، ثنا ابن وهب، ثنا عمرو بن طلحة اللبثي، عن محمد بن عمرو، عن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب، أن عمر لما جمع القرآن، كان لا يقبل من أحد شيئا، حتى يشهد شاهدان، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك كما قال أبو بكر ابن أبي داود. ثنا أبو الطاهر، أنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة عن أبيه، قال لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر رضى الله عنه أن يضع (١) فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فبن جاء كما يشاهدني على شيء من كتاب الله فاكتباه (٢) منقطع حسن

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة يعني قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الى آخر الآيتين مع أبي خزيمة الانصاري. وفي رواية مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم اجدها مع غيره (٣) فكتبوها عنه لانه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس الذي ابتاعها رسول الله ﷺ من الاعرابي. فأنكر الاعرابي البيع، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الاعرابي. والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع، عن أبي العالية أن أبي بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت. وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة اللبثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عثمان شهد بذلك أيضا

(١) فرق كتعب خاف اي خاف ان يضع منه شيء - كافي الروايات الاخرى - إذا مات جميع حفاظه قبل ان يكتب (٢) لعل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله (ص) وكذلك عمر كان يحفظه (٣) اي لم يجدها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عن كتبها وتقدم في حاشية قبل هذه انها كانت محفوظة وان زيدا كان يسأل عن شيء يحفظه ويعرفه

وأما قول زيد بن ثابت : فتبعت القرآن أجمعه من العصب والخاف وصدور الرجال . وفي رواية من العصب والرقاع والاضلاع . وفي رواية من الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال . أما العصب فجمع عسيب ، قال أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : وهو من السعف فوق السكرب ، لم ينبت عليه الخرص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . والخاف جمع خنفة وهي القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العصب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمعون من القرآن من رسول الله ﷺ ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقيه زيد ، هذا من عسبه ، وهذا من خلفه ، ومن صدر هذا ، أي من حفظه . وكانوا أحرص شيء على أداء الامانات . وهذا من أعظم الامانة ، لان الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ففعل صلوات الله وسلامه عليه

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الاشهاد ، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين فقال « انكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت . فجعل يشير بأصبعه إلى السماء عليهم ويقول « اللهم اشهد . اللهم اشهد . اللهم اشهد » رواه مسلم عن جابر

وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال « بلغوا عني ولو آية » يعني ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه فبلغوا عنه ما أمرهم به ، فأدوا القرآن قرآناً ، والسنة سنة ، لم يلبسوا هذا بهذا

ولهذا قال عليه السلام « من كتب عني سوى القرآن فليمحجه » أي لئلا يختلط بالقرآن ، وليس معناه أن لا يحفظوا السنة ويرووها والله أعلم . فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم الا وقد بلغوه إلينا ، والله الحمد والمنة

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر المصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ،

فكانت عنده محروسة معظمة مكرمة . فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصيته من أولاده على أوقافه وتركته . وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سنذكره إن شاء الله .

✽ كتابة عثمان رضي الله عنه للمصاحف ✽ - (١)

قال البخاري رحمه الله : ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا ابراهيم ، ثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف فندسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فدخلوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة ، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن (٢) فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا دخلوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا . وأمر بما سواه من القرآن ، في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (٣)

قال ابن شهاب الزهري فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت فقال ، فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فلم تسنها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا

(١) هذا العنوان من وضع المطبعة لا من وضع المؤلف

(٢) أي إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش ولهجتها من نحو همز وغيره فإنه نزل بها لأنها لغة الرسول (ص) وافصح لغات العرب وإنما اقرأ جبريل النبي (ص) بغيرها من لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيبه بغير تكلف يشغل عن تدبره (٣) حكمة ذلك أن مصحف حفصة هو الذي نسخت عنه المصاحف الرسمية التي تحروا في جمعها ونسخها فيخشى من الإحاطة وجود غيرها أن يكون في بعضها غلط أو أن تكون سبباً للكذب والاختلاف

الله عليه) فالحقناها في سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

فان الشيخين سبقاه الى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء . وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة . وانما روي عن عبد الله ابن مسعود شيء من التفضيب بسبب انه لم يكن ممن كتب المصاحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الامام . ثم رجع ابن مسعود الى الوفاق . حتى قال علي بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا . فاتفق الائمة الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين . وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » وكان السبب في هذا حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه . فانه لما كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافا واقتراقا ، فلما رجع الى عثمان أعلمه ، وقال لثمان أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى

وذلك ان اليهود والنصارى يختلفون فيما بأيديهم من الكتب . فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في الفاظ كثيرة ومعاني أيضا ، وليس في توراة السامرة حروف المدسة ، ولا حرف الهاء ولا الياء ، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة .

واما الانجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : انجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل يوحنا ، وهي مختلفة أيضا اختلافا كثيرا . وهذه الانجيل الاربعة كل منها لطيف الحجم . منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط . ومنها ما هو اكثر من ذلك ، إما بالنصف أو الضعف . ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه ، وأحكامه ، وكلامه ، وممه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا . وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ، ثم هما مذسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة . فلما قال حذيفة لثمان ذلك أفزعته ، وأرسل الى حفصة أم المؤمنين أن ترسل اليه

بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد، وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه، فقامت حفصة. وأمر عثمان هؤلاء الأربعة، وهم زيد بن ثابت الأنصاري، أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وعبد الله بن الزبير ابن العوام القرشي الأسدي، أحد فقهاء الصحابة ونجباءهم علما وعملا، وأصلا وفضلا. وسعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي وكان كريما جوادا ممدحا، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي

جلس هؤلاء الأربعة يكتبون بالقرآن نسخا. وإذا اختلفوا في موضع الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا في التابوت، أي يكتبونه بالناء أو الهاء؟ فقال زيد ابن ثابت إنما هو التابوت، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت، فراجعوا إلى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم. وكان عثمان رضي الله عنه والله أعلم رتب السور في المصحف، وقدم السبع الطول وثني بالمئين (١)

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب، عن عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: قلت لعثمان ابن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى الانفال، وهي من المئين، وإلى براءة وهي من المئين، فترتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»

وكانت الانفال من أول ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعت في السبع الطول. ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ﷺ

(١) إنما كان الترتيب توقيفياً على العرضة الأخيرة كما في الصحاح

وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته . فإن نكسه أخطأ خطأ كثيراً . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان رضي الله عنه . والاولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً ، كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين ، ونارة بسبح وهل أنك حديث الفاشية . فإن فرق جاز ، كما صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة ، رواه مسلم عن أبي قتادة

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم) السجدة وهل أنى على الانسان . وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً ،

(١) هذا خطأ لا يصح في جميع السور بل هو باطل واعتمده بعضهم في هاتين السورتين عملاً بهذه الرواية وهو مردود أيضاً وقد انتقدته في تفسير المنار بقولي بعد نقله عن الالوسي مانعه : وأقول إن جواب عثمان لابن عباس (رضي الله عنهم) هو كما رواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم : كان رسول الله ﷺ يزل عليه السور ذوات العدد . فكان إذا نزل عليه شيء دعا من كان يكتب يقول « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » وكانت الاثقال من أوائل منازل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله (ص) ولم يبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتهما في السبع الطول اهـ

ولاجل هذه الرواية ذهب البيهقي إلى أن ترتيب جميع السور توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الاثقال وبراءة ووافقه السيوطي . ويرد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبي صلى الله عليه وسلم جميع السور إلا الاثقال وبراءة ، وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين ، فأبى أن يضع هاتين السورتين في قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه ولولا ذلك لعارضه الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روي عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره في الافطار

وهذا الحديث قال الترمذي حسن لا نعرفه إلا من حديث عوف (بن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس إله ويزيد الفارسي هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو زيد بن هرمز أو غيره والصحيح أنه غيره . روى عن ابن عباس وحكى عن عبدالله بن زياد وكان كتابه وعن الحجاج بن يوسف في امر المصاحف : وسئل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه ، وقال أبو حاتم لا بأس به . اهـ ملخصاً من تهذيب التهذيب ، فمثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها مما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر

فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران أخرجه مسلم وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم يوسف

ثم ان عثمان رضي الله عنه رد المصحف الى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل اليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لثلاث يكون فيها شيء يخالف المصاحف الأئمة (١) التي نفذها عثمان الى الآفاق، مصحفا الى مكة، ومصحفا الى البصرة، وآخر الى الكوفة، وآخر الى الشام، وآخر الى اليمن، وآخر الى البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفا. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني، سمعه يقول. وصحح القرطبي أنه إنما نفذ الى الآفاق أربعة مصاحف - وهذا غريب - وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لثلاث تختلف قراءات الناس في الآفاق. وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تماثلوا عليه وقتلوه - قاتلهم الله - وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له. وأما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فمكلمهم وافقوه

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغندر عن شعبة عن علقمة بن رثمة عن رجل عن سويد بن غفلة قال علي حين حرق عثمان المصاحف لو لم يجهنمه هو لصنعتة. وقال أبو بكر بن أبي داود ثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبي إسحاق عن مصعب ابن سعد بن أبي وقاص قال أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأدبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد، وهذا اسناد صحيح. وقال أيضا حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا يحيى بن كثير ثنا ثابت بن عمارة الحنفي قال سمعت غنيم بن قيس المازني قال قرأت القرآن على الحرفين جميعا، والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد

(١) الأولى بل المتعين أن يقال لثلاث يدعي أحد بعد ذلك أن فيها ما يخالف هذه المصاحف فإنها كانت صحفاً مشورة يظهر أنها لم تكن قوية بشكل واحد وقياس واحد فتتخذ مصحفاً إماماً يصاح للبقاء كالمصاحف التي نسخت لهذا الغرض وجعلت رسمية بالاجماع. وقد نقلت صحف الاخبار العامة أن أحدها وهو الذي كان محفوظاً عند قياصرة الروسية وهبه خلفهم الشيوعيون لأمير بخاري بعد أن أخذوا صورة منه بالآلة الشمسية (الفوتوغرافية) ويقال ان الاصل فقد فلم يصل الى الامير

لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال قلنا له يا أبا العنبر لم ؟ قال لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر . وحدثنا يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن عبد الله حدثني عمران بن حدير عن أبي مجلز قال لولا أن عثمان كتب القرآن لأفيت الناس يقرءون الشعر . وحدثنا أحمد بن سنان سمعت ابن مهدي يقول خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لابي بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلوما . وجمعه الناس على المصحف

وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال اسراييل عن أبي اسحاق عن خبير بن مالك قال لما أمر بالمصاحف ديني بتحررها ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال : من استطاع منكم أن يغفل مصحفا فليغفل فإنه من غل شيئا جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي أفأترك ما أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال أبو بكر ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الاعمش عن أبي وائل قال خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : من يغفل يأت بما غل يوم القيامة، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة (١) وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله مني ، وما أنا بخيركم ، ولو أعلم مكانا تبلغه الابل أعلم بكتاب الله مني لا تيتسه . قال أبو وائل فلما نزل عن المنبر جاست في الحلق فما أحد ينكر ما قال . أصل هذا مخرج في الصحيحين وعندهما : ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أنني من أعلمهم بكتاب الله

وقول أبي وائل فما أحد ينكر ما قال يعني من فضله وحفظه وعلمه والله أعلم . وأما أمره بغل المصاحف وكتابتها فقد أنكره عليه غير واحد . قال الاعمش عن ابراهيم عن عاقمة قال قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال كنا نعد عبد الله جباناً فما باله يواب الامراء ؟ وقال أبو بكر بن أبي داود : باب رضي عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد

(١) الغلول السرقة من الغنم مراده ان حفظ هذا العدد من السور في مكة وفي أوائل الهجرة قبل ان يرشد زيد ويكتب القرآن والا فهو قد كان يحفظ القرآن كله وكتبه ويجوز أن يكون أصله سبعين مرة

ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالنا أبو أسامة حدثني زهير حدثني الوليد بن قيس عن عثمان بن حسان المامري عن فلفلة الجعفي قال فرغت فيمن فزع الى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فمال رجل من القوم إننا لم نأتك زائرين واسكننا جئنا حين راعنا هذا الخبر ، فقال إن القرآن انزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل أو نزل من باب واحد على حرف واحد. وهذا الذي استدل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب اليه والله أعلم

وقال أبو بكر أيضا حدثني عمي ثنا أبو رجاء أنا اسرائيل بن أبي اسحاق عن مصعب ابن سعد قال قام عثمان سخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة واثم تمترون في القرآن وتقولون قراءة أبيّ وقراءة عبد الله ، يقول الرجل والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به (١) فكان الرجل يجيء بالورقة والاديم فيه القرآن حتى تجمع من ذلك شيء كثير ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فنأشدهم : لسمعت (٢) رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك ؟ فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ، قال فأبي الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص ، قال عثمان فليمل سعيد وليكتب زيد . فكتب زيد مصاحف فقرعها في الناس فسمعت بعض اصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن ، اسناد صحيح

وقال ايضا ثنا اسحاق بن ابراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد ابن سيرين عن كثير بن افلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والانصار فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، قال فبعثوا الى الربعة التي في بيت عمر جفيء بها قال وكان عثمان يتماهدم فكانوا اذا تدارعوا في شيء أخروه قال محمد فمات لكثير وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال لا قال محمد فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الاخيرة فيكتبونها على قوله . صحيح أيضا (قالت) الربعة هي الكتب المجتمعة وكانت عند حفصة رضي الله عنها ، فلما جمعها عثمان رضي

(١) أي ما وجد معه شيء منه الا جاء به (٢) أي تقسم انك سمعت الخ

الله عنه في المصحف ردها اليها ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها لانها هي بعينها الذي كتبه وإنما رتبته (١) ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها اليها فما زالت عندها حتى ماتت ، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتناول في ذلك ما تناول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهري اخبرني سالم بن عبد الله ان مروان كان يرسل الي حفصة يسألها عن الصحف التي كتب معها القرآن فتأتي حفصة ان تمطيه إياها قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها ارسل مروان بالعزيمة الى عبد الله ابن عمر ليرسان اليه بتلك الصحف فاورسل بها اليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فحقت وقال مروان إنما فعلت هذا لان ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف خشيت ان طال بالناس زمان ان يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب او يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب (٢) اسناد صحيح

واما ما رواه الزهري عن خارجة عن ابيه في شأن آية الاحزاب والحقاقم اياها في سورتها فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر وانما هذا كان حال جمع الصديق المصحف كما جاء مصرحاً به في غير هذه الرواية عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، والدليل على ذلك انه قال فالحقناها في صورتها من المصحف وليست بهذه الآية ملحقه في الحاشية في المصاحف العثمانية .

فهذه الافعال من اكبر القربات التي بادر اليها الائمة الراشدون ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ، حفظا على الناس القرآن وجمعاه اثلاً يذهب منه شيء ، وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرصة الاخيرة التي عارض بها بلجج بن رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام فانه عارضه به عامئذ مرتين ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض «وما ارى ذلك إلا لاقتراب اجلي» اخر جاد في الصحيحين وقد روي ان علياً رضي الله عنه اراد ان يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتباً بحسب نزوله أولاً فاولاً كما رواه ابن ابي داود رحمه الله حيث قال ثنا محمد بن اسماعيل

(١) الصواب أنه جمعها في مصاحف متينة تجلد وتبقى وأما ترتيبها فقد كان توفيقاً كله على العرصة الاخيرة تراه في رواية الصحيحين هنا وما سبق من استثناء الاقوال والتوبة ضعيف كما سبق

(٢) هذا هو الحق المعقول فالمراد من اتلافها سد ذريعة النقول والتشكيك كما قلنا

الاحمسي ثنا ابن فضيل عن اشعث عن محمد بن سيرين قال لما توفي النبي ﷺ اقسم علي ان لا يرتدي برداء الالجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل فارسل اليه ابو بكر رضي الله عنه بعد ايام اكرهت امامي يا ابا الحسن ؟ فقال لا والله الا ان اقسمت ان لا ارتدي برداء الالجمعة ، فبايعه ثم رجع هكذا رواد وفيه انقطاع

ثم قال لم يذكر المصحف احد الا اشعث وهو لين الحديث وانما رووا : حتى اجمع القرآن . يعني اتم حفظه فانه يقال الذي يجمع (١) القرآن قد جمع القرآن (قلت) وهذا الذي قاله ابو بكر اظهر والله أعلم فان عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك (٢) ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال انها بخط علي رضي الله عنه وفي ذلك نظر فان في بعضها كتبه علي بن ابي طالب (٣) بهذا الحن من الكلام وعلي رضي الله عنه من ابعد الناس عن ذلك فانه كما هو المشهور عنه هو اول من وضع علم النحو فيما رواه عنه الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي وأنه قسم الكلام الى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء أخر تممها ابو الاسود بعده ثم أخذ الناس عن أبي الاسود فوسعود ووضحوه وصار علما مستقلا

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فاشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله ، وقد كان قدما بمدينة طبرية ثم نقل منها الى دمشق في حدود ثمانين عشرة وخمسمائة ، وقد رأيت كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبین قوي بحبر محكم في رق أضنه من جلود الابل والله أعلم ، زاده الله تشريفا وتمظيما وتكريما فأما عثمان رضي الله عنه فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وإنما كتبها زيد ابن ثابت في أيامه وغيره فنسبت الى عثمان لانها بأمره واشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ثم نفذت الى الآفاق رضي الله عنه

وقد قال ابو بكر بن أبي داود ثنا علي بن حرب الطائي ثنا قريش بن انس ثنا سليمان

(١) لعل الاصل للذي يحفظ (٢) هذه الاشاعات من وضع الروافض المقترب ومن غلاتهم من زعم أن في مصحفه عليه السلام زيادات وخلافا وان المهدي سيظهره ، وهي أكاذيب تتضمن مطاعن شديدة في علي وآل بيته من كتمان ما أنزل الله واستحقاق لعن الله للكافرين ما أنزل الله برأ الله آل بيت رسوله من مفتريائهم ولعن الله مفتريها (٣) هذا الغلط يدل على أن الكاتب له أعجمي فالظاهر أنه من زنادقة الفرس كما رآه في حاشية أخرى

التي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى بني أسيد قال لما دخل المصريون على شمام ضربوه بالسيف على يده فوقعت على (ف-يكفيكمهم الله وهو السميع العليم) فمد يده وقال والله انها لأول يد خطت المفصل . وقال أيضا ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب قال سألت مالكا عن مصحف عثمان فقال لي ذهب ، يحتمل انه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده (١) ويحتمل ان يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة والله اعلم .

(قلت) وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جداً ، وإنما أول . تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره ان بشر بن عبد الملك اخا اكيد ردومة نعلم الخط من الانبار ، ثم قدم مكة فزوج الصهباء بنت حرب بن أمية اخت ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه مساوية من عمه سفيان بن حرب ، وقيل ان اول من تعلمه من الانبار قوم من طيء من قرية هناك يقال لها بقة ، ثم مذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال ابو بكر بن ابي داود ثنا عبد الله بن محمد الزهري ثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال سألنا المهاجرين من اين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من اهل الانبار (قلت) والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة ثم هذبها ابو علي بن مقلة ؟

الوزير وصار له في ذلك نهج واسلوب في الكتابة ، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه ، وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض ان الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيداً وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس في ذلك . واعتنى بذلك الامام الكبير ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ ابو بكر بن ابي داود رحمه الله فبوا على ذلك وذكر اقطعة صالحة هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا ههنا ولهذا نص الامام مالك على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الامام .

ورخص غيره في ذلك . واختلفوا في الشكل والنقط ، فمن رخص ومن مانع . فأما كتابة الورق وآياتها واتمشير الاجزاء والاحزاب فكثير في مصاحف زماننا . والاولى اتباع السلف الصالح . ثم قال البخاري

(١) أي كتبه لنفسه فان المصاحف اني كتبها الجماعة وقرئت على علماء الصحابة قدوزعت على الامصار

﴿ ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

وأورد فيه من حديث الزهري ، عن ابن السباق عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ وذكر نحو ما تقدم في جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر) ولم يذكر البخاري احدا من الكتاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا والله أعلم . وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام

ثم قال البخاري رحمه الله (أنزل القرآن على سبعة أحرف) حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وقدرناه أيضا في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضا عن معمر كلاهما عن الزهري بنحوه ورواه ابن جرير من حديث الزهري به ، ثم قال الزهري بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا في حرام وهذا مبدوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال حدثنا يزيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ما حك في صدري شيء منذ أسلمت إلا أنني قرأت آية وقرأها

(١) كتاب جمع كاتب والذي في نسخ البخاري (باب كاتب النبي (ص) ويعني به زيد بن ثابت . قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال ابن كثير : ترجم كتاب النبي (ص) ولم يذكر سوى حديث زيد بن ثابت الخ ثم قال الحافظ إنه لم يقف عليه في شيء من نسخ البخاري إلا بلفظ كاتب وهو مطابق لحديث الباب اه يعني ان البخاري قصد بهذا الباب ذكر زيد بن ثابت وحده «لأنه كان أكثر ما يكتب وأكثره تعاطيه الكتابة أطلق عليه اسم (الكاتب) بلام المهدد» يريد ان ابن كثير استشكل ذكره زيدا وحده لأنه أي ابن كثير نقل ترجمة الباب بالجمع كتاب وهو ما لم يعرف في نسخ الصحيح . وذكر الحافظ كتاب الوحي بمكة والمدينة ومنه قوله : ومن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري وشرجيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين اه

آخر غير قراءتي فقامت أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فأتيه رسول الله ﷺ فقامت يارسل الله أقرأني آية كذا وكذا؟ قال «نعم» وقال الآخر أليس تقرأني آية كذا وكذا؟ قال «نعم» فقال «ان جبريل وميكائيل أتياي فقام جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل أقرأ القرآن على حرف، فقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف»

وقد رواه النسائي من حديث يزيد - ودوان هارون - ويحيى بن سعيد القطان كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب بنحوه . وكذا رواه ابن أبي عدي ومحمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت

وقال الامام احمد بن حنبل رحمه الله ثنا يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن أبي خالد حدثني عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءه صاحبه فقمنا جميعا فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلت يارسل الله إن هذا قرأ قراءة أنكرتها دليسه ثم دخل هذا فقرأ سوى قراءه صاحبه ، فقال لهما النبي ﷺ « اقرأ - فقرأ فقال - أصبتهما » فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال كبر علي ولا اذا كنت في الجاهلية فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا . وكأنا أنظر إلى الله فرقا ، فقال « يا بني إني أرسلك إلى أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هوّن على أمي ، فأرسل إلي أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هوّن على أمي ، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها - قال - قلت اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » وهكذا رواه مسلم من حديث اسماعيل بن أبي خالد به وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا محمد بن فضيل عن اسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال

رسول الله ﷺ « ان الله أمرني ان اقرأ القرآن على حرف واحد فقلت خفف عن أمي، فقال اقرأه على حرفين فقلت رب خفف عن أمي، فأمرني ان اقرأه على سبعة أحرف من سبعة ابواب الجنة، كلها شاف كاف »

وقال ابن جرير حدثني يونس عن ابن وهب اخبرني هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابي بن كعب انه قل: سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة يخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرأها بخلاف ذلك فانطلقت بهما الى رسول الله ﷺ فقلت اني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألت من اقرأهما فقالا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لا ذهبن بكما الى رسول الله ﷺ لاذخالهتما ما قرأني رسول الله، فقال رسول الله ﷺ لا أحدهما « اقرأ - فقرأ فقال - أحسنت - ثم قال للآخر - اقرأ - فقرأ فقال - أحسنت » قال ابني فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي فضرب يده في صدري ثم قال « اللهم أخسيه الشيطان عنه ، يا أيُّ اتاني آت من ربي فقال: ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت رب خفف عن أمي، ثم اتاني الثانية فقال ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرفين، فقلت رب خفف عن أمي، ثم اتاني الثالثة فقال مثل ذلك وقلت مثل ذلك، ثم اتاني الرابعة فقال ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على سبعة احرف ولك بكل ردة مسألة - فقال - يارب اللهم اغفر لأمي يارب اغفر لأمي واختبات الثالثة شفاعا لأمي يوم القيامة » اسناد صحيح (قلت) وهذا الشك الذي حصل لابي في تلك الساعة هو والله أعلم السبب الذي لاجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة اعلام وابلغ ودواء لما كان حصل له سورة (لم يكن) الى آخرها لاشتمالها على قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديبية على عمر بن الخطاب وذلك لما كان تقدم له من الاسئلة لرسول الله ﷺ ولائي بكر الصديق، وفيها قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين)

وقال ابن جرير ثنا محمد بن شتي ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن ابي ليلى عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ كان عند اصابه بني غفار فأناه جبريل

فقال ان الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته فان أمتي لا تطيق ذلك » قال ثم أتاه الثانية فقال ان الله يأمرك ان تقرىء أمتك القرآن على حرفين قال « أسأل الله معافاته ومغفرته ان أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الثالثة فقال ان الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمتي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الرابعة فقال ان الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبى حرف قرؤا عليه فقد أصابوا . وأخرجه مسلم وابو داود والنسائي من رواية شعبة به

وفي لفظ لأبي داود عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « اني أقرئت القرآن فقل لي على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي قل على حرفين فقل لي على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قل ليس منها الا شاف كاف ان قلت - ميمما عليما عزيزا حكيما مالم تخط آية عذاب برحمة او آية رحمة بعذاب » وقد روي ثابت بن قاسم نحوه من هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحوه ذلك وقال الامام احمد حدثنا حسين بن علي الجمحي عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال رسول الله ﷺ لجبريل « إني بعثت الى أمة أميين ، بينهم الشيخ العاسي والمجوز الكبيرة والغلام ، فقال مرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي جبريل عند أحجار المراء فذكر الحديث والله أعلم وهكذا رواه الامام احمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت يا جبريل اني ارسلت الى أمة أمية ، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ العاسي الذي لم يقرأ كتابا قط ، فقال ان القرآن أنزل على سبعة أحرف » وقال احمد ايضا ثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ربعي بن خراش ، قال حدثني من لم يكذبني - حذيفة - قال اتي النبي ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال ان أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف ، فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن ان من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه الى غيره رغبة عنه . هذا اسناد صحيح ولم يخرجه

(حديث آخر) في معناه عن سليمان بن صرد ، قال ابن جرير ثنا اسماعيل بن موسى السدي ثنا شريك عن أبي اسحاق عن سليمان بن صرد يرفعه قال « اتاني ملكان فقال احدهما اقرأ ، قال على كم ؟ قال على حرف ، قال زده حتى انتهى الى سبعة احرف »

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن اسحاق الازرق عن العوام بن حوشب عن أبي اسحاق عن سليمان بن صرد قال اتاني بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلفا في القراءة فذكر الحديث ، وهكذا رواه احمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام عن أبي اسحاق عن سليمان بن صرد عن أبي انه أتى النبي ﷺ برجلين فذكره وقال ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا يحيى بن آدم ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن فلان العبدي - قال ابن جرير ذهب عني اسمه - عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب ، قال رحت الى المسجد فسمعت رجلا يقرأ ، فقلت من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ فانطلقت به الى رسول الله ﷺ فقلت استقرئ هذا ، قال فقرأ فقال « احسنت » قال قلت انك اقرأتني كذا وكذا فقال « وانت قد احسنت قد احسنت قد احسنت » قال فضرب بيده على صدري ثم قال « اللهم اذهب عن أبي الشك » قال فبضت عرفاء ، وامتلاً جوفي فرقا ، قل : ثم قال « ان الملكين أتياني ، فقال احدهما اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر زده ، قال قلت زدني فقال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة احرف اقرأه على سبعة احرف »

وقد رواه أبو عبيد عن حجاج عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن سدير العبدي عن سليمان بن صرد ، عن أبي عن النبي ﷺ بنحو ذلك . ورواه أبو داود عن الوليد الطيالسي عن همام عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب بنحوه . فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب ، والظاهر ان سليمان بن صرد الخزازي شاهد ذلك والله اعلم .

(حديث آخر عن أبي بكرة) قال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد ابن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « اتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده قال اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ما لم تحتم آية رحمة بآية عذاب أو

آية عذاب برحمة » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة به وزاد في آخره « كقولك هلم وتعال »

(حديث آخر عن سمرة) قال الامام أحمد ثنا بهز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف » اسناد صحيح ولم يخرجوه

(حديث آخر عن أبي هريرة) قال الامام أحمد ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم عن أبي سلمة لا أدله إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف ، مرأى في القرآن كفر — ثلاث مرات — فما علمت منه فاعملوا ، وما جهلتم منه فردوه الى عالمه » ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به

(حديث آخر عن أم أيوب) قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عبيد الله — هو ابن أبي يزيد — عن أبيه عن أم أيوب — يعني امرأة أبي أيوب — الانصارية أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاءك » وهذا اسناد صحيح ولم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة

(حديث آخر عن أبي جهم) قال أبو عبيد: ثنا اسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي — وقال غيره عن بسر بن سعيد — عن أبي جهم الانصاري أن رجلين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ فمشيا جميعا حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا فإن مرأى فيه كفر » وهكذا رواه أبو عبيد على الشك ، وقد رواه الامام أحمد على الصواب فقال حدثنا أبو سلمة الخزازي ثنا سليمان بن بلال حدثني يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثني أبو جهم أن رجلين اختلفا في آية من القرآن قال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ فسالنا النبي ﷺ فقال « القرآن قرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن مرأى في القرآن كفر » وهذا اسناد صحيح ايضا ولم يخرجوه

ثم قال أبو عبيد: ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم

عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال عمرو - يعني ابن العاص - إنما هي كذا وكذا بغير ما قرأ الرجل فقال الرجل هكذا قرأنيها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكر ذلك له فقال رسول الله ﷺ «إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف، فأبى ذلك قرأتكم أصبتم، فلا تماروا في القرآن فإن مرأه فيه كفر» ورواه الامام أحمد عن أبي سلمة الخزاعي عن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن السور بن مخزومة عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه وفيه «فإن المرأه فيه كفر إنه الكفر به» وهذا أيضاً جيد

(حديث آخر عن ابن مسعود) قال ابن جرير ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عتميل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف. زاجروا مروحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتهم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمناً به، كل من عند ربنا» ثم رواه عن أبي كريب عن المحاربي عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه والله أعلم

(فصل) قال أبو عبيد قد تواترت هذه الاحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني غان عن حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «نزل القرآن على سبعة أحرف» قال أبو عبيد ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض وذلك بين في أحاديث تترى

قال وقد روى الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجر من هوارن، قال أبو عبيد والمجرهم بنو أسعد بن بكر وخيشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم، ولهذا قال عمر لا يلي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف قال ابن جرير واللغتان الآخرتان قريش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس ولكن لم يلقه قال أبو عبيد ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس أنه كان يستل عن القرآن فينشد فيه الشعر قال أبو عبيد يعني أنه كان يستشهد به على التفسير، وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد أو مجاهد عن ابن عباس في قوله (والليل وما وسق) قال وما جمع وأنشد

* قد اتسقن لو يجدن سائقا *

حدثنا هشيم أنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فاذا هم بالساهرة) قال الارض قال وقال ابن عباس قال أمية بن أبي الصلت (١)
* عندهم لحم بحر ولحم ساهرة *

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال : كنت لأدري ما فاطر السموات والارض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما أنا ابتدأنا، اسناد جيد أيضا

وقال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعدما أورد طرفا مما تقدم : وصح وثبت ان الذي نزل به القرآن من لسان العرب البعض منها دون الجمع إذ كان معلوما ان ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يهجز عن احصائه . ثم قل وما برهانك على ما قلته دون ان يكون منه ما قاله مخالفاً لك من انه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل ونحو ذلك من الاقوال فقد علمت قتل ذلك عن سلف الامة وخيار الائمة ؟ قيل له ان الذين قالوا ذلك لم يدعوا ان تأويل الاخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت انهم قالوه في الأحرف

(١) الشاهد الذي هنا ليس مصراعاً موزوناً . وفي لسان العرب انه فسر الساهرة بالارض وأنشد

وفيه لم ساهرة وبحر * وما فاهو به أبداً مقم

السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك لقولنا مخالفاً ، وإنما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد رويناه بمثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله ﷺ وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة ابواب الجنة كما تقدم . يعني كما تقدم في رواية أبي كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة ابواب الجنة

قال ابن جرير : والابواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والنهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها المنتهي استوجب به الجنة ، ثم بسط القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف ، ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم ، جمعهم على حرف واحد وهو هذا المصحف الإمام . قال واستوسقت له الأمة على ذلك ، بل أطاعت ورأت أن فيما فعله الرشيد والهداية ، وتركت القراءة بالأحرف الستة ، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعة منها له ، ونظراً منها لآثارها ، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ، لدثورها وعفوا آثارها . إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر بإيجاب وفرض ، وإنما كان أمر بإباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العمل (١) بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره العذر وبزيل الشك من قراءة الأمة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين - إلى أن قال - فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونصبه وجره ، وتسكين حرف وتحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ « أوتيت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » بمنزلة ، لأن المرء في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب ﷺ بالمرء في الأحرف السبعة الكفر كما تقدم (٢)

(١) في نسخة طبعة الحشاش لفسيره : العلم (٢) اختصر هذا الجواب وأورده بالمعنى لا بلفظه

﴿الحديث الثاني﴾

قال البخاري رحمه الله ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القاري حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي (ص) فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله (ص) فكذبت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبتته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله (ص) فقلت كذبت فإن رسول الله (ص) قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أفوده الى رسول الله (ص) فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها ، فقال رسول الله (ص) « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال (ص) « كذلك أنزلت » ثم قال « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله (ص) « كذلك أنزلت ، ان القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرؤا ما تيسر منه »

وقد رواه الامام احمد والبخاري أيضا ومسلم وابو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري ، ورواه الامام احمد أيضا عن ابن مهدي عن مالك عن الزهري عن عروة بن عبد الرحمن بن عبد (القاري) عن عمر فذكر الحديث بنحوه

وقد قال الامام احمد ثنا عبد الصمد ثنا حرب بن ثابت ثنا اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر فغير عليه ، فقال قرأت على رسول الله (ص) فلم يغير علي ، قال فاجتمعا عند النبي (ص) فقرأ الرجل على النبي (ص) فقال له « قدأ حسنت » قال فكان عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « يا عمر ان القرآن كله صواب ما لم تجعل عذاب مغفرة ، ومغفرة عذاب » (١) وهذا اسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكنى بأبي ثابت لانعرف أحدا جرحه

اقوال العلماء في معنى السبعة الاحرف (٢)

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال ، قال ابو عبد الله محمد بن ابى بكر بن فرح الانصاري القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد

(١) كذا في الاصل (٢) العنوان ليس من الاصل

اختلف العلماء في المراد بالاحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها ابو حاتم محمد بن حبان البستي ونحن نذكر منها خمسة أقوال . قلت ثم سردها القرطبي وحاصلها ما أنا مורده ماخصاً (فالاول) وهو قول أكثر أهل العلم منهم سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب وابو جعفر محمد بن جرير والطحاوي أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وتعال وهلم وقال الطحاوي وأبين ما ذكر في ذلك حديث ابى بكره قل جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فقال اقرأ على حرف ، فقل ميكائيل استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال ميكائيل استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف فقال اقرأ فكل كاف شاف إلا أن تخط آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بآية رحمة نحو هلم وتعال وأقبل واذهب وأسرع وعجل .

وروى ورقاء عن ابى نجيع عن مجاهد عن ابن عباس عن ابى بن كعب انه كان يقرأ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم) : للذين آمنوا أمهلونا ، للذين آمنوا آخرونا ، للذين آمنوا ارقبونا ، وكان يقرأ (كلما أضاء لهم مشوا فيه) : مروافيه ، سمعوا فيه (١) قال الطحاوي وغيره وإنما كان ذلك رخصة أن يقرأ الناس القرآن على سبع لغات وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش وقراءة رسول الله (ص) ليدم عليهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ ، وقد ادعى الطحاوي والقاضي الباقلاني والشيخ ابو عمر بن عبد البر أن ذلك كان رخصة في أول الامر ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الحفظ وكثرة الضبط وتعلم الكتابة ،

(قلت) وقال بعضهم إنما كان الذي جمعهم على قراءة واحدة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور باتباعهم ، وإنما جمعهم اليها لما رأى من اختلافهم في القراءة المنفصلة الى تفرق الامة وتكفير بعضهم بعضاً ، فرتب لهم المصاحف الائمة على الرخصة الاخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان كان من عمره عليه السلام وعزم عليهم أن لا يقرءوا بغيرها ، وأن لا يتعاطوا الرخصة التي كانت لهم فيها سعة ، ولكنها أدت الى الفرقة والاختلاف ، كما ألزم عمر بن الخطاب الناس بالطلاق الثلاث المجموعة حتى تتابعوا فيها وأكثروا منها قال فلو أنا أمضيناه عليهم ، وأمضاه عليهم ، وكذلك كان ينهى عن المتعة

(١) ويرى بعض العلماء ان بعضهم كان يقول مثل هذا تفسيراً فظنه بعض الرواة قرأنا

في أشهر الحج لئلا تقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج ، وقد كان ابو موسى يبيع المتمتع فترك
فتياه اتباعا لا أمير المؤمنين ، وسمعا وطاعة للائمة المهديين

(القول الثاني) أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وليس المراد أن جميعه يقرأ على
سبعة أحرف ولكن بعضه على حرف وبعضه على حرف آخر : قال الخطابي وقد يقرأ
بعضه بالسبع لغات كما في قوله (وعبد الطاغوت - ويرتع ويلعب) قال القرطبي ذهب الى
هذا القول أبو عبيد واخباره ابن عطية ، قال أبو عبيد : وبعض اللغات أسعد به من
بعض ، وقال القاضي الباقلاني : ومعنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أي معظمه ، ولم يبق
دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى (قرآنا عربيا) ولم يقل قرشيا ، قال واسم
العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعني حجازها ويمناها ، وكذا قال الشيخ أبو عمر
ابن عبد البر ، قال لان لغة غير قريش موجودة في صحيح القراءات كتتحقيق الهمزات
فان قريشا لا تهمز ، وقال ابن عطية قال ابن عباس ما كنت أدري معنى (فاطر السموات
والارض) حتى سمعت أعرابيا يقول لبئر ابتداء حفرها : أنا فطرتها

(القول الثالث) ان لغات القرآن السبع منحصرة في مضر على اختلاف قبائلها خاصة
لقول عثمان ان القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش هم بنو النضر بن الحارث على الصحيح من
أقوال أهل النسب ، كما ينطق به الحديث في سنن ابن ماجه وغيره

(القول الرابع) وحكاها الباقلاني عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع الى سبعة
أشياء . منها ما لا تتغير حر كته ولا تتغير صورته ولا معناه ، مثل (ويضيقُ صدري ويضيقُ) (١)
ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه ، مثل (فقالوا ربنا باعدْ - وباعدْ) (٢) بين أسفارنا
وقديكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف ، مثل ننشزها ونشرها (٣) أو بالكلمة مع
بقاء المعنى مثل (كالعن المنفوش - أو - كالصوف المنفوش) (٤) أو باختلاف الكلمة واختلاف

- (١) ويضيق بالرفع قراء الجمهور وبالنصب قراءة يعقوب على أنه عطف على « يكذبون » قبله
(٢) باعد بصيغة الطلب والدعاء قراءة الجمهور ، وباعد بالفعل الماضي قراءة يعقوب . وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو وهشام (بعد) من التبديد والكلمة في المصحف بغير الف فتحتمل القراءتين المشهورتين
(٣) الاولى بالزاي والثانية بالراء وهما قراءتان سبعيتان
(٤) العن هو الصوف مطلقاً أو المصبوغ والقراءة به غير متواترة والارجح في مثلها أنها تفسير

المعاني مثل (وطلح منضود - وطلع منضود (١)) أو بابتداء التمدد والتأخر : مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق - أو - سكرة الحق بالموت (٢)) أو بالزيادة مثل (تسمع وتسمعون لمجة - أنثى (٣) - وأما الغلام فكان كاهناً وكرّ أبواه مؤمنين - فإن الله من بعد اكرههم لمن غفور رحيم) (القول الخامس) أن المراد بالاحرف السبعة معاني القرآن ، وهي أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، ووقصص ، ومجادلة ، وأمثال ، قال ابن عطية وهذا ضعيف ، لأن هذه لا تسمى حروفاً وأيضا فالاجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها

﴿ فصل ﴾

قال القرطبي : قال كثير من علمائنا كالمداووني وابن أبي صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي أذاعت الصحابة في القراءة بها وإنما هي راجعة الى حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، ذكره ابن النحاس وغيره ، قال القرطبي وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأبازها . وإنما اختار القراءة المنسوبة اليه لأنه رآها أحسن وأولى عنده ، قال وقد أجمع المسلمون في هذه الامصار على الاعتماد على ما صحح عن هؤلاء الائمة فيما روه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات ، واستمر الاجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب . قال البخاري رحمه الله :

تأليف القرآن (٤)

حدثنا ابراهيم بن موسى اياهشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبرني (٥) يوسف ابن ماهك قال اني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال أي الكفن خير ؟

(١) قراءة (طلع) بالعين شاذة لا يثبت بها القرآن ونحافظ رسم المصحف الامام (٢) اثنائية شاذة فهي كالتي قبلها (٣) زيادة انثى شاذة فهي تفسير لبيان الواقع فان التعجبة انثى الضأن ويقال مثله في المثليين بعده (٤) حذف لفظ باب كعادته (٥) في البخاري « وأخبرني » قال الحافظ في الفتح : كذا عندهم (أي رواة البخاري) وما عرفت ماذا عطف عليه ثم رأيت الواو ساقطة في رواية النسفي وكذا ما وقعت عليه من طرق هذا الحديث اه يعني أنها ذكرت عند سائر الرواة سهواً

قالت ويحك ما يضرك ؟ قال يا أم المؤمنين أرني مصحفك ، فقالت لم ؟ قال لعلي أوألف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف ، قالت وما يضرك أيه قرأت قبل ؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء نزل لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنا لقالوا لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بمكة على محمد ﷺ واني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور والمراد من التأليف ههنا (١) ترتيب سورته ، وهذا العراقي سأل أولاً عن أي الكفن خير أو أفضل فأخبرته عائشة رضي الله عنها أن هذا مما لا ينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تكلفاً لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتمت في الاسئلة ، كما سأل بمضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ !! ولهذا لم تبالغ معه عائشة رضي الله عنها في الكلام لئلا يظن أن ذلك أمر مهم ، والا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فلانها أطهر وأطيب » وصححه الترمذي من الوجهين ، وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر في باب الكفن من كتاب الجائز . ثم سألتها عن ترتيب القرآن ، فانتقل إلى سؤال كبير وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أي مرتب السور ، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام به والله أعلم ، ولهذا أخبرته أنه لا يضر بك بأي سورة بدأت وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه إن لم تكن (اقرأ) فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور المفصل التي فيها الوعد والوعيد (٢)

(١) هذا كلام المؤلف ابن كثير في بيان معنى رواية البخاري هذه

(٢) الأولى أن يكون مرادها سورة المدثر فإنها أول سورة أنزلت بالامر بالتبليغ وفيها ذكر الجنة

والنار وإنما كان نزل قبلها خمس آيات من سورة العلق لا كلها وليس فيها أمر بالتبليغ

ثم لما انقاد الناس الى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولا فأولاً، وهذا من حكمة الله ورحمته، ومعنى هذا الكلام ان هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداءة بها في أوائل المصاحف مع انها من أول ما نزلت، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم تقرير ذلك، ولهذا لم ترخص له في ذلك بل اخرجت له مصحفها أممت عليه أي السور والله اعلم، وقول عائشة لا يضررك بأي سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو آخر (١) كما دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليه السلام قرأ في قيام الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران

وقد حكى القرطبي عن أبي بكر بن الانباري في كتاب الرد انه قال : فمن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن افسد نظم الآيات، وغير الحروف والآيات، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضي الله عنه فانه مرتب على هذا النحو المشهور

والظاهر ان ترتيب السور منه ما هو راجع الى رأي عثمان رضي الله عنه وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسمة في أول براءة وذكره الانتقال من الطول، والحديث في الترمذي وغيره باسناد جيد قوي (٢)

وقد ذكرنا عن علي انه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله (٣) ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان (اقرأ باسم ربك الاكرم) وأول مصحف ابن مسعود (مالك يوم الدين) ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف، وأول مصحف أبي (الحمد لله) ثم النساء ثم آل عمران ثم الانعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد (٤)

(١) كذا في الاصل وقد سقط منه جواب لو والمراد أنه لو قدم أو آخر في الصلاة لا يكره

(٢) الصواب ما قدمنا في حاشية أخرى (ص ١٨) من أنه لا يحتج به ولا سيما في مثل موضوعه وان ترتيب

السور توقيفي في المصحف ولكنه لا يجب في الصلاة

(٣) ان صح هذا وما أراه يصح عنه فالمراد به ترتيب السور بعد تمام كل منها من مكّي ومدني

لا الآيات قبل اتمام سورها

(٤) المراد من قوله في أول مصحف ابن مسعود وأبي واحد وهو سورة الفاتحة فذكر كل راو آية

ثم قال القاضي ويحتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة ، قال : فأما ترتيب الآيات والبسمة في الاوائل فهو من النبي ﷺ . وقال ابن وهب في طائفة : سمعت سليمان بن بلال يقول سئل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران ونزل قبلهما بضع وثمانون سورة ؟ فقال قدمتا والف القرآن على علم ممن ألفه ، وقد اجمعوا على العلم بذلك فهذا مما ينتهي اليه ولا يسئل عنه ، قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول إنما الف القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ قال أبو الحسن بن بطال انا نجد تأليف سورته في الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحدا قال إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه وانه لا يحل لأحد أن يتلن الكهف قبل البقرة ولا الحج بعد الكهف ، ألا ترى الى قول عائشة لا يضررك أيه قرأت قبل ؟ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرأ في الركعة الاخرى بغير السورة التي تليها ، قال : وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر انها كرها أن يقرأ القرآن منكوسا وقالوا إنما ذلك منكوس القلب ، فأما عنيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتديء بآخرها الى أولها فان ذلك حرام محظور (١)

(ثم قال البخاري) : ثنا آدم عن شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود يقول في بني اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء لمن من العتاق الاول وهن من تلادي .

انفرد باخراجه البخاري ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية ، وقوله من العتاق الاول أي من قديم ما نزل ، وقوله وهن من تلادي

منها والا كان قولنا باطلا بدليل الاجماع على أن الفاتحة هي التي ابتدوا بها جميع المصاحف وهو المراد من اسمها ، وأما اختلافهم في ترتيب السور في مصاحفهم الشخصية فقد يكون بعض الروايات فيه من الدسائس ، وقد يكون سببه ان بعضهم يكل عنده جمع سورة مما كانت متفرقة فيه من عظام الاكتاف والاعخاف وغيرها قبل كمال سورة أخرى يعلم أنها نزلت قبلها فيقدمها كنتقديم أبي لآل عمران المدنية بالاجماع على الانعام المسكية بالاجماع (١) ومثله قراءة الحنمة منكوسة وإنما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءته كله وفرق بينه وبين قراءة بعضه في الصلاة أو للوعظ فانه يتخير فيه

أي من قديم ما قنيت وحفظت ، والتألد في لغتهم قديم المسال والمتاع ، والطارف حديثه وجديده ، والله أعلم

حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنا أبو اسحاق سمع البراء بن عازب رضي الله عنه يقول : تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يقدم النبي ﷺ وهذا متفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة . والمراد منه أن (سبح اسم ربك الأعلى) سورة مكية نزلت قبل الهجرة والله أعلم (ثم قال) ثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن شقيق قال قال عبد الله : لقد علمت النظائر (١) التي كان النبي ﷺ يقرأهن اثنتين اثنتين في كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسالناه فقال عشرون سورة من اول المفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون (٢)

هذا التأليف الذي عن ابن مسعود غريب مخالف لتأليف عثمان رضي الله عنه ، فان المنصل في مصحف عثمان رضي الله عنه من سورة الحجرات الى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الامام احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ فذكر حديثا فيه ان النبي ﷺ كان سمر معهم بعد العشاء فسكت عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء ، قال قلنا ما أمكثك عنا يا رسول الله ؟ قال « طرأ علي حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » قال فسالنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال قلنا كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا نحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من (ق) حتى يحتم . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي به وهذا إسناد حسن

(١) وفي رواية لعلت . والمراد بالنظائر السور المتشابهة في معانيها كالحواميم والمفصل

(٢) هذه رواية أبي ذر للصحيح وسقط من غيرها ذكر حم الدخان وعم يتساءلون

(فضائل القرآن م ٦)

فصل

فاما نقطه المصحف وشككه فيقال ان أول من أمر به عبد الملك بن مروان فتصدي
لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلوا ذلك ، ويقال ان
أول من نقط المصحف أبو الاسود الدؤلي ، وذكروا أنه كان لحمد بن سيرين مصحف قد
نقطه له يحيى بن يعمر والله أعلم

وأما كتابة الاغشار على الحواشي ، فينسب الى الحجاج أيضا وقيل بل أول من فعله
المأمون ، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكمه
وكره مجاهد ذلك أيضا وقال مالك لا بأس به بالخبر ، فاما بالالوان المصبغة فلا . وأكره تعداد
آي السور في أولها في المصاحف الامهات فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً (١) وقال
قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عسروا

وقال يحيى بن كثير أول ما أحدثوا النقط وقال هو نور له ثم أحدثوا النقط عند
آخر الآي ثم أحدثوا الفواتح والخواتم ، ورأى ابراهيم النخعي فاتحة سورة كذا فأمر بمحوها
وقال : قال ابن مسعود لا تخطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال ابو عمرو الداني : ثم قد
أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الامهات ونحوها .

﴿ معارضة جبريل النبي ﷺ القرآن ﴾ (٢)

ثم قال البخاري رحمه الله : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، قال مسروق
عن فاطمة عن عائشة أسرّ الي رسول الله ﷺ « إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة
ولنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه الا حضر أجلي » هكذا ذكره معلقا ، وقد اسنده في

(١) ومثل هذا قوله بوجوب اتباع رسم الصحابة في المصاحف التي تكتب للتلاوة واباحة الرسم
المستحدث في مصاحف التعليم فقط لتسهيله . وغرضه أن مصاحف التلاوة يجب ان تكون كالمصحف
الامام الذي أجمع عليه الصحابة حفظا للأصل . وكلامه هنا يدل على أن التابعين ومن بعدهم أثبتوا أعداد الآيات
بالارقام في مصاحفهم لأنها لا تقتضي اشتباها في اللفظ ولا في المعنى ، ووضعها في كتب التفسير أولى لانه
يساعد على المراجعة والفهم (٢) في البخاري : باب كان جبريل الخ فترك المصنف كلمة باب كما عاده

مواضع أخر ، ثم قال ثنا يحيى بن قزعة ثنا ابراهيم بن سعيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسخ ، يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة (وهذا الحديث متفق عليه وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحكم والفوائد والله أعلم) ثم قال ثنا خالد بن يزيد ثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كان يرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض ، فيه وكان يمتكف كل عام عشراً فاعتكف عشرين في العام الذي قبض

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عياش - عن أبي حصين واسمه عثمان بن عاصم به ، والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابله على ما أوحاه اليه عن الله تعالى ليبقى ما بقي ويذهب ما نسخ توكيدا واستنباطا وحفظا . ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرصة الأخيرة رضي الله عنه وأرضاه ، وخص بذلك رمضان من بين الشهور لأن ابتداء الأيحاء كان فيه . ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثر اجتهاد الأئمة في تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك

﴿ القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبه عن عمرو عن ابراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال لا أزال احبه سمعت النبي (ص) يقول « خذوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب رضي الله عنهم وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع وسلم والنسائي من حديث الأعمش عن أبي وائل عن مسروق به ، فهو لأربعة : اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود

(١) الذي في صحيح البخاري : باب القراء من أصحاب النبي (ص)

وسالم مولى ابى حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي (ص) المدينة، واثنان من الانصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين

ثم قال: حدثنا عمر بن حفص ثنا ابى ثنا الاعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبد الله فقال: والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة (١) والله لقد علم أصحاب النبي (ص) أني من أعلمهم بكتاب الله وما انا بخيرهم. قال شقيق فجلست في الخلق أسمع ما يقولون فما سمعت رادا يقول غير ذلك

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة قال كنا بجمعص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف، فقال رجل ما هكذا أنزلت، فقال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) فقال « أحسنت » ووجد منه ريح الخمر فقال أتجترى أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ فجلده الحد.

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الاعمش ثنا مسلم عن مسروق قال قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت؟ ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه إلا بل لركبت إليه. وهذا كله حق وصدق (٣) وهو من اخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يحمله غيره فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر (اجعاني على خزائن الارض إني حفيظ عليم) ويكفيه مدحا وثناء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « استقرئوا القرآن من أربعة » فبدأ به. وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدم عن سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي معاوية عن الاعمش به مطولا وفيه قصة، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به

(١) قال الحافظ في شرحه من الفتح: زاد عاصم عن بدر عن عبد الله: وأخذت بقية المصحف عن أصحابه

(٢) وفي رواية مسلم: والله لقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها فيهما أنا أكله

إذ وجدت منه ريح الخمر الخ (٣) قوله وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخاري

وصححه الدارقطني وقد ذكرته في مسند عمر، وفي مسند الامام احمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يقرأ القرآن فضاء كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » وابن أم عبد هو عبدالله بن مسعود كان يعرف بذلك،

ثم قال البخاري : ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ ابن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد، ورواه مسلم من حديث همام . ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك ح- ثنا معلى بن أسد ثنا عبدالله بن المثنى ثنا ثابت و ثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد قال ونحن ورثناه

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الاربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً ولعل مراده لم يجمع القرآن من الانصار ولهذا ذكر الاربعة من الانصار وهم أبي بن كعب في الرواية الاولى المتفق عليها وفي الثانية من افراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد وكلهم مشهورون، إلا أبا زيد هذا فانه غير معروف إلا في هذا الحديث، وقد اختلف في اسمه فقال الواقدي اسمه قيس بن السكن بن قيس بن ذعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وقال ابن نمير اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس، وقيل هما اثنان جمعا القرآن حكاه ابو عمر بن عبد البر وهذا بعيد، وقول الواقدي أصح لانه خزرجي لأن أنسا قال نحن ورثناه وهم من الخزرج وفي بعض الالفاظ : وكان أحد عمومي، وقال قتادة عن أنس قال : افتخر الحيان الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمة الدبر عاصم ابن ثابت، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين خزيمه بن ثابت، فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد. فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي، وقد شهد ابو زيد هذا بديراً فيما ذكره غير واحد، وقال موسى بن عقبة عن

الزهري: قُتل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة. والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه إماماً على المهاجرين والانصار مع أنه قال «يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ» فلو لا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم. هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، وهذا التقرير لا يُدفع ولا يشك فيه، وقد جمع الحافظ بن السمعاني في ذلك جزءاً، وقد بسطت تقرير ذلك في مسند الشيخين رضي الله عنهما. ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سذكروه، وعلي بن أبي طالب يقال أنه جمعه على ترتيب ما أنزل وقد قدمنا هذا.

ومنهم عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما أنزلت، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المظلي لذهبت إليه. ومنهم سالم مولى أبي حذيفة كان من السادات النجباء، والائمة النقباء، وقد قتل يوم اليمامة شهيداً.

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم الرسول وترجم القرآن، قد تقدم عن مجاهد أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنها. ومنهم عبد الله بن عمرو كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث بن جريج عن عبد الله ابن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «اقرأه في شهر» وذكر تمام الحديث (١).

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم غنوا بالتماس وجه لصحته تبعاً لصحة سنده وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح ما قاله المحققون من الاجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات مانصه: «وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا باجوبة (أحدها) أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه (ثانيها) المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراآت التي نزل بها الا أولئك (ثالثها) لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ الا أولئك وهو قريب من الثاني (رابعها) أن المراد بجمعه تلقيه من في رسول الله (ص) لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بوضه بالواسطة (خامسها) أنهم تصدوا لالقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفي حال غيرهم عن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الامر في نفس الامر كذلك أو يكون السبب في خفتهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره (سادسها) المراد بالجمع الكتابة فلا ينبغي أن يكون غيرهم

ثم قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل ، أنا يحيى عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر : علي افضانا ، وأبي اقرؤنا ، وإنا لنندع من لحن أبي . وأبي يقول اخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء ، قال الله تعالى (ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها)

جمعه حفظاً عن ظهر قلب ، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب (سابعها) المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكل حفظاً في عهد رسول الله (ص) إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يملكه إلا عند وفاة رسول الله (ص) حين نزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الاربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين (ثامنها) أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه .

وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهد به أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال إن ابني جمع القرآن فقال اللهم غفرأنا ما جمع القرآن من سمع له وأطاع، وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الاخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد اثبات ذلك للخروج دون الاوس فقط فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم ، ويحتمل أن يقال إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا يخفى بعده

« والذي يظهر من كثير من الاحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله (ص) فقد تقدم في المبحث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذلك وهذا بما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي (ص) وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما إلا آخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة إنه (ع) كان يأتهم بكرة وعشبة ، وقد صحح مسلم حديث يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الإشارة اليه وتقدم أنه (ص) أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فبدل على أنه كان أقرأهم وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي (ص) « وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي (ص) فقال « اقرأه في شهر » الحديث وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين ، وقد ذكر أبو عبيد القراء من اصحاب النبي (ص) فقد من المهاجرين الخلفاء الاربعة وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادة ، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي (ص) فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس وعبد ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً عيم بن أوس الداري وعقبة بن عامر ومن الانصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليمه وجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي (ص) ومن جمعه أيضاً أبو موسى الاشعري ذكره أبو عمرو الداني وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اهـ »

وهذا يدل على ان الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صوابا وهو خطأ في نفس الامر ولهذا قال الامام مالك : ما من أحد الا يؤخذ من قوله ويرد الا قول صاحب هذا القبر . اي فسله مقبول صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها وذكرنا في تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال

نزول السكينة والملائكة عند القراءة (١)

وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، فقرأ بجالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ بجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتريه (٢) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها (٣) فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي وانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها ، قال « وتدرى ماذا ؟ » قال لا ، قال « تلك الملائكة دنت لصوتك ، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتواري منهم » قال ابن الهاد وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب عن ابي سعيد الخدري عن أسيد بن الحضير (٤)

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع في الرواية الاولى فان محمد ابن ابراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدا لانه مات سنة عشرين ووصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث انه قال : وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد ، ولم اره بسند متصل عن الليث بذلك الا ما ذكره الحافظ ابو القاسم

(١) في البخاري باب نزول الخ (٢) أي فلما جراسيد ابنه يحيى من ذلك المكان وفي رواية أخرى ذكر الحافظ أن فيه اختصاراً أصله كما رواه أبو عبيد : رفع رأسه الى السماء فاذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت الى السماء حتى ما يراها اه وفي صحيح البخاري أشباه لهذا الحذف سببه ان بعض الرواة يختصر الرواية للعلم بما يتركه منها فيقتصر البخاري على لفظه وان لم يفهمه من لم يعرف أصله كاملاً وفي بقية هذه الرواية هنا مثل ما حذف منها (٤) جاء في نسخة هذا الكتاب اسم حضير في اول هذا الحديث وآخره محلى بالالف واللام خلافاً لما في نسخ البخاري

ابن عساكر في الاطراف ان يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك
وقد رواه الامام ابو عبيد في فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى
ابن بكير عن الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث
التميمي عن اسيد بن حضير فذكر الحديث الى آخره ، ثم قال قال ابن الهاد وحدثني عبد الله بن
خباب عن ابي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن شعيب بن الليث
وعن علي بن محمد بن علي عن داود بن منصور كلاهما عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد
ابن ابي هلال عن زيد بن عبد الله - وهو ابن الهاد - عن عبد الله بن خباب عن ابي سعيد عن أسيد
به ، ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضا جتمع بين الاسنادين ، ورواه في المناقب
عن احمد بن سعيد الرباطي عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن
خباب عن أبي سعيد ان أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربدته الحديث ولم يقل عن
أسيد ولكن ظاهره انه عنه والله أعلم

وقال ابو عبيد حدثني عبد الله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن
أسيد بن حضير انه كان يقرأ على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل
هذا الحديث أو نحوه

وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن أسيد
ابن حضير قال : قلت يا رسول الله بينما انا اقرأ البازحة بسورة فلما انتهيت الى آخرها سمعت
وجبة من خلفي حتى ظننت ان فرسي تطاق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين
قال فالتفت فرأيت الى امثال المصابيح ما بين السماء والارض فقال رسول الله « اقرأ أبا
عتيك » فقال والله ما استطعت ان أمضي فقال « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، اما
انك لو مضيت لرأيت الاعاجيب »

وقال ابو داود الطيالسي ثنا شعبه عن ابي اسحاق - مع البراء يقول : بينما رجل يقرأ
سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض - او قال فرسه تركض - فنظر فاذا مثل الصبابة او
مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن - او - تنزلت

على القرآن » وقد أخرجه صاحبها الصحيح من حديث شعبة والظاهر ان هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه فهذا مما يتعلق بصناعة الاسناد وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة ، وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال ابو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشياخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل داره البارحة نزهة مصابيح قال « فاعلمه قرأ سورة البقرة » قال فمثل ثابت ، فقال قرأت سورة البقرة وفي الحديث المشهور الصحيح « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزل عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكروهم الله فيمن عنده » رواه مسلم عن أبي هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء في بعض التفاسير أن الملائكة تشهده

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج اليه الذين تزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

﴿ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين ﴾ (١)

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رُفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد بن معقل أترك النبي ﷺ من شيء قال ما ترك إلا ما بين الدفتين. قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين

تقرده البخاري ومعناه أنه عليه السلام ما ترك مالا ولا شيئاً يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهما ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً وفي حديث أبي الدرداء « إن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه اخذه بحظ وافر » ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن، والسنة مفسرة له

(١) في صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في نظائره . والدفتان بالتشديد اللوحان والمراد ما

بين جانبي المصحف

ومبينة وموضحة أي تابعة له والمقصود الاعظام كتاب الله تعالى كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا) الآية

فلا نبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها، ولهذا قال رسول الله ﷺ «ما تركنا فهو صدقة» وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يتوله أيضا عنه عليه السلام رضي الله عنهم أجمعين

فضل القرآن على سائر الكلام (١)

حدثنا هذبة بن خالد ثنا همام ثنا قتادة ثنا أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ «مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمر طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الخنظلة طعمها مر ولا ريح لها» وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودا وعدما فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر

(ثم قال) ثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملت النصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بغير أطين قيراطين، قالوا نحن أكثر عمالا وأقل، عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا لا، قال فذاك فضلي أوتيته من شئت» تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم

(١) في أصل صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في أمثاله وإنما نعيد ذكره لتنبيه الجمهور إلى النقل عن البخاري

الماضية مع طول مدتها كما قل تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفي المسند والسنن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وكرمها على الله »

ولما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب انزله وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له ، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت الى الارض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وبمن انزل عليه فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة (١)

واعظم الاثم المتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى الى زمان عيسى ، والنصارى من ثم الى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل امته الى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار ، واعطى المتقدمين قيراطاً قيراطاً ، واعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما اعطى أولئك فقالوا أي ربنا مالنا أكثر عملاً وأقل أجراً ؟ فقال هل ظلمتكم من اجركم شيئاً ؟ قالوا لا قال فذاك فضلي - أي الزائد على ما اعطيتمكم اوتيته من اشاء ، كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويفرركم والله غفور رحيم * لئلا يعلم اهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

الوصاة بكتاب الله (٢)

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن مغول ثنا طاححة هو ابن مصرف سألت عبد الله ابن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل ،

(١) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فضله عليها ذاتي له بلفظه واسلوبه وبمعانيه وقد كان بهامعجزاً للمخلوق ومكلاً للدين الالهي فيهم وبغير ذلك من خصائصه. وأهل الكتاب لا يسمون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوصايا التي كتبها الله له في الألواح ، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لفرعون وقومه ولبنو اسرائيل فكان تدريجياً

(٢) أي باب الوصاة وفي نسخة من البخاري الوصية

وقد رواه في مواضع أخر مع بنية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ما ترك إلا ما بين الدفتين. وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين) وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يترك شيئاً يورث عنه، وأما ترك ماله صدقة جارية، من بعده فلم يحتاج إلى وصية في ذلك، ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيب لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيمانه إلى الصديق ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك قال «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله (١)

من لم يتغن بالقرآن (٢)

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب، قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن» وقال صاحب له يريد يجهر به فرد من هذا الوجه، ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال سفيان : تفسيره يستغني به

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به، ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لسكّال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الأصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم (٣) ومنهم من فسر الأذن

(١) وأوصى ﷺ أيضاً بالنساء والرقيق وبإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان
(٢) حذف منه كلمة باب (٣) المراد بالأذن أي السمع في الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله في ذكر الاعتدال من الركوع «سمع الله لمن حمده» وفعله من باب تعب وفرح

ههنا بالامر والاول اولى لقوله « مااذن الله لشيء » ، مااذن لنبي يتغمي بالقرآن « اي يجهر به والاذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قل تعالى (اذا السماء انشقت * وأدنت لربها وحقت * واذا الارض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * واذنت لربها وحقت) اي استمعت لربها وحقت اي وحق لها ان تستمع امره وتطيعه ، فلاذن ههنا هو الاستماع . ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ « لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته »

وقول سفيان بن عيينه ان المراد بالتغمي يستغني به ، فان اراد انه يستغني به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه ابو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، بخلاف الظاهر من مراد الحديث لانه قد فسر به بعض رواة بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرمة سمعت ابن عينة يقول معناه يستغني به فقال لي الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغاني ، انما هو يتحزن ويترنم به . قال حرمة وسمعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي رحمه الله

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لان هذه الآية الكريمة ذكرت ردا على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه ؟ فقل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية ، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك انزلنا القرآن عليك وأنت رجل أمي ؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذا لا رتاب المبطلون) أي وقد جئت فيه بخبر الاولين والآخرين فأين هذا من التغمي بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

(١) التصدير الباب بالآية على التقدير الثاني وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخاري وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره باطلاق يدخل فيه كل ما يناسبه ، وذكروا من اسباب نزول الآية ما أخرجه الطبري من مجي ناس من المسلمين يكتبون قد كتبوا فيها بعض ما سمعوا من أهل الكتاب فقال النبي (ص) « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم الا ما جاء به غيره الى غيرهم » فنزلت الآية

فصل

﴿ في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالاصوات ﴾

قال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن قباث بن رزين عن علي بن رباح اللخمي عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن قال « تعلموا كتاب الله واقتنوه — قال وحسبت أنه قال — وتغنوا به فوالذي نفسي بيده لهو أشد ثقلنا من الخاض من العُمل »

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال « واقتنوه وتغنوا به » ولم يشك . وهكذا رواه النسائي في كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن علي عن أبيه به ، ومن حديث عبد الله بن المبارك عن قباث بن رزين عن علي بن رباح عن عقبة ، وفي بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث فقيه دلالة على السلام على القاريء

وقال أبو عبيد ثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي رزم عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول الله ﷺ « يأمل القرآن لا تفسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آتاء الليل والنهار وتغنوه وتغنوه واذكروا ما فيه لعلمكم تفاجون » وهذا مرسل ، ثم قال أبو عبيد : قوله « تغنوه » أي اجملوه غناءكم من المقر ولا تعدوا الا قلال معه فقرأ وقوله « وتغنوه » يقول اقتنوه كما تقتنوا الاموال اجعلوه مالمكم

وقال أبو عبيد حدثني هشام بن عمار عن علي بن حمزة عن الاوزاعي قال حدثني اسماعيل ابن عبيد الله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال « الله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد في اسناده يقول عن اسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة . وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبي راشد عن الوليد عن الاوزاعي عن اسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبي ﷺ « لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » قال أبو عبيد يعني الاستماع ، وقوله

في الحديث الآخر « ما أذن الله لشيء » أي ما استمع

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مليكة حدثنا القاسم بن محمد حدثني السائب قال : قال لي سعد بن أبي أخيه هل قرأت القرآن ؟ قلت نعم ، قال غن به فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا فان لم تقدروا على البكاء فتبكوا »

وقد روى أبو داود من حديث الليث عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتبكوا ، وتغنوا به فن لم يتغن به فليس منا » وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه والله أعلم

وقال أبو داود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث الهيئة فانتسبنا له فقال تجار كسبة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرايت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال يحسنه ما استطاع . تفرد به أبو داود ، وقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم انما فهموا من التغي بالقرآن انما هو تحسين الصوت به وتحزينه كما قاله الائمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جابر عن الاعمش عن طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا اسناد جيد . وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا . ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أره يحمده

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » قال أبو عبيد وانما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الاطمان المبتدعة ، فلهذا نهاه

أن يحدث به. (قلت) ثم إن شعبة رحمه الله ، روى الحديث متوكلاً على الله كما روي له، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وجعلوها على غير محاملها الشرعية المرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشم به كما رواه الحافظ الكبير تقي بن مخلد رحمه الله حيث قال : ثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة » قلت أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرت لك تحبيراً .

ورواه مسلم من حديث طلحة به . وزاد « لقد أوتيت زمزماً من زمير آل داود » وسيأتي هذا في باب حيث يذكره البخاري . والغرض أن أبا موسى قال لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيراً فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه ، وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطي صوتاً حسناً كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمي أُوْنِبْتُ عنه ثنا أبو عثمان النهدي قال كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت اني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة ابن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجهمي يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام فقمتم معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال « هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا » إسناده جيد .

وفي الحديث يحيى بن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فاستمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه ، وفي بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) خلت أن فؤادي قد انصدع (١) وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإنما كان قدم في فداء الاسارى بعد بدر، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصروع الكفر، فكان هذا سبب هدايته . ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ليث عن طاوس قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشام لله . وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال: أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشام لله وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أحسن صوتاً بالقرآن ؟ فقال « الذى اذا سمعته رؤيته يخشى الله » (٢)

وقد روى هذا متصلاً من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضمير ثنا عبد الله بن جعفر المديني ثنا ابراهيم بن اسماعيل عن مجمع عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » ولكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد علي بن المديني - وشيخه ضعيفان والله أعلم والغرض ان المطلوب شرعاً انما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة

فأما الاصوات بالنغمات المحدثه المركبة على الاوزان والاضاع الملمبة والقانون الموسيقى فالثقاني فالقرآن ينزه عن هذا ويُجَل ويعظم أن يُسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الامام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقة بن الوليد عن حصين بن مالك الفزارى قال سمعت شيخنا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ « اقرؤوا القرآن بلحون العرب

(١) في تفسير سورة الطور من البخاري أنه قال : كاد قلبي أن يطير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها ما هنا (٢) كذا في الاصل ويوضح معناه الرواية الاخرى بعده

واصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدى يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » وحدثننا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن عليم قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا اعلمه إلا قال عابس الغفاري فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال ماهؤلاء ؟ قال يفرون من الطاعون فقال ياطاعون خذني فقالوا أتعنى الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يتمنين أحدكم الموت » ؟ فقال إني أبادر خصالا سمعت رسول الله (ص) يتخوفهن على أمتة - بيع الحكم والا (١) بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير ، يقدمون

أحدهم ليس بافقههم ولا افضلهم إلا ليغنيهم به غناء ، وذكر خلتين آخرتين

وحديثنا يعقوب بن ابراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفاري عن النبي (ص) مثل ذلك أو نحوه ، وحديثنا يعقوب عن ابراهيم عن الاعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الالحان التي احدث الناس فانكر ذلك ونهى عنه . وهذه طرق حسنة في باب الترهيب (٢)

(١) موضع البياض مقطوع من الاصل

(٢) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح سند شيء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند المحدثين . والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم الحمودة شرعا هي ما تكون به القراءة أشد تأثرا في النفس وخشوعا في القلب واعتبارا في العقل . وان الحظوظ منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب ، وما من أحد سمع قراءة المجودين أولي الاصوات الحسنة الا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه بقراءتهم

والسبب في تأويل التغني بالقرآن وكراهة بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والمسرلين في الشهوات ، ولذلك حرم المتشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقا مع العلم بأن مزامير نبي الله داود أزلت لاجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد اقبال الطير على سماع المغنين الحسن الصوت كالبلبل والهزار في كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماع الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند سماع الغناء . وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها ، ولا يوجد في كتب أنبياء بني اسرائيل شيء من الصلوات =

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب

= والتسبيح للرب والثناء عليه كزمير داود التي لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذي طرأ على غيرها وجاء في آخرها الأمر بذلك وإتقا كثيراً ما رأينا بعض أدباء النصارى يرغبون في سماع القرآن من القراء المجردين ويعترفون بقوة تأثيره في القلوب ، وفي الصحيح أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر (رض) وينمونه من الصلاة في المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في بيته لما رأوا من إقبال الناس ولاسيما النساء والاولاد المدركين عليه وتأثير قراءته في أنفسهم

وقد أدرك بعض علماء الافرنج ما كان لتلاوة رسول الله (ص) للقرآن من التأثير العظيم في جذب العرب الى الاسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الانبياء في هداية الناس وإتقا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التي تم بها فائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث من فتح الباري فقد جمع ما قاله جميع العلماء في تأويل التنقي في بيتين من نظمه ثم قفى عليهما بملخص أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله :

تغن بالقرآن حسن به الصوت حزينا جاهرا رنم
واستغن عن كتب الألى طالباً غنى يد والنفس ثم الزم

(ثم قال) وسيأتي ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن في ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل الى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لان للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالألحان، وحكاها أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنبلي عن جماعة من اهل العلم وحكى ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنجي والنزالي من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعي ونقله الطحاوي عن الحنفية ، وقال الفوراني من الشافعية في الابانة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم تخل بثيء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووي في التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولفظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالمطيط فان خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال واما القراءة بالألحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهته وقال في موضع آخر لا بأس به فقال اصحابه ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فان لم يخرج بالألحان عن المنهج القويم جاز والا حرم

وحكى الماوردي عن الشافعي ان القراءة بالألحان اذا انتهت إلى إخراج بعض الالفاظ عن مخارجها

الغناء ، وقد نص الائمة رحمهم الله على النهي عنه ، فأما ان خرج به الى التمثيط الفاحش الذي يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا فقد اتفق العلماء على تحريمه والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الاخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ثم قال ولنا ما ذكرناه لانهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد، ورواه عسل بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

﴿ اغتباط صاحب القرآن ﴾ (١)

حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

انفرد به البخاري من هذا الوجه واتفقا على اخراجه من رواية سفيان عن الزهري ثم قال البخاري ثنا علي بن ابراهيم ثنا روح ثنا شعبة عن سليمان قال سمعت ذكوان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو حرم ، وكذا حكى ابن حمدان الحنبلي في الزاوية وقال الغزالي والبندنجي وصاحب النخبة من الحنفية: إن لم يفرط في التمثيط الذي يشوش النظم استحب والا فلا

واغرب الرافي فحكي عن أمالي السرخسي انه لا يضر التمثيط مطلقا وحكاه ابن حمدان رواية عن الخنابلة وهذا شذوذ لا يرجع عليه، والذي يتحصل من الأدلة ان حسن الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة احد رواة الحديث

وقد اخرج ذلك عنه ابو داود باسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه ان تراعى فيه قوائين النغم فان الحسن الصوت يزاد حسناً بذلك، وإن خرج عنها اثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الاداء المعبر عند اهل القراءات، فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالانغام لان الغالب على من راعى الانغام ان لا يراعى الاداء فان وجد من يراعيها معاً فلا شك في انه ارجح من غيره لانه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجنب الممنوع من حرمة الاداء والله اعلم اهـ (١) في البخاري زيادة باب كما سبق في أمثاله

يتلوه آناه الليل والنهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل،
ورجل آناه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان
فعملت مثل ما يعمل »

ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة وهي حسن الحال فينبغي أن يكون
شديدا لا غبطا بما هو فيه، ويستحب تغييطه بذلك، يقال غبطه غبطة بالكسر غبطا إذا تمنى
مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه
سواء حصلت لذلك الحاسد أولا، وهذا مذموم شرعا مهلك، وهو أول معاصي إبليس
حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من السكرامة والاحترام والاعظام. والحسد الشرعي الممدوح
هو تمنى حال مثل ذلك الذي هو على حالة سارة، ولهذا قال عليه السلام « لا حسد إلا في
اثنين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناه الليل والنهار والنعمة المتعدية وهي
اتفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا
مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

وقد روي نحو هذا من وجه آخر فقال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي
بخط يده: كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع فكان في كتابه حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن
واقد عن سليم بن موسى عن كثير بن مرة عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله (ص) قال
« لا تنافس بينكم إلا في اثنين: رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناه الليل والنهار،
ويقيم ما فيه فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به،
ورجل أعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى
فلانا فأصدق به » وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد: ثنا عبد الله بن نمير ثنا عبادة بن مسلم
وحدثني يونس بن حباب عن سعيد أبي البختري الطائي عن أبي كبشة قال سمعت رسول
الله (ص) يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدنكم حديثا فاحفظوه، فما الثلاث التي أقسم
عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله بها
عزاً، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر - وأما الذي أحدنكم حديثا فاحفظوه
فانه قال - إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم

فيه حقه - قال - فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت بعمل فلان - قال - هي نيته فوزرها فيه سواء »

وقال أيضا حدثنا وكيع ثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الأنماري قال قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الامة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال قال رسول الله - فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخطئ فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال قال رسول الله - فهما في الوزر سواء » اسناد صحيح والله الحمد والمنة

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ (١)

حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي (ص) قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال : قال النبي (ص) « ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبي عبد الرحمن من

غير ذكر سعد بن عبيدة، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه، وهذا المقام مما حكم لسفيان الثوري فيه على شعبة . وخطأ بNDAR يحيى بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن، وقال رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه بإسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح . وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الاسناد طول لولا الملا لذكرناه . وفيما ذكر كفاية وارشاد إلى ما ترك ، والله أعلم

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسول وهم الكمل في أنفسهم المكملين لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) في أصح قول المفسرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الاخيار الابرار أن يتكمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وكما قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالاذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحاً وقال قولاً صالحاً أيضاً فلا أحد أحسن حالاً من هذا . وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي البكوفي أحد أئمة الاسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه وآتاه ما طلبه ورامه آمين

قال البخاري حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبي (ص) امرأة فقالت انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال « مالي في النساء من حاجة » فقال رجل زوجنيها ؟ قال « أعطها ثوباً » قال لا أجد قال « أعطها ولو خاتماً من حديد » فاعتل له فقال « مامك من القرآن ؟ » قال كذا وكذا فقال « قد زوجتكها بما معك من القرآن » وهذا

الحديث متفق على صحته أخرجه من طرق عديدة، والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن وأمره النبي (ص) أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك. وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يجعل صداقا؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؟ وهل هذا كان خاصاً بذلك الرجل؟ وما معنى قوله عليه السلام «زوجتكها بما معك من القرآن» أي بسبب ما معك كما قاله أحمد بن حنبل: نكرمك بذلك أو بعوض ما معك، وهذا أقوى لقوله في صحيح مسلم «فعلها» وهذا هو الذي أرادته البخاري ههنا وتحرير باقي الخلاف المذكور في باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

﴿القراءة عن ظهر قلب﴾ (١)

انما أورد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم بن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال الرجل «فما معك من القرآن؟» قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور عدها قال «أتقرأهن عن ظهر قلب؟» قال نعم قال «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشمرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم. ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لانه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الامام العلم ابو عبيد رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن) حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليم ابن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة» وهذا الاسناد فيه ضعف فان معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطاربلسي وأياً ما كان فهو ضعيف. وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديموا النظر في

(١) في البخاري زيادة كلمة باب كنفائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد فقد صار معلوماً باطراد

المصحف . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضا عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه اخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم . اسناد صحيح ، وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال إذا رجع أحدكم من سوقه فليشر المصحف وليقرأ . وقال الاعمش عن خيثمة دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لثلاث عطل المصحف فلا يقرأ منه (١) ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكرون منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فلا يستثبات أولى والرجوع الى المصحف أثبت من افواه الرجال .

فأما تلقي القرآن فمن فم الملقن أحسن لأن الكتابة لا تدل على الاداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه وإذا أدى الحال الى هذا منع منه اذا وجد شيئا يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عما يلقن فلا يكاف الله نفسا إلا ومها ، فيجوز عند الضرورة مالا يجوز عند الرفاهية ، فاذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لفته ولفظه ، فقد قال الامام أبو عبيد حدثني هشام بن اسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب بن الاوزاعي أن رجلا صحبهم في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه الا رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل » وحدثنا حنص بن ابي غياث عن الشيباني عن بكير بن الاخدس قال كان يقال اذا قرأ الاعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل .

وقال بعض العلماء المدار في هذه المسئلة على الخشوع فان كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل . فان استويا فالقراءة نظراً أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر الى المصحف . قال الشيخ أبو زكريا النواوي رحمه الله في التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلمهم محمول على هذا التفصيل

(١) وتدل أيضا على ما كان من كثرة المصاحف عند الصحابة (رض) وهو ما يجمله كثير من الناس

تنبيه

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف فقيه نظر (١) لأنها قضية عين فيحتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقة في حق من يحسن ومن لا يحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أُمي لا يدري الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده . الثاني أن سياق الحديث إنما هو لأجل استنبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب يمكنه تعامها لزوجه ، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ استذكار القرآن وتعاهده ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف أنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة . إن عاهد عليها أمسكها . وإن أطلقها ذهبت »

هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها وإن أطلق عقلها ذهبت فكذلك صاحب القرآن » أخرجه ، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به

حدثنا محمد بن عرعة (٢) ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال قال النبي

(١) هذه الشرطية لا وجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة إلى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله . وحفظ القرآن أمر عظيم وله مزايا من أعظمها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الأوقات والحالات التي لا يمكن فيها من نظر المصحف أو لا يجده فيها وهي كثيرة (٢) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري . ولولا وضعنا له في أول السطر لظن الكثيرون أنه لعبد الرزاق

صلى الله عليه وسلم «بئس ما لا حدم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النعم»

تابعه بشر هو ابن محمد السخيتاني عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله. وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به، وسنأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن منصور به، والنسائي من رواية ابن عينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعاً في رواية هؤلاء كلهم وقد رواه النسائي عن قتيبة عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله موقوفاً وهذا غريب. وفي مسند أبي يعلى «فإنما هو نسي» بالتخفيف وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به. ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جنادة عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده هو أشد تفصيلاً من الأبل في عقولها» وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبد الله بن براد الأشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

وقال الإمام أحمد ثنا علي بن إسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول قال رسول الله (ص) «تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به، فوالذي نفسي بيده هو أشد تفصيلاً من الخنازير في العقل»

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لثلا يعرضه حافظه للنسيان فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه، فإنه قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد بن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل» وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد

ابن فضيل عن يزيد بن أبي زياد كما رواه خالد بن عبد الله، وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن
 العلاء عن ابن ادريس عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عباد عن النبي
 صلى الله عليه وسلم بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل المبهمة، وكذا رواه أبو بكر بن
 عباس عن يزيد بن أبي زياد، وقد رواه سعيد بن زيد ورواه في اسناده، ورواه كيع عن اصحابه
 عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي (ص) رسلا، وقد رواه الامام أحمد في مسند عبادة بن
 الصامت فقال: ثنا عبد الصمد ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن
 عبادة بن الصامت قال قال رسول الله (ص) « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً
 لا يهلك منها إلا عدله، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم »
 وكذا رواه أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد فقيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب
 مقبول والله أعلم، لا سيما ان كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن
 ابن جريج قال حدثت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « عرضت علي أجور
 أمتي حتى القذاة والبرة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر
 ذنباً أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيتها رجل فَنَسِيها » قال ابن جريج وحدثت
 عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله (ص) « من أكبر ذنوب توافي به أمتي يوم القيامة
 سورة من كتاب الله كانت مع احدهم فَنَسِيها » وقد روى أبو داود والترمذي وأبو يعلى
 والبخاري وغيرهم من حديث ابن أبي داود عن ابن جريج عن المطالب بن عبد الله بن حنطب عن
 أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل
 من المسجد، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنباً اعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيتها
 رجل ثم نسيها » قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وذاكرت به البخاري فاستغربه
 وحكى الوالي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي انه انكر سماع المطالب من أنس بن
 مالك (قات) وقد رواه محمد بن يزيد الادمي عن ابن أبي داود عن ابن جريج عن الزهري
 عن أنس عن النبي (ص) به فالله أعلم .

وقد ادخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى (ومن اعرض عن ذكرى فإن
 له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟

قال كذلك اتتكم آياتنا ففسيتها وكذلك اليوم تنسى) وهذا الذي قاله هذا وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فان الاعراض عن تلاوة القرآن وتعليمه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعااهدوا القرآن » وفي لفظ « استذكروا القرآن فانه اشد تفصيلا من صدور الرجال من النعم » التفصي التخلص يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها ، ومنه تفصى النوى من التمرة اذا تخلص منها أي ان القرآن اشد تفلتا من الصدور من النعم اذا ارسلت من غير عقل .

وقال ابو عبيد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله - يعني ابن مسعود - لاني لأميت القارىء ان أراه سميئا نسيا للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز ابن أبي داود قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ما من احد تعلم القرآن فذسيه إلا بذنب يحدثه لان الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وان نسيان القرآن من أعظم المصائب . ولهذا قال اسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل ان يمر عليه اربعون يوما لا يقرأ فيها القرآن كما انه يكره له ان يقرأه في اقل من ثلاثة ايام كما سيأتي هذا حيث يذكره البخاري بعد هذا وكان الاليق ان يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج أنا شعبة أنا ابو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله (ص) يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح ، وهذا الحديث قد خرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبي إياس وهو معاوية بن قره به ، وهذا أيضا له تعلق بما تقدم من تعااهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء اذا لم يات به القارىء في الطريق ، وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء انه كان يقرأ في الطريق ، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه أذن في ذلك ، وعن الامام مالك انه كره ذلك كما قال ابن أبي داود حدثني أبو الربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلي من آخر الليل فخرج الى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال ما اعلم القراءة تكون في الطريق ، وقال الشعبي تسكره قراءة القرآن في ثلاثة

مواضع في الحمام وفي الحشوش وفي بيت الرحي وهي تدور، وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف أنها لا تكره وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي وغيرهم، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب أنه كره ذلك ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعي ويحكي عن أبي حنيفة رحمه الله أن القراءة في الحمام تكره، وأما القراءة في الحش ففكراتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهباً. وأما القراءة في بيت الرحي وهي تدور فثلاً لا يعلم غير القرآن عليه والحق يعلم ولا يعلم والله أعلم

تعلم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفي رسول الله (ص) وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم في عهد النبي (ص) فقلت له وما المحكم؟ قال المفصل انفراد بأخراجه البخاري، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سنه حين موت رسول الله (ص) وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره اذ ذاك عشر سنين

وقد روى البخاري أنه قال توفي رسول الله (ص) وأنا مختون وكانوا لا يختنون حتى يجتلم فيجتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعاً بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من السكسر والله أعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحباً أو واجباً لأن الصبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف ما يصل به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيراً وأشد علوقاً بخاطره وأرسخ وأثبت كما هو المعبود من حال الناس وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلاً للعب ثم توفر همته على القراءة ثلاً يلزم أولاً بالقراءة فيملأها ويعدل عنها إلى اللعب، وكره بعضهم تعليمه القرآن

وهو لا يعقل ما يقال له ولكن يترك حتى اذا عقل وميز علم قليلا قليلا بحسب همته ونهيمته وحفظه وجودة ذهنه . واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقي خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا؟

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيى ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبي (ص) رجلا يقرأ في المسجد فقال « رحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا » انقرد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى بن يونس عن هشام وقال « اسقطتم من سورة كذا وكذا » انقرد به أيضا ، تابعه علي بن مسهر وعبد الله عن هشام وقد اسندهما البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة .

حدثنا احمد بن أبي رجاء ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله (ص) رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال « يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا » ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة (١)

(١) يستدل الفقهاء بمثل هذا على جواز النسيان على النبي ﷺ ولكن قيدوه إجماعا بما ليس سبيله التبليغ فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتمانها ونتيجتها واحدة وان كان حكمها في الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير تقصير أمراً طبيعياً لا يؤاخذ صاحبه عليه . ولكن الله عصم رسوله من نسيان ما أمرهم بتبليغه لئلا تبطل به حكمة الرسالة فيه ، والراجح في قوله تعالى (فلا تنسى إلا ما شاء الله) ان الاستثناء فيه منقطع لتأكيد النبي بمعنى أن النسيان لما نقرئك إياه ممتنع لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا في أي حال من الاحوال لكن إذا أراد الله وحده أن ينسبك شيئا فلا راد لمشيئته . وهذا لا يدل على وقوع هذه المشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم (ص) في خطاب قومه المشركين (ولا أخاف ماتشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا) الآية وفي معناه قول الفراء هو للتبرك وليس هنالك شيء استثنى . وقيل المراد بالنسيان المنفي العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور في الحديث موضوعه شيء كان وقع التبليغ به ، والذي أراه أنه كان نسياناً عارضاً بحيث لو قرأ (ص) السورة بعده لقرأها تامة ، وإلا كانت الرواية مردودة وان صح سندها عند البخاري فإنه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة الا الظاهر وهو كاف في قبول روايتهم الا إذا عارضها مثل هذا المانم ، وهو قد انقرد برواية هذا الحديث كما رأيت . ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(الحديث الثاني) حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسي» ورواه مسلم والنسائي من حديث منصور به وقد تقدم . وفي مسند أبي يعلى «إنما هو نسي» بالتخفيف هذا لفظه . وفي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفي حديث ابن مسعود ادب في التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا فان النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه اسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المنفي الى ذلك ، فاما النسيان نفسه فليس بفعله ، ولهذا قال بل هو نسي مبني لما لم يسم فاعله ، وأدب أيضا في ترك اضافة ذلك الى الله تعالى وقد اسند النسيان الى العبد في قوله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت) وهو والله اعلم من باب المجاز السائغ بذكر المسبب وارادة السبب لان النسيان انما يكون عن سبب قد يكون ذنبا كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالاذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فاذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل المذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى والله أعلم

﴿ من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني ابراهيم عن علقمة وعبد الرحمن ابن يزيد عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رسول الله (ص) «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبنا الصحيح والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبي مسعود عتبة بن عمرو الانصاري البصري (الحديث الثاني) ما رواه من حديث الزهري عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القاري كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ (سورة الرقآن) وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي (١)

(١) قوله: وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعني وذكر البخاري الحديث بطوله

(الحديث الثالث) مارواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله (ص) قارئاً يقرأ من الليل في المسجد فقال «رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطهن من سورة كذا وكذا»

وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمي الجهرة من الوادي ويقول هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس عن عثمان أنه قال إذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله (ص) «اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» ولا شك أن هذا أحوط وأولى، ولكن قد صحت الأحاديث بالرخصة في الآخر وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق

﴿ الترتيل في القراءة ﴾

وقوله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلاً - وقوله - وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما يكره أن يهذ كهد الشعر . (يفرق فيها) يفصل ، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه . حدثنا أبو النعمان ثنا مهدي بن ميمون ثنا واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المصطلح البارحة فقال هذا كهد الشعر أنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرآن اللاني كان يقرأ بهن النبي (ص) ثمان عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم (١) ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن مهدي بن ميمون عن واصل وهو ابن حبان الأحذب عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به

وقال الامام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم ابن مخراق عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا : كنت أقوم مع النبي (ص) ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة

(١) ويرسمها بعضهم هنا «حاميم» وبمعني بالسورتين المضافتين الى المفصل هنا الدخان والتي تليها ويقال انها كانت كذلك في مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه .

(الحديث الثاني) ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله (ص) إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ،

وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه، وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيب القراءة والترسل فيها من غير هذمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكير قال الله تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب)

وقال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي (ص) قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله فكانه عجل فقال عبد الله فذاك أبي وأمي ، رتل فانه زين القرآن . قال وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن . وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن أبي حمزة قال قلت لابن عباس إني سريع القراءة واني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن في حديث حماد أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمع هذمة ثم قال البخاري رحمه الله

﴿ مد القراءة ﴾

حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم الازدي ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي (ص) فقال كان يمد مداً . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي (ص) ؟

فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بمد يسم الله (١) ومد بالرحمن ومد بالرحيم
انفرد به البخارى من هذا الوجه . وفي معناه الحديث الذى رواه الامام أبو عبيد ثنا احمد
ابن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك
عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله (ص) مفسرة حرفاً حرفاً . وهكذا رواه الامام أحمد
ابن حنبل عن يحيى بن اسحاق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي والترمذى والنسائي
كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به وقال الترمذى حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد وحدثنا يحيى بن سعيد الاموى عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن
أم سلمة قالت كان رسول الله (ص) يقطع قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم) * الحمد لله رب
العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه ابو داود من حديث ابن جريج
وقال الترمذى غريب وليس اسناده بم متصل يعني ان عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم
يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم والله تعالى اعلم

الترجيع

حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل
قال رأيت النبي (ص) وهو على ناقته او جملة تسير به وهو يقرأ سورة الفتح او من سورة
الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المنفق
عليه ، وفيه ان ذلك كان يوم الفتح . واما الترجيع فهو التريد في الصوت كما جاء أيضاً في
البخارى انه جعل يقول ااا وكان ذلك صدر من حركة الدابة تحته فدل على جواز التسلاوة
عليه وإن افضى إلى ذلك . ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك مغتفر
للحاجة كما يصلي على الدابة حيث توجهت به مع إمكان تأخير ذلك والصلاة الى القبلة والله اعلم

حسن الصوت بالقراءة

حدثنا محمد بن خاف أبو بكر حدثنا يحيى الجاني ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده
أبي بردة عن أبي موسى ان رسول الله (ص) قال « يا أبا موسى لقد أتيت مزماراً من مزمار آل اود »

(١) أي لام لفظ الجلالة والمد في أساء البسملة هو الذي يسميه القراء المد الطبيعي الذي لا يتحقق
حرف المد بدونه وحروف المدهي الالف والواو والياء الساكنة

وهكذا رواه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن الكندي عن أبي يحيى الحماني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن وقال حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الروت عند قول البخاري من لم يتغن بالقرآن وذكرت هناك احكاماً اذنى عن إعادتها ههنا والله تعالى أعلم

﴿ من أحب أن يسمع القراءة من غيره ﴾

حدثنا نصر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي النبي (ص) « اقرأ علي القرآن » قلت اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « انى أحب ان أسمع من غيري »

وقد رواه الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش ، وله طرق يطول بسطها ، وقد تقدم فيما رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى ان رسول الله (ص) قال له « يا أبا موسى لو رأيته لو رأيته وانا أستمع لقراءتك البارحة » فقال أما والله لو أعلم انك تستمع قراءتي لحبستها لك تحبيراً . وقال الزهري عن أبي سلمة كان عمر اذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده ، وقال ابو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت انى لم أسمع صوت صبح قط ولا بربط قط ولا شيئاً فط احسن من صوته .

﴿ قول المقرئ للقارئ حسبك ﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال قال لي رسول الله (ص) « اقرأ علي - فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال - « نعم » فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت الى هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) قال « حسبك الان » فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان ، أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الاعمش به ، ووجه الدلالة ظاهر وكذا الحديث الآخر « اقرءوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا »

﴿ في كم يقرأ القرآن ؟ ﴾

وقول الله تعالى (فاقراءوا ما تيسر منه)

حدثنا علي حدثنا سفيان قال قال لي ابن شبرمة نظرت كم يكفى الرجل من القرآن ؟ فلم أجده سورة أقل من ثلاث آيات، فقلت لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات. قال سفيان (١) أخبرنا منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره علقمة عن أبي مسعود فلقيته (٢) وهو يطوف بالبيت فذكر النبي ﷺ أن « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة عن أبي مسعود وهو صحيح لأن عبد الرحمن سمعه أولاً من علقمة ثم لقي أبا مسعود وهو يطوف فسمعه منه وعليّ هذا هو ابن المديني وشيخه سفيان بن عيينة وما قاله عبد الله ابن الكوفة فقيه الكوفة في زمانه استنباط حسن

وقد جاء في حديث في السنن « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب وثلاث آيات » ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصح وأشهر وأخص ولكن وجه مناسبه للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر . والله أعلم (٣) والحديث الثاني أظهر في المناسبة وهو قوله حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو قال : انكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلمها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يظأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا (٤) منذ أتيناها . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ

(١) هذا لفظ رواية أبي ذر للبخاري وفيها اختصار وسائر الروايات : قال علي حدثنا سفيان الخ (٢) في نسخة البخاري التي شرح عليها الحافظ والقسطلاني : ولقيته الخ يعني أن عبد الرحمن كان سمع هذا الحديث من علقمة بن قيس عن أبي مسعود البصري (رض) ثم لقي أبا مسعود وهو بطوف فآخبره به (٣) قال الحافظ في الرد على المؤلف في قوله هذا : وقد خفيت مناسبة حديث أبي مسعود بالترجمة على ابن كثير والذي يظهر أنها من جهة أن الآية المترجم بها تناسب ما استدلل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة اه . يقول محمد رشيد رضا صاحب هذه التعليقات يريد البخاري أن آية المزمل ترد على ابن شبرمة في قوله لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات يعني في الصلاة أو في قيام الليل، وكذا حديث أبي مسعود المرفوع الصريح في الاكتفاء بالآيتين وهما آخر سورة البقرة

(٤) وفي رواية ولم يغش من الغشيان . وهو كناية عن عدم مضاجعتها والكشف الستر والجانب

فقال « القتي به » فلقمته بعد فقال « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم قال « كيف تختم ؟ » قال كل ليلة ، قال « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر » قال قلت لابي أطيعك أكثر من ذلك قال « صم ثلاثة أيام في الجمعة » قلت أطيعك أكثر من ذلك قال « أفطر يومين وصم يوما » قلت أطيعك أكثر من ذلك قال « صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة » فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك اني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرأ يمرضه بالنهار ليكون أخف عليه بالليل ، واذا أراد أن يتقوى أفطرا يوما وأحصى وصام مثلن كراهية أن يترك شيئا فارق عليه النبي ﷺ وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع

وقد رواه في الصوم والمسائي أيضا عن بنار عن غندر عن شعبة عن مغيرة ، والنسائي

من حديث حصين كلاهما عن مجاهد به

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي هريرة عن أبي سلمة قال وأحسبني سمعت أبا من أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال قال النبي ﷺ « اقرأ القرآن في شهر » قلت لابي أجد قوة قال « فأقرأه في سبع ولا ترد على ذلك » فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع ، وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد : ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن صمصمة أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال « في كل خمس عشرة » قال لابي أجدني أقوى من ذلك قال « فقي كل جمعة » وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال سمعت عبد الرحمن ابن عبد الله بن م- مود يقول كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة الى الجمعة . وعن حجاج عن شعبة عن أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان وكان تميم الداري يختمه في كل سبع وحدثنا هشيم عن الأعمش عن إبراهيم قال كان الأسود يختم القرآن في كل ست وكان عاتمة يختمه في كل خمس ، فلو تركنا ومجرد هذا لكان الامر في ذلك جليا ، ولكن دلت أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك كما رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا حسن ثنا

ابن لهيعة حدثنا حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الانصاري انه قال يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم » قال فكان يقرؤه حتى توفي . وهذا اسناد جيد قوي حسن فان حسن بن موسى الاشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لهيعة ، إنما يخشى من تديسه أو سوء حفظه ، وقد صرح ههنا بالسمع ، وهو من أئمة العلماء بالديار المصرية في زمانه ، وشيخه حبان بن واسع بن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم والصحابي لم يخرج له أحد من أهل الكتب الستة وهذا على شرط كثير منهم والله أعلم .

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن المنذر الانصاري انه قال يارسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم ان استطعت » قال فكان يقرؤه كذلك حتى توفي

(حديث آخر) قال أبو عبيد ثنا يزيد عن همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لا تنفقه في قراءة في أقل من ثلاث » وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة من حديث قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح (حديث آخر) قال أبو عبيد ثنا يوسف بن العرف عن الطيب بن سلمان قال حدثنا عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث . هذا حديث غريب جداً وفيه ضعف فان الطيب بن سلمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذلك المشهور والله أعلم

وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث كما هو مذهب أبي عبيد واسحاق بن راهويه وغيرهما من الخلف أيضاً

قال أبو عبيد ثنا يزيد عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبي العالية عن معاذ بن جبل انه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ، صحيح

وحدثنا يزيد عن سفيان عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة قال عبد الله : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز وحدثنا حجاج عن شعبة عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله ، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان عن عبد الله بن مسعود عن أبيه انه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث . اسناد صحيح

فصل

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال أبو عبيد رحمه الله حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خضيفة عن السائب بن يزيد أن رجلا سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه فقال نعم قال : قلت لأعابن الليلة على الحजर فقامت فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزعمني فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه فتأخرت عنه فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا اسناد صحيح ثم قال : ثنا هشيم أنا منصور عن ابن سيرين قال قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية حيث دخلوا على عثمان ليقتلوه : ان تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحبي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن

وقال أيضا حدثنا أبو معاوية عن عاصم بن سليمان عن ابن سيرين أن نعيم الداري قرأ القرآن في ركعة . حدثنا حجاج عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال قرأت القرآن في ركعة في البيت ، يعني الركعة .

وحدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة أنه قرأ القرآن في ليلة : طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بالمئتين ، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنده فقرأ بقية القرآن . وهذه كلها أسانيد صحيحة . ومن أغرب ما رواه أبو عبيد رحمه الله حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر أن سليم بن عتر التجبي كان يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات ويجمع ثلاث مرات ، قال فلما مات قالت امرأته رحمك الله إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك ، قالوا وكيف ذلك ؟ قالت كان يقوم من الليل فيختم بالقرآن ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يحتم ثم يلم بأهله ، ثم يغتسل ويعود فيقرأ حتى يحتم ، ثم يلم بأهله ثم يغتسل ويخرج إلى صلاة الصبح . قلت كان سليم بن عتر تابعيا جليلا ثقة نبيلًا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وقاصها ، قال

أبو حاتم روى عن أبي الدرداء وعنه ابن زحرثم قال حدثني محمد بن عوز عن أبي صالح كاتب الليث حدثني حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة قال كان سليم بن عتر من خير التابعين - وذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه كان يحتم القرآن فيما بين المغرب والعشاء، وعن منصور قال كان علي الأزدي يحتم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان (١) وعن إبراهيم بن سعد قال كان أبي يحتمي فما يحل حبوته حتى يحتم القرآن. قلت وروي عن منصور بن زاذان أنه كان يحتم فيما بين الظهر والعصر ويحتم أخرى فيما بين المغرب والعشاء وكانوا يؤخرونها قليلا، وعن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان يحتم في اليوم واليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة. وعن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه كان يحتم في الليلة ويومها من رمضان ختمة.

ومن غريب هذا وبديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول كان ابن الكاتب يحتم بالنهار أربع ختمات، وبالليل أربع ختمات وهذا نادر جدا، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنه ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرءونه مع هذه السرعة والله سبحانه وتعالى أعلم قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه (البيان) (٢) بعد ذكر طرف مما تقدم: والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرؤه وكذا من كان مشغولا بنشر العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما

(١) هذا محمول على أنه كان يقرأ آخر القرآن في هذا الوقت فيتم به ما بدأه في عامة يومه وليتبه السابقة، فمن المعلوم بالضرورة أن ما بين المغرب والعشاء لا يكفي لقراءة ربع ختمة إلا بالهزيمة المنتهي عنها لمنافاتها التدبر كما تقدم في موضعه. إلا أن تكون القراءة روحية لالسانية وللصوفية غرائب يتناقلونها في هذه الكرامات الروحية حتى ذكر الشعرا في عن بعضهم قراءة القرآن مئات الألوف وألوف الألوف: وناهيك بخرافاته وأكثر ما تيسر لكاتب هذه التعليقات في أيام الفراغ أنه كان يقرأ في بعض أيام رمضان ختمة كاملة والذي تربينا عليه منذ سن التمييز أننا كنا نتدارس القرآن مع كبير أهل بيتنا السيد أحمد أبو الكمال عم والذي فقرأ معه كل يوم من أيام رمضان نصف ختمة كل واحد منا يقرأ ربع حزب بالتجويد المعتدل (٢) كذا وتقدم في مبحث القراءة في المصحف أنه التبيان

هو مرصده ، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج الى حد الملل والهزيمة . ثم قال البخاري رحمه الله

﴿ البكاء عند قراءة القرآن ﴾

وأورد فيه من رواية لاعمش عن ابراهيم بن عبيدة عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال قال رسول الله ﷺ « اقرأ علي » قلت اقرأ عليك وعليك انزل ؟ قال « إني اشتغى أن أسمع من غيري » قال فقرأت النساء حتى اذا بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟) قال لي « كف أو أمسك » فاذا عيناه تذرفان وهذا من المتفق عليه كما تقدم وكما سيأتي ان شاء الله

﴿ من رأى بقراءة القرآن أو تأكل به أو تفر به ﴾

حدثنا محمد بن كثير أنا سفياز ثنا لاعمش عن خيشمة عن سويد بن غفلة عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام يقولون من خير قول البرية ، يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية ، لا يجاوز ايمانهم حناجرهم ، فأينما اقيمتهم فاقتلهم ، فان قتلهم أجزأ لمن قتلهم يوم القيامة » وقد روى في موضعين آخرين ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن لاعمش به

حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئا ، وينظر في القدح فلا يرى شيئا ، وينظر في الريش فلا يرى شيئا ، ويتمارى في الفوق » ورواه في موضع آخر ومسلم أيضا والنسائي من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة به

حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به

كلا ترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالنمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالخنزلة طعمها مر - أو خبيث - وريحها مر »
ورواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به

ومضمون هذه الاحاديث التحذير من المراءة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب كما جاء في الحديث « واعلم انك لن تتقرب الى الله بأعظم مما خرج منه » يعني القرآن . والمذكورون في حديث علي وأبي سعيد الخوارج وهم الذين لا يجاوز ايمانهم حناجرهم وقد قال في الرواية الاخرى « يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » ومع هذا أمر بقتلهم لانهم مراءون في أعمالهم في نفس الامر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح فكانوا في ذلك كالمدمومين في قوله (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ؟ والله لا يهدي القوم الظالمين) وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم كما سيأتي تفصيله في موضعه ان شاء الله تعالى .

والمنافق المشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو المرائي بتلاوته كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) ثم قال البخاري

﴿ اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ﴾

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضيل عارم (١) ثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن جندب ابن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اقرءوا القرآن ما ائتلفت قلوبكم فاذا اختلفتم فقوموا عنه » حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلاس ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سلام بن أبي مطيع عن أبي عمران الجوني عن جندب قال قال رسول الله ﷺ اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه

(١) كذا في النسخة وفي نسخة ابن حجر والقسطلاني وغيرهما ذكر أبي النعمان يكنيته فقط واسمه محمد بن الفضل السدوسي ويلقب بعارم ولم يكن عارما . وابن كثير يكثر فيما ينقله من صحيح البخاري في هذا الكتاب من مثل هذه الزيادة للإيضاح ويحتمل أن يكون لبعضها رواية عنه

قلوبكم فاذا اختلفتم فتوموا » تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان . وقال غندر عن شعبة عن أبي عمران قال سمعت جندبا قوله (١) وقال ابن عون عن أبي عمران عن عبدالله بن الصامت عن عمر قوله ، وجندب أكثر وأصح

وقد رواه في موضع آخر ومسلم كلاهما عن اسحاق بن منصور عن عبدالصمد عن همام عن أبي عمران به ، ومسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى عن الحارث بن عبيد أبي قدامة عن أبي عمران ورواه مسلم أيضاً عن احمد بن سعيد بن حبان بن هلال عن أبان العطار عن أبي عمران به مرفوعاً ، وقد حكى البخاري أن أبانا وحماد بن سلمة لم يرفعا فالله أعلم ، ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن ابراهيم عن هارون بن موسى الأثوري النحوي عن أبي عمران به . ورواه النسائي أيضاً من طرق عن سفيان عن الحجاج بن قرافصة عن أبي عمران به مرفوعاً ، وفي رواية عن هارون بن زيد بن أبي الزرقاء عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبي عمران عن جندب موقوفاً . ورواه عن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم عن اسحاق بن الأزرق عن عبدالله بن عزن عن أبي عمران عن عبدالله بن الصامت عن عمر قوله . قال أبو بكر بن أبي داود لم يخطيء ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب . ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن ابراهيم وسعيد ابن منصور قالوا : ثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران عن جندب مرفوعاً .

فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار . والصحيح منها ما أرشد اليه شيخ هذه الصناعة أبو عبدالله البخاري من الأكثر والأصح أنه عن جندب ابن عبد الله مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ

ومعنى الحديث أنه عليه السلام أرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة له لا في حال شغلها وملاها فانه لا يحصل المقصود من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه السلام « اكفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا » وقال « أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه - وفي اللفظ الآخر - أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »

(١) قوله : قوله يعني به حديث وقع أنه من قوله غير مرفوع الى النبي (ص)

ثم قال البخاري: ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة عن عبد الله - هو ابن مسعود - أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع من النبي صلى الله عليه وسلم خلفاء، فأخذت بيده فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «كلا كما عسى فاقراً - أكبر علي قال - فإن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عز وجل» (١)

وأخرجه الذسائي من رواية شعبة به. وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والمنازعة في ذلك والمراء فيه كما تقدم في النهي عن ذلك والله أعلم. وقريب من هذا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسنده أبيه ثنا أبو محمد سعيد ابن محمد الجرمي ثنا يحيى بن سعيد الأموي عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبیش قال قال عبد الله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن فقلنا خمس وثلاثون آية، ست وثلاثون آية، قال فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً يناجيه فقلنا له اختلفنا في القراءة فاحمر وجه رسول الله ﷺ فقال علي: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تقرأوا كما علمتم. وهذا (٢) آخر ما أورده البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن ولله الحمد والمنة

كتاب الجامع لأحاديث شتى

تمت بتلاوة القرآن وفوائده وفضل أهله

(فصل) قال أحمد ثنا معاوية بن هشام ثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال قال نبي الله ﷺ «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ وارق واصعد، فيقرأ أو يصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه»

وقال أحمد ثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثني بشير بن أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس التجيبي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يكون خائف من بعد السنين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات

(١) الذي في نسخ البخاري «فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم» أي فأهلكهم الله. كما قال القسطلاني أو المعنى فأهلكهم الاختلاف. قال الحافظ في شرحه من الفتح: وفي رواية المستطلي «فأهلكوا» بضم أوله ولم يذكر ما أورده ابن كثير هنا (٢) أي هذا الباب الذي وضعنا الحاشية الأولى هنا آخر كلمة منه

فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يحدو تراقيمهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر » قال بشير فقلت للوليد ماهؤلاء الثلاثة ؟ قال المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل به ، والمؤمن يؤمن به ،

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي الخطاب عن أبي سعيد أنه قال إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى الخلة فقال « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلا فاجرا يقرأ كتاب الله لا يرعوي إلى شيء منه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن عمر بن هياج الكوفي ثنا الحسين بن عبد الأعلى ثنا محمد بن الحسن الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وقال رسول الله ﷺ « إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ثم قال تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الامام أحمد ثنا أبو عبيدة الحداد حدثني عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة حدثني أبي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ثنا خالد بن خدّاش ثنا جعفر بن سلمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعاهم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن عباد المسكي ثنا حاتم بن اسماعيل عن شريك عن الاعمش عن زيد بن أبان عن الحسن بن أنس قال قال رسول الله ﷺ « القرآن غني لا فقر بعده ولا غنى دونه » وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق ثنا عبد الله بن الحر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » ابن الحر ضعيف

وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا بكر بن سواده عن وفاء الخولاني عن أنس بن مالك قال بينما نحن نقرأ فينا العربي والعجمي والاسود والاييض إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « أنتم في خير تقرأون كتاب الله وفيكم رسول الله وسيأتي على الناس زمان يتقفون كما يتقف القدح يتعجلون أجورهم ولا يتأجلونها »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الله بن الجهم ثنا عمرو بن أبي قيس عن عبد ربه بن عبد الله عن عمر بن نهران عن الحسن عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره ».

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا أبو عبيدة حدثني يزيد الرقاشي عن أنس قال قعد أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ألا أعجبك من أبي موسى انه قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن قل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني منهم أحد؟ » قال نعم قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقعد الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى فقال « إنه ليقرأ على مزمار من مزامير داود عليه السلام » هذا حديث غريب ويزيد الرقاشي ضعيف

وقال الامام احمد حدثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر هو ابن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدي هدي محمد وشرك الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » ثم رفع صوته وتحمر وجنتاه وبشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول « أتسم الساعة بعثت أنا والساعة هكذا - وأشار بأصبعه السبابة والوسطى - صبحكم الساعة ومستكم ، من ترك مالا فلا هله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فالي وعلي » .

وقال الامام أحمد ثنا عبد الوهاب - يعني ابن عطاء - أنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا قوم يقرءون

القرآن قال « اقرءوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أحمد أيضاً ثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفيما العجمي والاعرابي قال فاستمع قال فقال « اقرءوا فكل حسن وسيأتي قوم يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أبو بكر البزار ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبد الله بن الاجلح عن الاعمش عن المعلى السكندي عن عبد الله بن مسعود قال : لان هذا القرآن شافع مشفع من اتبعه فاده الى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه — أو كلمة نحوها — دح^(١) في قفاه الى النار. وحدثنا أبو كريب ثنا عبد الله بن الاجلح عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

وقال الحافظ أبو يملى : ثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر حدثني بكير ابن يونس عن موسى بن علي عن أبيه عن يحيى بن كثير^(٢) اليمامي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ألف آية كتب له قنطاراً ، والقنطار مائة رطل والرطل ثنتا عشرة أوقية والأوقية ستة دنائير والدinar أربعة وعشرون قيراطا والقيراط مثل أحد ، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله لملائكته نصب عبدي كي أشهدكم ياملائكتي اني قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعمل بها إيماناً به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك »

وقال أحمد ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ان الرجل ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » قال البزار لا نعلمه يروى عن ابن عباس الا من هذا الوجه

وقال الطبراني ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثني أبي قال وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن أبي عمران عن سميد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله

(١) الدح والدع الدفع بعنف (٢) في تقريب التهذيب أنه يحيى بن أبي كثير

ﷺ قال « من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله عز وجل يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشق) »

وقال الطبراني ثنا يحيى بن عثمان بن صالح ثنا أبي ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « ان أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » وقال أيضا حدثنا أبو يزيد القراطيسي ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن سليمان عن سعيد أبي سعد البقال عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أحسنوا الاصوات بالقرآن » وروى أيضا بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرفوعا « شرف أمتي حملة القرآن » وقال الطبراني ثنا معاذ بن المنثري ثنا إبراهيم بن أبي سويد الدارع ثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله ﷺ فقال أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال « الحلال المرحل - قال يا رسول الله ما الحلال المرحل ؟ قال - صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله »

﴿ ذكر الدعاء المأثور لحفظ القرآن وطرده النسيان ﴾

قال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا الحسين بن اسحاق التستري ثنا هشام ابن عمار ثنا محمد بن ابراهيم القرشي حدثني أبو صالح وعكرمة عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب يا رسول الله القرآن يتفلت من صدري ، فقال النبي ﷺ « أسلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ؟ - قال نعم بأني أنت وأمي قال - صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبمحم الدخان ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبمحم تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمي من أن أتكلف ما لا يعينني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تنور بالكتاب بصري ، وتطابق به

لساني، وتفرج به عن قلبي، وتشرح به صدري، وتستعمل به بدني، وتقويني على ذلك وتعينني عليه، فانه لا يعينني على الخير غيرك ولا موفق له إلا أنت، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعمائة تحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمناً قط» فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بسبع جمع فأخبره بحفظ القرآن والحديث فقال النبي ﷺ «مؤمن ورب الكعبة» علم أبا الحسن علم أبا الحسن «هذا سياق الطبراني.

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه: حدثنا أحمد بن الحسن ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أنس رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال بأبي أنت وأمي تفأت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ «يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك؟» قال أجل يا رسول الله فعلمني قال — إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فأنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقال أخى يعقوب لبنيه (سوف أستغفر لكم ربى) يقول حتى تأتى ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم في وسطها فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الشاء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولاخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدأ ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعينني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عنى، اللهم بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يارحمان بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تطلق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تغسل به بدني، فانه لا يعينني على الخير غيرك ولا يؤتية إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعمائة تجاب باذن الله. والذي بعثني بالحق ما أخطأ

مؤمننا قط « قال ابن عباس فوالله ما لبث عليٌّ إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال يا رسول الله والله إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فاذا قرأتهن على نفسي تفلتن وأنا أعلم اليوم أربعين آية أو نحوها فاذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني ولقد كنت أسمع الحديث فاذا رددته تفلت وأنا اليوم اسمع الأحاديث فاذا تحدثت بها لم أخرج منها حرفا . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك « مؤمن ورب الكعبة أبا الحسن » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال وقد تقدم من غير طريقه . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ثم قال على شرط الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسماع من ابن جريج فالله أعلم . فانه من البين غرابته بل نكارتة (١) والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع ثنا العمري عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثل القرآن مثل الابل المعقلة ان تعاهدها صاحبها أمسكها وان تركها ذهبت » ورواه أيضا عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد عن عبيد الله العمري به ، ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبي الحوار ثنا مسعر عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر قال سئل رسول الله أي الناس أحسن قراءة ؟ قال « من سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله عز وجل »

قال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني اقرأ القرآن فلا أجد قلبي يعقل عليه فقال رسول الله ﷺ « ان قلبك حشي الايمان وان العبد يعطى

(١) بل أسلوبه أسلوب الموضوعات لأسلوب أفصح البشر محمد (ص) وعلي (رض) ولا أسلوب عصرهما

الامان قبل القرآن » وبهذا الاسناد ان رجلا جاء بابن له فقال يا رسول الله ان ابني يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ « ما تنقم؟ ان ابنك يظل ذا كرا ويبت سالما »

وقال احمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن حبيبي عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله ابن عمرو ان النبي ﷺ قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه - قال - فيشفعان »

وقال احمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول « أكثر منافقي أمتي قراؤها »

وقال احمد ثنا وكيع حدثني همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفته » ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن اسحاق بن راهويه ثنا أبي ثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبي حجاج التميمي عن اسماعيل بن رافع عن اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه، ومن قرأ القرآن فرأى ان أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ماصغر الله وصغر ماعظم الله، وليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحتد فيمن يحتد ولكن يغفو ويصفح لفضل القرآن »

وقال الامام أحمد ثنا أبو سعيد، ولى بني هاشم ثنا عباد بن مسرة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة »

وقال البزار حدثنا محمد بن حرب ثنا يحيى بن المتوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهري عن شعبة وأبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مرأء في القرآن كفر » ثم قال عنبسة هذا ليس بالقوي وعنده فيه إسناد آخر

وقال الحافظ أبو يعلى ثنا أبو بكر بن أبي ادريس ثنا المقبري عن جده عن أبي هريرة
قال قال رسول الله ﷺ قال «أعربوا القرآن وأتمسوا غرائبه»

وقال الطبراني ثنا موسى بن حازم الاصبهاني ثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا اسماعيل
ابن عباس عن يحيى بن الحارث المزمري عن القاسم أبي عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد
وتميم الداري عن النبي ﷺ قال «من قرأ عشر آيات في ليلة كتب له قنطار والقنطار خير
من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة
حتى ينتهي إلى آخر آية معه يقول ربك اقبض فيقول العبد بيده يارب أنت أعلم فيقول بهذه
الخلد وبهذه النعيم» آخر فضائل القرآن وبه تم التفسير

للحافظ العلامة الرحلة الجليل مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين اسماعيل الشهير

باب كثير كثرة الله فوائده ، على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن

معمر المقرئ البغدادي عفا الله عنه ونفعه بالملم ووفقه للعمل

به آمين ، وحرس الله مجد ماله آمين — بتاريخ

يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين

وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه

على مشرفها والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً

وظاهره وأوصلى الله على سيدنا محمد

النبي الأُمي وعلى آله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً

﴿ تم طبع الكتاب والحمد لله ﴾



﴿ خاتمة الطبع ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد) فقد تم التفسيران بحمد الله وفضله وحسن معونته

فأما تفسير ناصر السنة البغوي فقد طبع عن طبعة مصرية وقوبلت على طبعة هندية ، وقوبل بعضه على بقايا من نسخة خطية فيها تصحيح وتحريف كثير ، وعيب هذا التفسير المشهور كثرة الروايات الاسرائيلية التي لا يصح لها متن ولا سند

وأما تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله فقد شرعنا في طبعه بأمر الامام ولم يكن لدينا أصل له إلا الطبعة المصرية التي طبعت في المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٢ هجرية وهي كثيرة الغلط والسقط فكنا نقاسي أشد الدناءة في تصحيحها بمراجعة كتب الحديث والتفسير ثم استعنا من خزانة كتب الجامع الازهر بالنسخة الخطية الوحيدة التي فيها وليست من الاصول الصحيحة التي يعتمد عليها بل هي كثيرة التصحيف والتحريف والسقط

ولما وفقنا الله تعالى للحج الى بيته الحرام في موسم ١٣٤٤ كان مما استفدناه في مكة المكرمة أن اطعنا على نسخة مخطوطة من هذا التفسير في خزانة المكتب بالحرم المكي الشريف ، وهي من حيث الصحة والتنقيح لا نظير لها في هذا العصر ، فقد كتبت في عصر المؤلف رحمه الله بل قبل وفاته كما هو ثابت ذلك من التاريخ الموجود في أواخر أجزاءها ، فإن آخر جزء منها وهو مختتم بكتاب (فضائل القرآن) مكتوب في آخره ما نصه « نبجز على يد أفقر العباد إلى الله الغني محمد بن أحمد ابن معمر المقرئ البغدادي عفا الله عنه ونفعه بالسلام ووفقه لامل به آمين وحرس الله بحمد ماله آمين ، بتاريخ يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبعائة هائلة هجرية ، صلوات الله وسلامه على مشرفها ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً » وقد كتب في طرة كل جزء منها بعد كتابة اسم الجزء بالذهب ما نصه : « للشيخ الامام العالم العلامة ، عماد الدين اسماعيل بن كثير أدام الله بركته برسم الخزانة العالية ، المولوية ، الاميرية ، الكبيرة ، العالمية ، العادلة ، العونية ، الغياية ، المحسنية ، انسيفية ، سيف الدنيا والدين أمير بلبغا أعز الله نصره » غير جزء أو جزئين واحد منهما من أول تفسير سورة (سبأ) إلى آخر تفسير سورة (حم السجدة) ولكنه كتب في عصر المؤلف أيضاً ، وقوبل تصحيحاً على أصل المؤلف كما هو ثابت في مواضع منه بخط كاتبه ، فقد جاء في آخر سورة (سبأ) منه « وكان الفراغ من كتابها ليلة السبت وقت السحر التي يسفر صباحها عنه ، وهو ثاني عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وستين وسبعائة من الهجرة النبوية » وفي آخر سورة فاطر « وكان الفراغ من كتابها بخط العبد إلى الله محمد بن بهادر بن عبد الله الشجاعى وقت السحر في ليلة يسفر صباحها

عن نهار الاثنين سابع عشرين شهر ربيع الآخر سنة تسع وستين وسبعائة وحسبنا الله ونعم الوكيل » ومثله في آخر سورة يس ، وفي آخر سورة الصافات « وكان الفراغ من كتابها بخط مالكها محمد بن بهادر بن عبد الله الشجاعى غفر الله له نهار الاثنين سادس عشرين جمادى الآخرة سنة تسع وستين وسبعائة » وفرغ من سورة (ص) في شهر شعبان ، ومن سورة الزمر في شهر رمضان ، ومن سورة المؤمن في شهر شوال . ثم كتب في آخر الجزء « آخر تفسير حم السجدة نفع الله كاتبها العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن بهادر بن عبد الله الشجاعى ببركات ما فيها وبالقرآن العظيم ، وذلك في العشر الوسط من ذي القعدة الحرام سنة تسع وستين وسبعائة بدمشق المحروسة حماها الله » وقد أثبتنا في طرة كل جزء ان وفاة المصنف رحمه الله تعالى كانت في سنة ٧٧٤ وقد كتب في آخر هذا الجزء بالهامش « بلغ مقابلة بأصل المؤلف »

ومما يمتاز به طبعتنا هذه الملحق الختامى المتمم للتفسير وهو (كتاب فضائل القرآن) فقد عثرنا عليه في نهاية الجزء الاخير من نسخة الحرم الشريف التي كتبت لخزانة الامير بلبغا . وهو ليس بموجود في غيرها من النسخ ولا في طبعة بولاق ، فأثبتناه نحن في آخر الكتاب تبعاً للمؤلف وقياماً بواجب الامانة في النشر . ومن قرأه يعلم ان اسمه أوسع معنى من مسماه فانه اشتمل على فضائل القرآن في جملة وعلى تاريخ كتابته في عصر النبي ﷺ وبعده وجمعه في المصاحف ونسخها في خلافة عثمان وارسال نسخ منها الى الامصار الاسلامية الكبرى — وعلى مباحث إزاله على سبعة أحرف وتلاوته وحفظه وتعليمه وترتيبه والتغني به وغير ذلك من الفوائد

وانما سماه المؤلف (كتاب فضائل القرآن) تبعاً للامام البخاري في صحيحه فقد أخذ أبواب جامع البخاري وجعلها عناوين له وقفى عليها بما رواه غيره من الحفاظ في مباحثه ولا سيما الامام أبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي الفقيه اللغوي المتفنن الذي هو من أقران الشافعي وأحمد وطبقتهما ومعاصريهم وقد رأينا أن هذا الكتاب على بسطه للمباحث يحتاج الى تعليق عليه في بعض المسائل لازالة لبهام أو دحض شبهة أو دعم حجة أو تكملة بحث أو تفرقة بين كلام البخاري وكلام المصنف مما يخفى على غير العالم المحدث فوضعت له ذلك . وكنت قد تركت التعليق على هذا التفسير وغيره لثلاثة أسباب (أحدها) قلة ما يشكل منه مع وجود نسخة الحرم الصحيحة (ثانيها) إلحاح جلالة الملك عبد العزيز بالاسراع في طبعه لتعجيل استفادة الناس منه (ثالثها) المرض الطويل الذي اقتضى منعي من كل عمل مدة بضعة أشهر تراكت علي بعدها الاعمال من حاضر ومتأخر

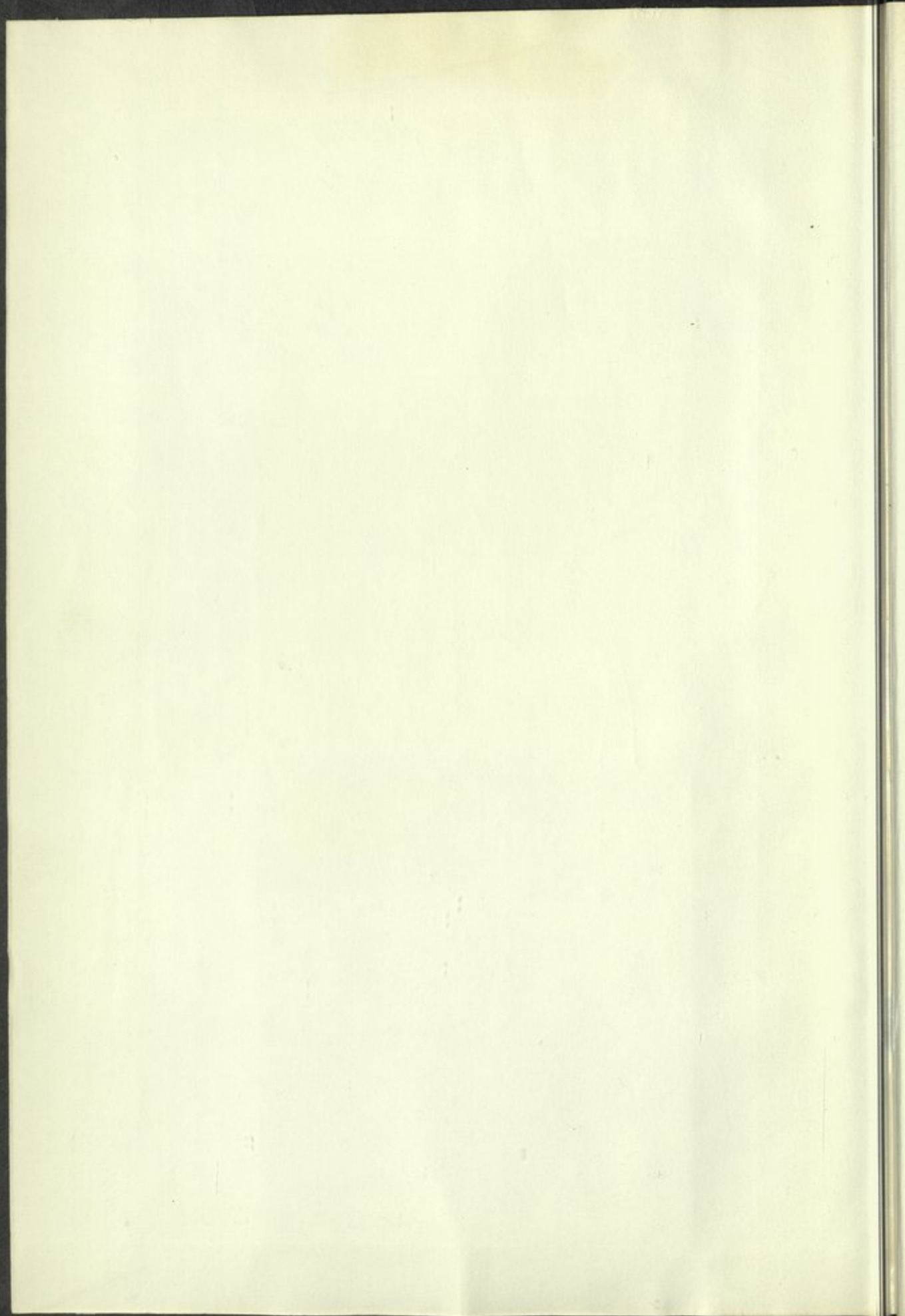
وينبغي أن تنوه في هذه الخاتمة بما كان للامام عبد العزيز آل سعود من الفضل المأثور والسعي المحمود المشكور ، لنشر هذا الكتاب العظيم الجليل النفع ، وكذا غيره من الكتب الدينية التي تنفع المسلمين في معاشهم ومعادهم ، فالرجو من قارئه أن يدعو له ولناخبر . أدام الله توفيقه ، ونفع المسلمين به ، والحمد لله وحده أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً

صاحب المنار ومطبعته

محمد رشيد رضا

وكتب في شوال سنة ١٣٤٧

٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠



DATE DUE

J. Lib.

~~1 JUN 1979~~

JAFET LIB.

~~18 NOV 1982~~

J. Lib.

~~29 DEC 1983~~

J. Lib.

~~29 DEC 1985~~

J. Lib.

~~3 FEB 1986~~





95.207.1125

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر.

297.207
I.13H

V.9

